الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر – باتنة 1 كلية اللغة و الأدب العربي والفنون

قسم اللغة و الأدب العربي

الخطاب النثري في مجلة الشهاب الجزائرية 1929-1939م

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي

إعداد الطالب:
نواري بالة

إشراف الأستاذ الدكتور:
محمد زرمان

السنة الجامعية :

1438/1437 هـ - 2017/2016 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر – باتنــة 1

كلية اللغة و الأدب العربي والفنون **قسـم اللغــة و الأدب العربــي**

الخطاب النثري في مجلة الشهاب الجزائرية 1929-1939م

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي

إعداد الطالب:
نــواري بالــة

إشـــــراف الأستاذ الدكتور:
محمـد زرمــان

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
عيسى مـــدور	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
محمد زرمـان	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا ومقررا
دلـيلـة مكسـح	أستـاذ محاضر- أ	جامعة باتنة 1	عضوا مناقشا
يوسف العايب	أستـاذ محاضر- أ	جامعة الوادي	عضوا مناقشا
فريـدة مقلاتي	أستـاذ محاضر- أ	جامعة خنشلة	عضوا مناقشا
عبد الحليم كبوط	أستـاذ محاضر- أ	م-ع- للأساتذة قسنطينة	عضوا مناقشا

السنــة الجامعيـة :
1438/1437 هـ - 2017/2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم النبيين وعلى آله و صحبه أجمعين و بعـد:

إن انبعاث الحركة الأدبية و الفكرية في الجزائر مطلع القرن العشرين تفتق عنه إنتاج أدبي غزيـر واسـع ، وهـو بحاجـة لسبر أغـواره سعيـا نحـو الكشف عن قضـاياه الفكريـة و ظواهره الفنية .

و تعد مجلة الشهاب لمنشئها الشيخ عبد الحميد بن باديس من أهم ما جادت به تلك الفترة من إنتاج أدبي و فكري ، و لعل هذا من أهم الأسباب التي جعلتني أختارها موضوعا للبحث ، مقتصرا على الخطاب النثري ، محاولا إماطة اللثام عن أشكاله المتنوعة التي تضمنتها المجلة.

و من الأسباب الأساسية أيضا لاختياري لهذا الموضوع ، هو أنني لم أقف – حسب علمي – على دراسة وافية حول هذه المجلة ، فهي لم تلق الاهتمام اللازم من قبل الباحثين و الدارسين سواء في جانبها الفكري أو الفني ، و من هنا حاولت الخوض في الجانب النثري منها دراسة و بحثا – ما أمكن ذلك – باذلا ما استطعت من جهدي المتواضـع، و ذلك مـن خـلال السعي نحـو تشكيل تصـور دقيـق عـن المجلـة و بيئتهـا و توجهاتها الفكرية، و الكشف عن أشكال خطاباتها النثرية، و فنية نصوصها و جماليتها .

و قد جعلت هذا البحث تحت عنوان: **الخطاب النثري في مجلة الشهاب الجزائرية 1929 م – 1939م .**

و هو يتناول إشكالية محورية : ما هي أشكال الخطاب النثري في مجلة الشهاب الجزائرية ؟ و ما هي خصائصها الفكرية و الفنية ؟

وتنبثق عنها إشكاليات فرعية يمكن بسطها في ما يلي:

- تحديد نطاق العنوان و مجال الدراسة .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الذي يتمثل في مجلة الشهاب الجزائرية، لمنشئها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، التي صدرت خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1929م و 1939م ، وهي المدونة التي سيتم تتبع أشكال الخطاب النثري الذي اشتملت عليه، ومن هنا تخرج جريدة الشهاب التي كانت تصدر قبل المجلة في الفترة بين سنة 1925 م و 1929 م .

- ما هي أشكال الخطاب النثري الذي تضمنتها الشهاب؟ ما هي أهم الخصائص الفنية التي انطبعت بها هذه الأشكال النثرية من حيث الشكل و المضمون ؟
- ما المرجعية أو المرجعيات الفكرية التي صدرت عنها هذه الأشكال النثرية ؟ و ما هي سياقاتها و مضامينها الدينية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية ؟

و لدراسة موضوع هذا البحث و الإجابة عن الإشكاليات المطروحة تصورت منهجا متكاملا ، ففي الفصل الأول يكون توظيف المنهج التاريخي هو الأنسب للوقوف على الأوضاع العامة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية و تتبع مسار مجلة الشهاب من النشأة حتى التوقف عن الصدور ، مرورا بالعوامل المؤثرة في مسارها ذلك .

ثم يأتي دور المنهج الوصفي لتقصي أشكال الخطاب النثري الذي تضمنته المجلة و تصنيفها وفق الفنون النثرية من مقالة و خطبة و رسالة و غيرها. معتمدا على التحليل كأداة إجرائية في دراسة هذه الأعمال و الوقوف على مرجعياتها الفكرية و سياقاتها المعرفية و كذا خصائصها من حيث المضامين و الصياغة الفنية.

و قد ارتأيت أن تكون دراستي لهذا الموضوع في مقدمة و أربعة فصول و خاتمة.

مقدمة حددت فيها أهمية الموضوع و أسباب اختياره و الإشكالية المطروحة ، و كذا أهم المصادر والمراجع و الدراسات التي تناولت الموضوع ، ثم بعض الصعوبات التي اعترضتني خلال إنجازي لبحثي .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ثم الفصل الأول حيث تعرضت فيه لمفهوم الخطاب و مفهوم النثر، و لمجلة الشهاب التي أنشأها الشيخ عبد الحميد بن باديس – رحمه الله – من خلال تقصي ظروف نشأتها ومنهجها و أبوابها أهدافها و مسيرتها حتى توقفها عن الصدور سنة 1939 م.

ثم يأتي الفصل الثاني الذي عنوانه : المقالة ، و تناولت فيه مفهوم المقالة و خصائصها و أنواعها ، ثم المقالة في مجلة الشهاب و نماذج منها مع إبراز سماتها العامة من حيث المبنى و المعنى .

بينما تناول الفصل الثالث فن الخطابة من خلال الوقوف على مفهوم الخطابة و أجزائها و أنواعها و عُدَّة الخطيب ، ثم التعرض للخطابة في مجلة الشهاب، مع تناول نماذج منها و تحليلها للوقوف على سماتها العامة شكلا و مضمونا.

أما الفصل الرابع فقد كان بعنوان : فنون أخرى ، تناولت فيه بعض الفنون النثرية التي كانت أقل أهمية من حيث الكم و الشأن في مجلة الشهاب ، و هي : الرسائل و التراجم و السير ، و أدب الرحلة . حيث وقفت على مفهوم كل فن و أنواعه ، ثم وروده في مجلة الشهاب مع إيراد نماذج لكل فن ، وتحليلها لرصد أهم السمات و المظاهر الجمالية من الجانبين الفكري و الفني .

ثم الخاتمة التي هي خلاصة لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

و تعد مجلة الشهاب المصدر الأول و المادة الخام لهذه الدراسة ، و قد طبعتها دار الغرب الإسلامي ببيروت في ستة عشر مجلدا ، و ذلك سنة 1421هـ – 2001م، وهي الطبعة الأولى.

كما نشرت في المجلد السادس عشر ملحقا من تأليف الشيخ : عبد الرحمان شيبان بعنوان : مقدمة مجلة الشهاب ، تضمن تعريفا وافيا بها ، و تحليلا مفصلا للموضوعات التي تناولتها خلال مسيرتها.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

أما عن الدراسات التي تناولت المجلة ، فلم أقف على دراسة خاصة مفردة لمجلة الشهاب – حسب علمي – و هذا ما يجعل المراجع المعتمدة في هذه الدراسة هي تلك الدراسات التي تناولت الأدب الجزائري الحديث بصفة عامة ، و أدب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بصفة خاصة، وكذا بعض النتف و الإشارات التي تعرض أصحابها فيها لمجلة الشهاب الجزائرية من حيث محتواها الأدبي أو الفكري ، إضافة إلى المراجع العامة المتمثلة في الدراسات الأدبية و النقدية التي تناولت الأدب العربي عموما و الجزائري خصوصا من حيث الأشكال و اللغة و الأساليب و فنون البلاغة.

ومن أهم المراجع التي اعتمدتها : آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس، و آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، و كذا آثار و مؤلفات بقية أدباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، بالإضافة إلى كتابي : فنون النثر الأدبي في الجزائر ، و نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر لعبد الملك مرتاض ، و كتاب : تطور النثر الجزائري الحديث لعبد الله الركيبي ، و كتاب : في الأدب العربي الحديث بالجزائر: الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، لمحمد بن سمينة؛ فضلا عن كتاب : تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله ، و كتابي محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية(1847م–1939م) و المقالة الصحفية الجزائرية من 1903م إلى 1931م ، وغيرها من المؤلفات في الأدب الجزائري و الدراسات التاريخية و النقدية التي تتعلق به.

و قد واجهتني جملة من الصعوبات أهمها محدودية الدراسات التي تناولت مجلة الشهاب و قلتها ، إضافة إلى تفرق و تشتت الإشارات التي تعرضت لها في مختلف المراجع، مما لم يتح أمامي الفرصة كاملة لإمكانية الإحاطة بجوانب الموضوع و خفاياه بشكل أشمل و أفضل .

غير أن ذلك لم يحل بيني و بين محاولة جمع و تحليل أكبر قدر ممكن من حيثيات الموضوع ، و السعي لتقديمه في شكل أرجو أن يكون مقبولا ، و أحمد الله الذي

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

يسر لي إتمام هذا العمل الذي أطمح من خلاله إلى إضافة لبنة بسيطة و يسيرة في صرح الدراسات و البحوث الأكاديمية، التي ستبقى مجالا خصبا واسعا للدراسة و البحث و الإثراء .

و إن كان لأحد من فضل في إنجاز هذا البحث بعد فضل الله تعالى ، فهو للأستاذ الفاضل المشرف الأستاذ الدكتور محمد زرمان ، الذي كان صبورا جدا علي ، فأوجه له جزيل شكري و فائق امتناني على كل ما قدمه من توجيه و نصيحة و مراجع و قبل هذا و ذاك على قبوله تبني هذا العمل و الإشراف عليه، كما أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذه الدراسة و إتمامها و لو بكلمة تشجيع طيبة ، و ما أكثرهم.

و اللهَ أسألُ التوفيقَ و السدادَ.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ (هود)

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الفصـــل الأول

مقاربــة اصطلاحيــة

للمفاهيم و الشهاب

أولا : الخطـــاب النثـــري

ثانيا : الـشـــهـــــــــاب

أولا :الخطـاب النـثـــري

1- مفهوم الخطاب

أ- لغة:

يرجع لفظ الخطاب إلى مادة : خطب ، " الخاء و الطاء و الباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه، يخاطبه خطابا، وفي النكاح الطلب أن يزوج.

ومنه الخطب: الأمر يقع، وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة"[1].

فالخطب هو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال وجمعه خطوب، ولهذا يقال مجازا: هو يقاسي خطوب الدهر.

"وأمـــا الأصل الآخر فاختلاف لونين، والأخطب: طائر، ولعله يختلف عليه لونـان، والأخطب: الحمار تعلوه خضرة، وكل لون يشبه ذلك فهو أخطب"[2].

فالخطب إذن هو: "الشأن والأمر صغر أو عظم وجمعه خطوب"[3].

وجلّ الخطب ،أي عظم الأمر والشأن.

وفي القرآن الكريم: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[4]. أي ما شأنكم؟ وما أمركم؟

"وفصل الخطاب الحكم بالبينة أو اليمين، أو الفقه في القضاء، أو النطق بأما بعد"[5].

وقيل : الخطب هو "سبب الأمر، وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسيـر، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال، ومنه قولهم: جل الخطب، أي عظم الأمر والشأن، وجمعه خطوب"[6].

فالخطاب والمخاطبة، هو مراجعة الكلام.

---

[1]- أحمد بن فارس- معجم مقاييس اللغة- تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- لبنان- 1399هـ/ 1979م- ج2- ص 198- مادة : خطب.

[2]- المرجع نفسه، ص 199.

[3]- الفيروز أبادي- القاموس المحيط- الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة- مصر- 1399هـ- 1979م- ج1- ص 62- مادة : خطب.

[4]- سورة الحجر - الآية :57 .

[5]- الفيروز أبادي- القاموس المحيط- ج1- ص 63 – مادة : خطب .

[6]- ابن منظور – لسان العرب – ضبط و تعليق : خالد رشيد القاضي –دا صبح – بيروت – لبنان – و إديسوفت- الدار البيضاء- المغرب- ط1- 1427هـ- 2006م- ج4- ص 129- مادة : خطب.

"وفصل الخطاب معناه أن يفصل بين الحق والباطل، و يميز بين الحكم وضده،وقيل: فصل الخطاب: أما بعد"[1].

ففصل الخطاب إذن هو قول: أما بعد، أما قوله بأن الخطاب والمخاطبة هو مراجعة الكلام، فكأن الكلام يكون في ذات المتكلم، فإذا راجعه بأن أخرجه للمتلقي سامعا كـــان أو قارئا تكون هذه العملية هي مراجعة الكلام وهي ما نسميه الخطاب.

ب-اصطلاحا:

يعد مصطلح "الخطاب" من المصطلحات الحديثة التي لم تستقر بعد على مفهوم واضح أو تعريف محدد، وذلك نظرا لتعدد مجالاته وتشعب موضوعاته، فهو يرتبط بالرسالة المرسلة من مرسل إلى متلق و ترتبط باللغة التي هي وسيلتها.

"ولن نبالغ كثيرا إذا قلنا إن لفظ الخطاب، هو أكثر الألفاظ تداولا في الخطاب العربي المعاصر، فالكل يتحدث عن الخطاب: الخطاب العلمي، الخطاب النهضوي، الخطـاب النقدي...، طبيعي أن يلحق اللفظ بعض العياء فيفقد كل دلالة دقيقة محددة، أو على الأقل لا يعود يعني شيئا كثيرا، بل إنه يكاد في معظم الأحوال لا يعني إلا ما يدل عليه لفظ مقال"[2]. وهو هنا ينظر للخطاب بكونه مرجعية للكلام المراد توصيله، شفويـا كان أو كتابيا لإبلاغ خبر ما عن قضية بعينها.

ويشير مصطلح الخطاب إلى " كـــل كلام تجاوز الجملة الواحـدة ســواء كـان مكتوبـــا أو ملفوظا"[3].

فهو يتجاوز حدود التركيبة اللغوية للكلام إلى النظر في معايير هذه التركيبة ووظائفها المعنوية التي تخدم عملية الاتصال القائم بين المخاطِب والمخاطَب.

---

[1]- المرجع السابق- ص 130.

[2]- عبد السلام بنعبد العالي- بين بين- دار توبقال للنشر – الدار البيضاء- المغرب- ط1- 1996- ص 78- بتصرف.

[3]- رزان محمود إبراهيم- خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية- المعاصرة- دار الشروق للنشر والتوزيع- عمان - الأردن- ط1- 2003م- ص 17.

وبهذا اكتسب لفظ الخطاب "دلالات رحبة ومعقدة ومتداخلة عبر شبكة أنساق معرفية متعددة ليتأسس من عناصر ومبادئ تكونه، وقواعد وقوانين تضبطه"[1].

فهو هنا يخرج عن مجرد كونه كلاما، بل هو كلام ضمن نسق معرفي تحكمه وتضبطه قواعد منهجية لتؤسس الغاية منه وهي الفائدة أو الإقناع.

"وهذا الانتقال بمفهوم الخطاب من حيز اللغة المجردة، ملفوظة كانت أو مكتوبة، إلى حيز الفكر باعتباره دائرة الإنتاج الإنساني الفكرية، دفع المشتغلين بالعلوم الإنسانية إلى الاشتغال على هذا المفهوم، فأصبحنا نجد الخطاب النفسي، والخطاب الاجتماعي، والخطاب التلفزيوني والخطاب السينمائي والخطاب النقدي وغيرها..."[2].

فالخطاب ليس تلك المتتالية المنسجمة من اللغة فقط ، و إنما هو ما تؤديه اللغة من أفكار الكاتب ومعتقداته، والخطاب الأدبي خطاب نوعي، يحمل رسالة معرفية وشعورية وجدانية.

"فهو نوع خاص من الكتابة التي تعكس ذاتها"[3].

ودراسة الخطاب لا تفرق بين النصوص التي تعتبر أدبية وتلك التي تعتبر غير ذلك.

"و يعد خطابا كل ملفوظ أو مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات"[4].

الخطاب إذن هو كتلة لغوية تصاغ ضمن نطاق النظام اللغوي للغة الاتصال الاجتماعي "وانطلاقا من هذا، فالنص غير الجملة، والجملة غير الخطاب، لأن الخطاب فاعلية يمارسها مخاطب يعيش في مكان وفي زمان تاريخي تسود فيه العلاقات الاجتماعية بين الناس"[5].

---

[1]- إبراهيم براهمي : استراتيجية الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي- منشورات بونة للبحوث و الدراسات – عنابة - الجزائر- ط1- 1434 هـ/ 2013م- ص 06.

[2]- أحمد ياسين العرود- تحول الخطاب النثري في عصر النهضة (1776م – 1912م)- مطبعة الروزنا- عمان- الأردن- ط1- 2005م- ص 11- بتصرف.

[3]- سارة ميلز- الخطاب- ترجمة: يوسف بغول - منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات- جامعة منتوري - قسنطينة - الجزائر- 2004- ص 18.

[4]- أحمد المتوكل – الخطاب و خصائص اللغة العربية - دراسة في الوظيفة والبنية والنمط- مطابع الدار العربية للعلوم- بيروت- لبنان - ط1 - 1431هـ- 2010م- ص 24.

[5]- رابح بوحوش- الأسلوبيات وتحليل الخطاب- منشورات جامعة باجي مختار- عنابة- الجزائر- 2006م- ص 85.

هذا يجعل الخطاب" هو اللغة حين تمارسها جماعة بشرية وتتفاهم فيما بينها من خلاله"[1].

ويختلف الخطاب عن النص، بكون النص " سلسلة من الجمل المبثوثة بين فراغين دلاليين أو بين وقفتين في عملية اتصال، أما الخطاب فهو الآلية الإفهامية التي تشترط في النص، وهذا الأمر لا يتحقق إلا بعملية الربط بين الآلية الداخلية وشروط الإنتاج"[2].

وهكذا يكون الخطاب أوسع مفهوما من النص، كما أنه أكثر اتصالا و ارتباطا بالعلوم الإنسانية.

"إن الخطاب الأدبي جملة علائقية إحالية مكتفية بذاتها حتى تكاد تكون مغلقة، ومعنى كونها علائقية أنها مجموعة حدود لا قوام لكل منها بذاتها، وهي مكتفية بذاتها"[3].

فالخطاب إذن مبني على العلاقات التي تربط مكوناته اللغوية بعضها ببعض ثم تربطها بغيرها و هذا راجع لكون " العمل الأدبي هو التعبير عن طريق اللغة عن تجربة شعورية بطريقة موحية مؤثرة في القارئ أو السامع"[4].

يمكن إجمال مفهوم الخطاب من خلال وضع التعريف الأكثر شمولا بأنه"نظام تعبير متقن ومضبوط"[5].

ويتجلى في بناء فكري يحمل وجهة نظر تشكل معرفة معينة في بناء لغوي تمت صياغته وفق معايير محددة.

والخلاصة أن الخطاب هو الحالة التفاعلية للغة، ملفوظة كانت أو مكتوبة، ويشترط فيه متكلم أو كـــاتب يقصد التـــأثير على مستمع أو قارئ ، بوسائل متنوعة في مقام

---

[1]- عبد العاطي شلبي – فنون الأدب الحديث بين الأدب الغربي و الأدب العربي – المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية – مصر – ط 1 - 2005م – ص 117 – بتصرف .

[2]- ناظم عبد الجليل – نقد الشعر في المغرب العربي الحديث – دار توبقال للنشر – الدار البيضاء – المغرب – ط1- 1992م – ص 13 – بتصرف .

[3]- عبد القادر شرشار- تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص- منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق- سوريا- 2006- ص 41.

[4]- أحمد محمد عنبر- قضية الأدب بين اللفظ والمعنى- دار الكتاب العربي- القاهرة- مصر- 1954م- ص 39.

[5]- فرحان بدري الحربي- الأسلوبية في النقد العربي الحديث- دراسة في تحليل الخطاب- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- مجد- بيروت- لبنان- ط1- 1424هـ- 2003م- ص 40.

معيــن، و هو السياق ، بغرض تبليـــــغ هــذا المستمع أو القارئ قصــده مـــن هذا الكلام المنطــوق أو المكتوب.

2 – مفهوم النثر:

أ– لغة:

" النون والثاء والراء أصل صحيح يدل على إلقاء شيء متفرق، ونثر الدراهم وغيرها، ونثرت الشاة: طرحت من أنفها الأذى، وسمي الأنف النَّثْرة من هذا، لأنه ينثر ما فيه من الأذى"[1].

ومنه قول الله تعالى:﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

وقوله عز وجل أيضا:﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾[3].

ويقال استنثر إذا استنشق الماء ثم استخرجه بنَفَس الأنف.

"ورجل نثير أي كثير الكلام، والنثير للدواب والإبل، كالعطاس للناس"[4].

ويقال: انتثر الحب إذا تفرق على غير نظام.

يقول الله تعالى:﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ ﴾[5].

"ونثرك الشيء بيدك، ترمي به متفرقا، وهو النَّثَار، وقد نَثَره يَنْثِرُهُ ويَنْثُرُهُ نَثْرا ونِثَار ونَثَّره وتَنَاثَر"[6].

ويقال: فلان يَنْثُر الدر إذا تكلم بكلام حسن فصيح بليغ،ونَثَرَ في قراءته أي أسرع فيها.

" والنُّثَارة: ما تناثر وتختص بما ينتثر من المائدة فيؤكل للثواب...

---

[1]- أحمد بن فارس- معجم مقاييس اللغة- ج5- ص 389- مادة : نثر.
[2]- سورة الفرقان- الآية: 23 .
[3]- سورة الإنسان- الآية 19.
[4]- ابن منظور- لسان العرب- ج14- ص 34- مادة : نثر.
[5]- سورة الانفطار- الآيتين: 1-2 .
[6]- ابن منظور- لسان العرب- ج14- ص 34- مادة : نثر.

وتناثروا : مرضوا فماتوا... والنَّثُور: الكثيرة الولد"[1].

فالنثر إذن أصل يدل على التفرق والكثرة والحسن.

ب-اصطلاحا:

بداية تجدر الإشارة إلى أن جل النقاد و الدارسين الذين عمـدوا إلى تعريـف النثـر ووضع حد لمفهومه، قد جعلوا ذلك مقارنة بالشعر فلا يعرف النثر عندهم إلا من خلال مقارنة خصائصه و أبعاده بخصائص و أبعاد الشعر.

"فتصورهم لماهية النثر يبدو أنه لا يعدو القول بأن النثر فن أدبي كالشعر"[2].

فيه "مظهر من مظاهر الجمال، وفيه قصد إلى التأثير في النفس في أية ناحية من أنحائها"[3].

النثر حسب هذا المفهوم هو لغة أدبية تثير النفس والشعور، ومن هذا الجانب فهو يتفق من حيث معناه مع جوهر الشعر، غير أنه يختلف معه من ناحية الشكل والموسيقى.

ومن الإجحاف اعتبار الحد بين النثر والشعر هو الوزن والقافية، وذلك لكون الشعر والنثر هما "قالبان أدبيان، لا نوعان فنيان، ولا شكلان متناقضان من أشكاله التعبيرية، قالبان أدبيان أحدهما يتميز بالوزن والقافية والآخر يتميز بخلوه منهما "[4].

ولكي يُعدَّ الأدبُ فنا جميلا ينبغي أن يتوافر له الشكل والمضمون الفنيان، سواء جاء في قالب الشعر أو في قالب النثر.

" وإنه من الخطأ اعتبار قالب الشعر وحده الفن الأدبي الجميل دون النثر، واعتبار قالب النثر إطار الفكر الموضوعي فقط، من الخطأ اعتبار الشعر وليد الإلهام والوحي

---

[1]- الفيروز أبادي- القاموس المحيط- ج2- ص 137- مادة : نثر.

[2]- عثمان موافي - في نظرية الأدب - من قضايا الشعر والنثر في النقد الأدبي - دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- مصر- ط 3- 2002م- ج2- ص 35.

[3]- طه حسين- في الأدب الجاهلي- المجموعة الكاملة- المجلد 05- الأدب والنقد- دار الكتاب اللبناني- بيروت- لبنان- ص 328.

[4]- ميشال عاصي- الفن والأدب- مؤسسة نوفل- بيروت- لبنان- ط3- 1980م- ص 83.

واللاوعي... واعتبار النثر وليد الوعي والواقعية وما أشبه، مما يقصره عليه الباحثون في كل حين ومناسبة"[1].

فالقالب الشعري قد يستوعب أدبا فنيا رفيعا كما قد يستوعب أدبا غير ذلك، وقد يستوعب القالب النثري أدبا فنيا جماليا بشكله ومضمونه، كما قد يستوعب أدبا يخلو من كل ذلك.

"والأصل في الشعر أن يصنع من الإنسان أسطورة، في حين يرسم النثر صورته"[2].

فالأدب يشمل في دائرتة الجانب الفني الجمالي، والجانب العقلي الفكري، وكلا الجانبين قابلان للصياغة في قالب الشعر أو قالب النثر على السواء.

غير أن المشهور هو أن الشعر يمتاز بالخيال الواسع والشعور الحار والتعبير الصادق "بحيث تطرب له النفس عند القراءة وتهتز له المشاعر عند الفهم، أما النثر فميادينه واسعة تكاد لا تحصى، لأن أغراضه لا يكاد يفي الشعر منها بشيء، فهي تشمل الإنتاج الفكري بأنواعه كلها، من أدبية وعلمية وفلسفية"[3].

وليس معنى هذا أن الشعر كله عاطفة وخيال ولا أثر للفكرة فيه، أو أن النثر يقوم على الفكرة ويخلو تماما من الخيال والعاطفة.

"ولكل واحد من هذه الفنون (الشعر والنثر) أساليب تختص به عند أهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه، مثل النسيب المختص بالشعر، والحمد والدعاء المختص بالخطب"[4].

فعنصر الفكرة يغلب في النثر ويضعف في الشعر في حين الخيال والعاطفة يطغيان على الشعر ويخبو أثرهما في النثر.

وهذا يعود إلى اعتبار الشعر كلام موزون مقفى يعتمد على الموسيقى والعاطفة والشعور والخيال، واعتبار النثر كلام مرسل يعتمد على الفكر والعقل والمنطق ويتضاءل فيه الخيال والشعور والعاطفة.

---

[1]- المرجع السابق- ص 83.
[2]- جان بول سارتر- ما الأدب – ترجمة: محمد غنيمي هلال- دار نهضة مصر- القاهرة- مصر 1990م- ص 35- بتصرف.
[3]- أبو القاسم كرو و عبد الله شريط- شخصيات أدبية من المشرق والمغرب- دار مكتبة الحياة- بيروت- لبنان- ط2- 1996- ص 31.
[4]- عبد الرحمن بن خلدون- المقدمة- دار الفكر- بيروت- لبنان- ط1- 1424هـ- 2004م- ص 643.

فيكون النثر هو "الكلام الأدبي المرسل الذي يسمو على الكلام العادي، تعبيرا ومعنى، وهو يقابل الكلام المنظوم"[1].

والمقصود بالكلام الأدبي أي الكلام الفني الذي يجمع بين اللذة والإفادة.

جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب : " و عند العرب يراد بالنثر في الأدب النثر الفني، وهو الذي يخضع لقوانين معينة، كأن يحتوي أفكارا منظمة تنظيما حسنا ومعروضة في أسلوب جذاب حَسَن الصياغة، جيد السبك، جاري على قواعد النحو والصرف"[2].

هذا التعريف لم يهمل شكل النثر ولا مضمونه، فهو رفيع الشكل قيم المحتوى.

فالنثر هو حالة من حالات الوعـي ، و لا يشترط فيه ما يشترط فـي الشعر، ومن خصائصه البساطة و الوضوح في التعبير و يجمع بين المتعة و الفائدة.

[1]- عرفة حلمي عباس- نقد النثر- النظرية والتطبيق- مكتبة الآداب- القاهرة- مصر- ط1- 1430هـ- 2009 م- ص 212.- بتصرف.
[2]- مجدي وهبة و كامل المهندس- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب- مكتبة لبنان- بيروت- لبنان- ط2- 1984م- ص 38.

ثـانيـا: الشـهـــاب

1- الحالة العامة في الجزائر على عهد الاستعمار الفرنسي:

ما إن وطئت أقدام المستعمر الفرنسي أرض الجزائر في ذات الخامس من جويلية 1830م حتى بدأ عصر جديد قوامه السعي للقضاء على كل مقومات الشعب الجزائري، وقد عانت الجزائر أكثر من غيرها من المستعمرات مرارة شديدة لأن فرنسا كان استعمارها استيطانيا يهدف إلى الاستقرار في الجزائر وجعلها جزءا من فرنسا عكس ما كان في بعض المستعمرات من انتداب أو فرض للحماية، وهذا الاستيطان تجسد أول ما تجسد في جلب المعمرين من فرنسا وسائر أوروبا وتوطينهم في الجزائر في أخصب الأراضي وأحسن الأحياء في المدن بعد تهجير أهلها منها وتشريدهم.

"وقد ضاعف من آلام الشعب الجزائري ومصائبه وكوارثه لأنه استعمار استيطاني صليبي شرس، وحقود تجاوز كل الحدود في الوحشية والعجرفة، والخشونة والطغيان والعنصرية، وسعى بكل طاقاته أن يمحو ويطمس مقومات الشعب الجزائري القومية والحضارية وعلى رأسها العقيدة الدينية الإسلامية واللغة العربية والفكر والثقافة والتعليم"[1].

هذه المقومات التي كانت عماد وجود و كينونة الشعب الجزائري و شخصيته الوطنية حاول الاستعمار "مسخها وإفراغها من مضامينها، وصبها في قوالب تلائم أهدافه ومخططاته، وتضمن لوجوده الدوام والبقاء في الجزائر"[2].

و كان الاستعمار البغيض يعي تمام الوعي أن مقومات الأمة الجزائريــة من ديـن ولـغة و قيم و عادات و تقاليد هي التي تربط أواصر هذه الأمة من خلال ربط حاضرها بماضيها، وأمة قوامها هذه العناصر هي أمة يستحيل طمس كيانها، أو محو تاريخها، وهذا ما جعله يسعى جاهدا لتجريد الشعب الجزائري من شخصيته ، و طمس معالم هويته .

فالاستعمار الفرنسي دخل الجزائر "بنية الاستيطان الأبدي، ولم تساوره يوما ما فكرة التزحزح أو الخروج من الجزائر أبدا، ولم يفكر– مطلقا– في نهايته الحاسمة التي سيأتي عليها حين

---

[1]- عبد القادر حلوش- سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر- دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر- ط1، 1999، ص 12.
[2]- حسين عبد الرحمن سلوادي- عبد الحميد ابن باديس مفسرا- المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر- 1988- ص 28.

من الدهر لم يكن شيئا مذكورا في قاموس المستعمر، وارتاح إلى نيته فثبت أركانه، و وطن نفسه وانغمس في بركة الأضاليل يروي ظمأه بلهف في اغتصاب خيرات البلاد واستعباد أهلها، وأضحت هذه الفعلة شعارا تتناقله الأفواه الاستعمارية في الجزائر"[1].

و إن هذه الأهداف الاستعمارية تيقن المستعمر بأنها لن تتحقق له إلا إذا قضى على أمرين اثنين هما العقيدة الإسلامية، واللغة العربية ، لأنهما عماد الشخصية الجزائرية التي هي " شخصية عربية وتعتبر جزء لا يتجزأ من الشخصية القومية للأمة العربية قد تكونت من امتزاج عنصري الأمازيغ والعرب طوال أربعة عشر قرنا بحيث نتج عنه عنصر جزائري جديد أمه الجزائر وأبوه الإسلام، وبذلك تحددت مقومات الشخصية الجزائرية وتبلورت في اللغة العربية والدين الإسلامي"[2].

و قد فاقت فضائع وصنائع الاستعمار في الجزائر التي فاقت كل التصورات من خلال محاولته القضاء على الشخصية الجزائرية.

" ولكن الفرنسيين لم يكتفوا باستعمار الأرض والإنسان واللغة في الجزائر بل استعمروا فيها الدين أيضا بما فيه من أحوال شخصية، ومعاملات، وتصرفوا في ذلك كما شاؤوا لا كما تقتضي التعاليم الدينية ، و أطلقوا على ذلك كله اسم (الإسلام الجزائري) ، أي الإسلام كما أصبح في الجزائر على عهد الفرنسيين، لا كما هو في الواقع"[3].

عمل الاستعمار جاهدا على جعل الجزائريين طبقة دون المعمرين، وجردهم من كل الحقوق والامتيازات التي يحظى بها غيرهم من الوافدين الغرباء على البلاد، " فقد أصبح الجزائري يدعى (بالمسلم الفرنسي) إذ كان في درجة الرعية التي لا يتمتع أصحابها بأية حقوق، والإسلام بناء على ذلك أصبح أيضا هو الجنسية التي يستظهر بها الجزائري لكي يميز نفسه من الفرنسي، ولكن هذا له، بالإضافة إلى الفرنسة أو المواطنة الفرنسية حقوق المواطنة، أما الجزائري فليس له حقوق ما دام على إسلامه، لأن الإسلام والمواطنة الفرنسية ضدان لا يجتمعان عندئذ في نظر القانون الفرنسي "[4].

---

[1]- محمد عباس- البشير الإبراهيمي أديبا- ديوان المطبوعات الجامعية- المطبعة الجهوية- وهران - ص 08-09.
[2]- تركي رابح- التعليم القومي والشخصية الجزائرية- المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- ط2- 1981- ص 54.
[3]- أبو القاسم سعد الله- الاتجاه العربي في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين- مجلة الثقافة- وزارة الثقافة والإعلام- الجزائر- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- السنة 6- العدد 31- صفر/ ربيع الأول 1396هـ - فبراير/ مارس 1976م- ص 24.
[4]- المرجع نفسه، ص 24.

فالتميز والنظر نظرة الازدراء والاحتقار كان هو شعار المعاملة الاستعمارية للجزائريين، بخاصة منهم الذين حاولوا المحافظة على كيانهم وشخصيتهم وقاوموا إغراءات المستعمر من خلال التمسك بالدين الإسلامي والتفافهم حول تعاليمه وشعائره وكذا تقاليدهم العريقة التي ورثوها عن أجدادهم ، هذا التمسك الذي لم يرق للاستعمار فكان الإسلام الجزائري حينئذ في نظره هو "صيغة تعني الانحطاط والتخلف في مقابلة المواطنة الفرنسية التي تعني الرفعة والتقدم"[1].

ولم يكن من معنى لهذه الفكرة سوى إذلال الجزائريين ودفعهم للخضوع والخنوع والاستكانة من خلال حملهم على التخلي عن مقومات شخصيتهم من لغة ودين، فكانت النتيجة ما توصل إليه قانون مجلس الشيوخ الفرنسي الصادر سنة 1865م حينما نص على أن:

" الجزائري المسلم مخير بين حالتين إما حالة المواطنة الفرنسية والخضوع للقانون العام الفرنسي إذا تخلى عن أحواله الشخصية، وإما حالة الأهلية (الأنديجينا) أو الرعية مع البقاء على قواعد الشريعة الإسلامية"[2].

وبديهيا فقد اختار الجزائريون الحالة الثانية و ما كان فيها من سوء المعاملة و الإجحاف و الحرمان، " فأصبحت حياة الشعب الجزائري مهددة بمزاحمة طاغية عليها، وتصدعت فيها مقوماتها من لغة و دين و تاريخ و ثقافة، فلم يكن في تاريخ الأمة العربية الحديث محنة أقصى، وملمة أفدح، ومصيبة أشد من أخطبوط الاستعمار الذي عصف بوجود شعب كامل"[3].

فَرَفْضُ الجزائريين للمواطنة الفرنسية و إيثارهم للحرمان وسوء المعاملة والمعاناة على الإغراءات الاستعمارية والحياة الرغيدة مع الذل و الهوان، جعل تمسكهم بدينهم ولغتهم فكرة بنوا عليها حياتهم وعاشوا بها و لأجلها ، فصارت بالنسبة لهم هي الوطن و هي الملجأ الذي يأوون إليه لمجابهة فضائع المستعمر.

---

[1]- المرجع السابق، ص 24.
[2]- المرجع نفسه، ص 24.
[3]- محمد عباس- البشير الإبراهيمي أديبا- ص 09.

" وباسم هذه الفكرة قاوم الجزائريون الاحتلال عسكريا وسياسيا، فالجهاد الذي أعلنه الأمير عبد القادر مثلا لم يكن قاصرا على المفهوم الديني وحده، وإنما كان يعني بالدرجة الأولى الدفاع عن الوطن والقومية (اللغة والحضارة والمستقبل)، ونفس الشيء يمكن أن يقال عن أنواع المقاومة التي شهدتها الجزائر من قبل سواء كانت مقاومة عسكرية أو سياسية " [1].

ولم تكن هذه الفكرة خافية عن الاستعمار بل جعلها نصب عينيه لمحاربتها و وأدها حتى لا يستفحل أثرها في الجزائريين.

" كان قادة الاحتلال يعرفون مدى ارتباط الدين بالشعور الوطني للجزائريين، و يدركون أيضا تعلق الشعب الجزائري بثقافته وحضارته العربية فكانت العواطف الدينية والشعور القومي يشكل فكرة الكيان الوطني الذي جعل اللحمة الجزائرية متينة ومتماسكة"[2].

وسعوا سعيا حثيثا حتى لا يأخذ الجزائريون بأسباب القوة والانطلاق بل وفروا لهم أسباب الضعف والانهزام والانقياد والانسلاخ من كيانهم الحضاري، حتى يبقى الاستعمار."وكان لا يزال يستهدف من وراء ذلك ألا يوجد مواطن عربي سليم يعيش في وطن عربي سليم... لم تكن القوة في يوم من الأيام قادرة على هزيمة الشعوب السليمة الموحدة...ولكن الفرقة والتخلف كانت من أسباب الهزيمة... ولولا هذه الفرقة ما تواجد الاستعمار قديما ولا حديثا ... ولولاها ما استطاع أن يحكم ويتحكم"[3].

وللأخذ بأسباب القوة سعى الجزائريون إلى الالتفاف حول مقوماتهم الحضارية من لغة ودين وثقافة وتاريخ، وكذا في صلتهم بإخوانهم في سائر البلاد العربية والإسلامية التي سعى المستعمر إلى فصل الجزائريين عنها، و قطع أواصرها.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله- الاتجاه العربي في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين- مجلة الثقافة – عدد:31- فيفري / مارس 1976- ص 25.

[2]- التلي بن الشيخ- دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945م)- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1983- ص 27 بتصرف.

[3]- حسن دوح- حوار مع الأجيال- دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع- تونس- 1981، ص 24.

" وأقسى عداء استعماري جابهته العروبة والإسلام في الجزائر ذلك الذي يستهدف أية رابطة تربطهما بشعب عربي أو إسلامي خارج الحدود ، فكانت الهجمات مسلطة على الجبهة الداخلية، وعلى الجبهات التي يمكن أن تكون مصدرا لإمداد خارجي"[1].

ولئن لاقت اللغة العربية هجمة ضارية من المستعمر فإن هذه الضراوة بالضرورة هي موجهة للقرآن الكريم الذي هو عماد الإسلام، ولغته العربية هي روح القومية والانتماء الذي يفخر به الجزائريون ويتمسكون به، وقد كانت معركة مريرة فالاستعمار الدخيل "وهو يطارد لغة الدين والتاريخ والقومية على يقين من أنه إذا أصابها أصاب المقتل فلا غرو أن يصوب الضربة القاتلة إلى الملاذ الأخير للضاد إلى القرآن الكريم: علينا أن نحرر هذا الشعب ونخلصه من قرآنه ." أرسلها " لافيجري "صليبية مسمومة، وهو رجل الكنيسة أدرى من غيره بتأثير الكتاب المقدس في نفوس المؤمنين به، ويضيف : فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر"[2].

فهذا الكاردينال المبشر المسيحي يعلنها دعوة صريحة وإشارة واضحة إلى أن للكنيسة اليد الطولى في استعمار الجزائر، وأنها إنما تنظر للجزائريين نظرة صليبية حاقدة، لا يقل فحواها عن الحروب الصليبية المعروفة في التاريخ الإسلامي والتي كانت فرنسا حاملة لوائها ومؤججة نيرانها، فكذلك تريد الاستمرار في مهمتها من خلال العمل على تنصير الجزائريين والسعي لدفعهم إلى الانسلاخ من عقيدتهم ولغتهم و ثقافتهم وتاريخهم، وكانت على مشارف النجاح في هذه المهمة لولا أن قيض الله لهذا الشعب أبناء مخلصين وعلماء عاملين نافحوا عنه ورفعوا عنه حجاب الجهل والاستكانة والخضوع وأبدلوه عنه رغبة في الحرية وشغفا بالاستقلال واستعداد للتضحية.

[1]- صالح خرفي- شعر المقاومة الجزائرية- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر، ص 273.
[2]- المرجع نفسه، ص 266.

2- ظروف وعوامل نشأة الشهاب:

سعى الاستعمار الفرنسي إلى "إخراج الجزائر من العائلة العربية ليقتطعها من الوطن العربي، ويبعدها عن الحماية العربية ليسهل عليه ثمة افتراسها كالشاة القاصية، فقضى على المعالم الثقافية أو كاد"[1].

و كان الجهل من وسائل الهجوم الفرنسي على الجزائر "فسياسة التجهيل تجسم رأس الحربة في الاستعمار الفرنسي، و يوم كان العالم المتيقظ يسهر على محو الأمية كانت الدوائر الاستعمارية في الجزائر تبيت الخطط لنشر الأمية وقتل كل معنويات الشعب"[2].

فبالإضافة إلى سياسة التجويع اتَّبَع الاستعمار الفرنسي سياسة التجهيل، فتجويع الجزائريين مع البطالة المحكمة كان ضربا من الحصار الاقتصادي على الشعب الجزائري، الذي اضطرت الظروف كثيرا من أفراده للهجرة إلى فرنسا، فاتخذهم الفرنسيون عمالا مغتربين مهاجرين في المناجم والموانئ وغيرها من الأعمال الشاقة التي يأنف منها الأوروبيون، ويخشون عبأها وشقاءها وكان العرف الاستعماري يعتبرهم عبيدا مملوكين لاعمالا لهم حقوق وعليهم واجبات.

كما افتك الاستعمار من الفلاحين الجزائريين أراضيهم وممتلكاتهم وجردهم منها وشردهم إلى الجبال والصحاري ،" ونشر الأمية والجهل في المدن والقرى، وقطع الصلة بين الريف والمدينة، وبين القبيلة والقبيلة وبث بينهما الحقد والضغينة، فتعكرت الحياة الاجتماعية في الجزائر، وظل أهلها يتخبطون في مستنقع أسن وعيشة ضيزى "[3].

فقد أقصي الجزائري عن وطنه وامتهن في أعز مقدساته وجرد من كل شيء إلا من إيمانه وإبائه، فلم يستطع الاستعمار أن يأتي عليهما لأنهما الروح التي يحيا بها .

هذا الإيمان والإباء الذي بثته الكتاتيب والمساجد المنتشرة في البلاد قبل الاحتلال الفرنسي التي كان يتلقى فيها النشء ثقافته العربية الإسلامية "فلا يجهل الاستعمار أن العلم سيف قاطع، فإذا تسلح به الجزائري أمكنه أن يقاومه، فسعى حينئذ في تجهيل الأمة الجزائرية، فشغله الشاغل هو إفناء العنصر العربي الإسلامي بالتفقير وتجهيل ما بقي منه"[4].

---

[1]- محمد عباس- البشير الإبراهيمي أديبا - ص 09.
[2]- صالح خرفي- شعر المقاومة الجزائرية- ص 229.
[3]- محمد عباس- البشير الإبراهيمي أديبا- ص 09-10- بتصرف.
[4]- محمد الطمار- تاريخ الأدب الجزائري- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 2006- ص 370.

" كانت فرنسا مدركة أن وجود الدين الإسلامي من العوامل التي تساعد على عدم سيطرة فرنسا على الجزائر لذلك عملت المستحيل من أجل محو الإسلام في الجزائر، وكان الفرنسيون يحرمون تفسير القرآن وخاصة الآيات التي تشمل آيات الجهاد"[1].

فقد حولت فرنسا المساجد إلى كنائس و اصطبلات وهدمت الكثير منها واستحوذت على أوقافها وشوهت المعالم الإسلامية، كما "قضت على التعليم الوطني واضطهدت اللغة العربية بتقليص عدد الكتاتيب القرآنية، ووضع قيود وتشريعـات تحد من فتح أي كتـاب أو مدرسة لتعليم القرآن واللغة العربية، وأيضا بمضايقة الزوايا ولم تسمح بالتعليم فيها إلا بشروط خاصة وتحت مراقبة دقيقة، بهدف القضاء على الثقافة الوطنية وبعثرة التراث ومسخ المقومات"[2].

و الزوايا المقصودة هي زوايا القرآن والعلم والتربية التي كانت منتشرة في الجزائر خلال فترة الاستعمار حيث كانت حصنا للإسلام والعربية، ومدرسة للتربية الدينية والوطنية، ومعقلا للمخلصين الذين رفضوا الاستعمار وما يحمله من فساد.

"وقد كانت هذه الزوايا محط الرحال لطلبة القرآن واللغة العربية والعلوم الإسلامية ... هذه الزوايا المعروفة في الجزائر هي زوايا القرآن واللغة العربية والعلوم الدينية...وقد خطط الاستعمار لإفساد العقول وتدمير النفوس وتخريب العقائد، وتشويه كل مظهر إسلامي وإخراس كل لسان عربي حتى لا يعبر عن شعور الأمة وآلامها وكبت غضبها ونزع إحساسها الديني والوطني والقومي، وفصلها عن ماضيها وتراثها وحضارتها، ويجعلها أمة بلا أصول ولا جذور، فتتعرض للهزات العنيفة والتيارات الجارفة"[3].

و عمل الاستعمار على محاربة زوايا القرآن والثقافة الإسلامية من خلال طمسها وتشويه سمعتها والقضاء عليها بشتى الطرق، فاستولى أولا على أموال الأوقاف والأحباس التي كانت تموِّلُها وقطع عنها كل المساعدات التي يمكن أن تصلها، ثم شجع طائفة من ذوي النفوس الخبيثة والضمائر الميتة والهمم الساقطة والعقول المريضة على إنشاء أوكار للفساد في القرى

---

[1]- جمعان حمدان الغامدي- مقالات في الأدب- إشراف:علي حسن العبادي و محمود المنصور الشقحاء- مطبوعات نادي الطائف الأدبي- مطابع الزايدي- الطائف- المملكة العربية السعودية، ط1، 1399هـ- ص 108.

[2]- محمد الطيب العلوي- مظاهر المقاومة الجزائرية- 1830م-1954م- منشورات المتحف الوطني للمجاهد المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار- الرويبة- الجزائر- ط2-1994- ص 110.

[3]- محمد نسيب- زوايا العلم والقرآن بالجزائر- دار الفكر- دمشق سورية- دار الفكر- المرادية - الجزائر- مطبعة النخلة- بوزريعة الجزائر- 1989م- ص 33-34.

والمدن على أنها زوايا وما هي إلا مراتع للمناكر والبدع والضلالات حتى تختفي زوايا القرآن والعلم والمعرفة وتبرز زوايا الدروشة والشعوذة فتختلط بها وتتشابه الأمور على الناس، ويظللوا عقولهم بما ينشروه من أوهام، وخرافات وأكاذيب، فصار الناس لا يستطيعون التفريق بين عالم ودجال، ومصلح ومفسد فصار المشعوذ المحتال مقدسا تخضع له الرقاب وتنحني له الرؤوس وتنقاد له النفوس، وهذا لا يكون إلا بنشر الجهل والأباطيل بين الجزائريين.

" ولم يكن باستطاعة هذا الواقع المفروض أن يحول دون الجزائريين والاستماتة في الحفاظ على لغتهم التي تشبثوا بها لتحيا وتبقى، وإذا كان هذا التشبث قد ظل مقتصرا على بعض المساجد والزوايا والكتاتيب، فإن الذي أبقى اللغة العربية حية في ضمير الشعب الجزائري هي عقيدته الدينية الإسلامية الراسخة التي جعلته يقدر اللغة العربية على أنها شيء مرادف للدين نفسه " [1].

و من هذا المنطلق فإن الفضل في هذا التشبث باللغة العربية طوال هذه الفترة الطويلة من الاستعمار ، يرجع إلى هذه العقيدة الراسخة رغم محدودية الوسائل وقلة عدد هذه المراكز التعليمية التي ساعدت على بقاء اللغة العربية.

"فإذا كان الجهل يقف في الخطوط الأمامية من الهجوم الفرنسي، فلم لا يكون العلم في الخطوط الأمامية من الدفاع الجزائري؟ و لم لا يرتفع شعارا لكل إصلاح اجتماعي؟...إن المدرسة الحرة أصبحت المدرسة العسكرية التي تقلد المواطن السلاح المعنوي الذي أراد المستعمر تحطيمه"[2].

فبيت الداء في استمرار الاستعمار هو الجهل، ولا حرية ولا كرامة ولا رقي إلا بمدافعة هذاالجهل ورفعه عن هذه الأمة.

" فقد كان موقف الاحتلال الفرنسي من الثقافة العربية موقفا عدائيا، بل عنصريا، فحارب اللغة العربية بكل الوسائل، ومنع تعلمها وتعليمها، و أصبح ذلك جريمة يعاقب عليها

[1]- محمد ناصر- الشعر الجزائري الحديث- اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925م -1975م - دار الغرب الإسلامي - بيروت- لبنان- ط1، 1985- ص 18.
[2]- صالح خرفي- شعر المقاومة الجزائرية- ص 229.

القانون، ويضاف إلى هذا محاولة إظهارها في صورة بدائية لا تصلح لأن تكون لغة علم وحضارة، كما أقصاها عن الإدارة وأحل اللغة الفرنسية محلها".[1]

و لم يكتف المستعمر بجعل التعليم كله باللغة الفرنسية لأجل تنشئة أفراد المجتمع الجزائري على اللغة الفرنسية وحدها، فيطلعون من خلالها على الثقافة الفرنسية ليتأثروا بها ويتحمسوا لها في غياب اللغة العربية، فالاستعمار لم يكتف بهذا فقط بل منع التعليم باللغة العربية سعيا منه لفرنسة المجتمع الجزائري كله .

" و زيادة على جعل التعليم باللغة الفرنسية، ومحاولة تكوين النخبة المفرنسة من الجزائريين الذين يساعدون على نشر اللغة الفرنسية بين أهليهم... فُرِضت اللغة الفرنسية في الإدارة والمحيط الاجتماعي وأجهزة الإعلام، فأصبحت هي اللغة الرسمية في الإدارة وهي اللغة الوحيدة المستعملة في كتابة أسماء المحلات والشوارع وكل المرافق العامة، واستبدلت معظم أسماء الشوارع العربية والمدن بأسماء قادة الغزو العسكري والفكري للجزائر ولأعلام الفكر والأدب الفرنسي"[2].

وكانت تهدف سياسة الفرنسة تلك إلى جعل البيئة الثقافية الجزائرية جزء من البيئة الثقافية الفرنسية ، ففرنسة الإدارة والمحيط الاجتماعي مع فرنسة التعليم تؤدي حتما إلى الفرنسة الكاملة للمجتمع الجزائري وهي منتهى الغاية التي كانت تسعى الإدارة الفرنسية لتحقيقها من وراء كل محاولاتها.

" وقد قاوم المجتمع الجزائري سياسة الفرنسة طيلة عهد الاحتلال، وكان سبيله إلى ذلك هو الرفض الكامل لما يأتيه من الإدارة الفرنسية حتى ولو كان يخدم مصالحه، كالخدمات الاجتماعية التي كانت تسعى الإدارة الاستعمارية للتقرب بها من الأهالي في بعض المناطق"[3].

كان العامل الديني والثقافي الفاصل الجوهري بين المجتمعين الجزائري والفرنسي والحائل الذي وقف دون أية فرنسة أو اندماج أو ذوبان في المجتمع الفرنسي.

---

[1]- التلي بن الشيخ- دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة- 1830-1945م- ص 15.
[2]- أحمد بن نعمان- التعريب بين المبدأ و التطبيق- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1981م- ص 156.
[3]- المرجع نفسه - ص 175.

وعن رفض المجتمع الجزائري للفرنسة والاندماج تقول المؤرخة الفرنسية " إيفون تورين: "وبدأ الصراع يوم بدأ المحتل يفرض لسانه وتفكيره وأسلوبه في الحياة مستعملا المدرسة والمستشفى، المعلم والطبيب... ورد المسلمون الهدية المسمومة لصاحبها الذي يحدث المدارس فلا يجد لها تلاميذ، وينشئ المستشفيات فلا يتردد عليها المرضى، وتعددت الصعوبات في وجه المحتل وكثرت وأصبح الدين الإسلامي كالإسمنت المسلح يحمي من التفكك والاندماج"[1].

ورغم هذه المقاومة والرفض الصريح والقاطع لسياسة الفرنسة فإن الإدارة الفرنسية لم تكف يوما عن استعمال مختلف الأساليب و الوسائل للوصول إلى تحقيق الهدف المنشود.

و أهم هذه الوسائل هو القضاء على المؤسسات التعليمية العربية القائمة، ومنع تدريس العربية في المدارس الرسمية الفرنسية، وكذا حظر استعمال اللغة العربية في المجال الرسمي حظرا مطلقا، فكل الوثائق لا تقبل في الإدارة إلا إذا كانت مكتوبة باللغة الفرنسية، وتعدى الأمر إلى الحياة العامة كالرسائل والشوارع والمحلات ، كل شيء مكتوب باللغة الفرنسية، فالتوقيع على الوثائق لا يقبل إلا باللغة الفرنسية . ولم تسمح الإدارة الفرنسية للأهالي بتأسيس المدارس والمعاهد لتدريس الإسلام واللغة العربية، ولو بأموالهم الخاصة، وإذا سمحت بإنشاء بعض الكتاتيب والمدارس فإنها تشرط لذلك شروطا مجحفة وتفرض عليها رقابة قاسية غالبا ما تخرجها عن هدفها الذي أنشئت لأجله وتعرقل عملها.

"و كان الفرد المتعلم باللغة العربية والأمي في درجة واحدة أمام الإدارة الفرنسية، وهذا كله لتزهيد الأهالي في تعلم اللغة العربية وإلزامهم بتعلم اللغة الفرنسية " [2].

وقد أتت هذه السياسة ببعض النتائج تتمثل أهمها في "إنشاء نخبة متفرنسة من الجزائريين أصبحت تدعو إلى تعلم اللغة الفرنسية ونشرها كلغة علم ومدنية متأثرة بالثقافة الفرنسية، معرضة عن كل ما هو عربي إسلامي... وتسمية هذه الفئة المفرنسة بالنخبة

[1]- المرجع السابق - ص 175. نقلا عن :
Ivonne Turin , affrontement culturel dans l'Algérie coloniale, François Maspero-1- Paris- 1971- p :36.
[2]- المرجع نفسه - ص 166.

يدل على أنها كانت تمثل أقل القليل بالنسبة لمجموع السكان الذين كانت تتجاوز نسبة الأمية بينهم تسعين بالمئة طيلة عهد الاحتلال، فضلا عن أن الإدارة الاستعمارية لم تكن تسمح بمواصلة التعليم الثانوي والعالي إلا لأبناء العائلات التي تطمئن لولائها "[1].

و هذه الفئة تثقفت بالثقافة الفرنسية الخالصة وتشبعت بها وانبهرت بمظاهر الحضارة الفرنسية،لذا أصبحت تدعو بحماس لإدماج الجزائر في فرنسا والتجنس بجنسيتها، فهي تحقق للمستعمر جزء كبير من سياسته الرامية إلى محو الشخصية الجزائرية.

إن أمة هذا حالها وشعبا هذه حياته لا بد من المبادرة بإصلاح حاله وتقويم حياتـــه وإلا صار الاستعمار الدخيل أصيلا سيِّدا في هذه البلاد وأهلها غرباء عبيدا، " و يخطئ كثير من الناس – حتى بعض الباحثين – حين يربطون الإصلاح الديني والاجتماعي في الجزائر بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ذلك أن الدعوة إلى الإصلاح أقدم بكثير من تاريخ إنشاء جمعية العلماء"[2].

هذه الدعوة التي نجدها عند الكثير من أعلام الجزائر قبل إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جذورها ممتدة في كتابات وأعمال هؤلاء الأعلام غير أنها كانت معزولة وفردية ومحدودة التأثير.

" لكن الإصلاح الذي جاء به العلماء يختلف حجما وعمقا عن الإصلاح الذي ظهر قبلهم، فإذا كان الإصلاح في مرحلتـــه الأولـــى يقوم على مقالة في جريدة أو فصـــل فـــي كتـــاب، أو خطبة في مسجد أو ناد، فإن إصلاح العلماء قام على خطة عمل مرسومة للوصول إلى هدف محدد"[3].

و كانت لهذه الخطة أهداف قريبة وأخرى بعيدة ولكل أهداف وسائلها وأدواتها كما أنها لم تهمل أي جانب مادي أو معنوي إلا و أعـــدت له العدة و حاولت استيفاء شـــروط بلوغـــه و نجاحه.

---

[1]- المرجع السابق - ص 185، بتصرف.
[2]- أبو القاسم سعد الله- أفكار جامحة- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1988م- ص 32.
[3]- المرجع نفسه- ص 33 .

"ولسنا هنا بصدد ذكر برنامجهم ونقده، و لكن يكفي أن نقول أنه يمثل دفعة جديدة ربطت الإصلاح بالدين والدنيا، وبالتراث والوطنية، وقد كان الإصلاح قبل العلماء محتشما أو حذرا لأنه صادر عن أناس مدينين في الأغلب للإدارة الاستعمارية بوجودهم، أما بعد العلماء فقد أصبح سافرا جريئا"[1].

وذلك لكون العلماء حافظوا على استقلاليتهم، واستقلالية وسائلهم عن الإدارة الاستعمارية فليسوا موظفين لديها، ولا ينشرون في جرائدها، ولا يطبعون في مطابعها، كما أن المساجد والمدارس الحرة كانت هي ميادين نشاطهم ومضامير سبقهم لنشر دعوتهم الإصلاحية.

"وإذا كان الوفاء للتاريخ يقاس بما تبذله الشعوب من جهود في ظل الاحتلال الأجنبي لمقاومة الذوبان في المحتل، فإن ما بذلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ظل الاحتلال الفرنسي من جهود وتضحيات، ومن ورائها الشعب كله،لا للمحافظة على لغة الوطن الثقافية فقط، بل لاستردادها من قبضة الحكم الاستعماري وتمكين أبناء الشعب من مقاليدها هو جهد لم يسجل لأي فئة منظمة في العالم الإسلامي والوطن العربي كما سجل لهذه الجمعية"[2] ، فهي رمز للوطنية ومثال للتضحيات، و الجزائريون قد بلغوا في الوطنية درجة الشعوب المتقدمة، بل هم أشد وطنية من الفرنسيين أنفسهم، ولا أدل على ذلك من حفاظهم على كيانهم واستماتتهم في الدفاع عن وطنهم ومقوماتهم الحضارية طيلة فترة الاحتلال الغاشم.

وكانوا مؤمنين إيمانا راسخا وقويا بالحرية و وجوب الاعتماد على النفس في تحصيلها من خلال توفير الوسائل لذلك.

"وقد كان الشيخ ابن باديس يوما في جلسة مع جمع من الشباب الوطنيين ومعهم بعض الشيوخ (العقلاء) وكان الحديث يدور حول السياسة الإصلاحية التي ينادي بها الشيوخ، والسياسة الثورية التي ينادي بها الشباب، فقال شيخ من هؤلاء للشيخ ابن باديس

[1]- المرجع السابق - ص 33.
[2]- عبد الله شريط- نظرية حول سياسة التعليم والتعريب- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984م - ص 9- بتصرف.

عن الشباب الوطنيين: يا شيخ إنهم مجانين؟ فرد عليه الشيخ ابن باديس بقوله: جنوا مثلهم، جنوا مثلهم، جنوا مثلهم ، و رددها ثلاث مرات"[1].

و أورد عمار الطالبي بعض مواقف الشيخ عبد الحميد بن باديس و ميوله للثورة على المستعمر فقال : " في أوائل سنة 1940م،قبل و فاته كان قد صرح في اجتماع خاص ، مقسما فقال : (و الله لو وجدت عشرة من عقلاء الأمة الجزائرية يوافقونني على إعلان الثورة لأعلنتها). و كان ذلك بمبنى جمعية التربية و التعليم في قسنطينة و بحضور الأستاذ علي مرحوم و عبد الحفيظ جنان ... و حينما حمي و طيس الحرب العالمية الثانية ، اجتمع به جماعة من أنصاره فقال :(عاهدوني)، فلما أعطي له العهد بالمصافحة ، قال : (سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر عليها إيطاليا الحرب) "[2].

فالدعوة للإصلاح عنده لا تعني السلبية، بل تعني العمل بكافة الإمكانيات المتاحة لتقويم الاعوجاج ورأب الصدع ومجابهة الاستعمار على كافة المستويات وفي كل الميادين وبجميع السبل والوسائل.

" وأهم ما ركز عليه إصلاح العلماء تصفية الدين من الخرافات وبعث التعليم العربيوإحياء التراث بنشر حضارة الإسلام، وإخراج جيل يؤمن بهذه القيم ليدعم الحركة الوطنية"[3].

هذا الإصلاح الذي بدأ يتجسد في واقع الجزائريين انطلق في كافة نواحي الحياة المادية منها والروحية، ويمكن إجماله في محورين اثنين:

- أولهما: تصحيح عقائد الناس وأعمالهم من خلال نشر الفهم الصحيح للقرآن والإسلام.

" و قد كان منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند الشيخ عبد الحميد بن باديس مبنيا علـــى جعـــل العقيـــدة بكل أبوابها مستقاة من نصوص الكتاب و السنة الصحيحة ،

[1]- المرجع السابق - ص 68.
[2]- عمار الطالبي – ابن باديس – حياته و آثاره – الشركة الجزائرية – الجزائر – ط3 – 1417هـ - 1997م – ج 1 – ص 88 – 89 .
[3]- عبد الله شريط - نظرية حول سياسة التعليم والتعريب - ص 33 .

و دعوته الناس إلى أخذ العقيدة منهما ، مع التقيد بفهم السلف الصالح " [1].

و ذلك من خلال إحياء جذوة الدين الإسلامي في نفوس المسلمين ، حتى يعود كما كان في عصور الإسلام الأولى ، قوة دافعة للنهضة و البذل و التضحية و العمل ، باعتباره نظاما روحيا و اجتماعيا في آن واحد.

و لا يكون ذلك إلا " بمكافحة الخرافات و البدع و الأفكار الشاذة الغريبة عن الدين ، التي ألصقت به في عصور الجهل و الجمود و الانحطاط ، و تنقيته من كل لون من ألوان الشرك ، سواء كان جليا أو خفيا كإشراك الأولياء و الأضرحة مع الله سبحانه و تعالى في طلب المنافع و دفع المضار " [2].

و كان هذا دأب كل دعاة الإصلاح في جميع العصور الإسلامية إذ " كانوا يستوحون دعوتهم من مبادئ الإسلام الصحيحة ، فكانوا يبدأون بتطهير النفوس و العقول من البدع و الخرافات و ما يتصل بالأسس العقائدية ، ثم يتدرجون في سلم الحياة الاجتماعية و السياسية ، و هذا الطريق هو الذي سار عليه علماء الجزائر في الربع الثاني من القرن العشرين و على رأسهم الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس ، الذي كان رائد حركة الإصلاح و النهضة في الجزائر " [3].

و فكرة الإصلاح لم تكن غريبة عن مفكري الجزائر ، فالإصلاح من تعاليم الإسلام الأساسية لأن جذوره مستمدة من القرآن الكريم ذاته.

و من هنا كان للإسلام دور هام في الإصلاح خلال كل عصر من العصور التي شهدت انحطاطا واضحا في الحياة الفكرية و الاجتماعية و الدينية ، لذلك فإن المصلحين الذين برزوا على رأس كل عصر كانوا يرجعون في معالجة الأمراض الاجتماعية ، ومحاربة البدع و الخرافات التي تُلصق بالدين ، إلى منابع الإسلام الصافية التي هي القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة.

---

[1]- محمد حاج عيسى – عقيدة العلامة عبد الحميد بن باديس – دار الإمام مالك – الجزائر – ط1 – 1424هـ - 2003م – ص 11 .

[2]- تركي رابح – ابن باديس و نشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر – مجلة الأصالة - وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية – الجزائر – السنة : 04- العدد : 24 – ربيع الأول / ربيع الثاني 1395 هـ - مارس / أفريل 1975م – ص 75 – بتصرف .

[3]- عبد الكريم بو الصفصاف – جمعية العلماء الملمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية – 1931م/ 1945م – دار البعث للطباعة و النشر – قسنطينة – الجزائر – ط 1 – 1401هـ - 1981م – ص 52- بتصرف .

وثانيهما: الاهتمام بالتعليم من خلال فتح المدارس في كافة أنحاء الجزائر، ونشر التعليم العربي في المدارس لأول مرة بعد الاحتلال الفرنسي.

" و نجحت حركة الإصلاح في تعميم التعليم العربي وحققت التعريب وأنشأت المدرسة الجزائرية العربية الصامدة أمام المدرسة الفرنسية، وأعادت للنفوس الجزائرية المكلومة ثقتها وشحذت الهمم وبثت الوعي، وأعدت الشعب إعدادا علميا وروحيا ونفسانيا لمواجهة المستعمر" [1]، حيث نشأ جيل تصدى للمهمات الجسام التي أنيطت به.

"وقد كان إقبال الشعب الجزائري على تعلم العربية، وبناء المدارس من ماله الخاص، تعبيرا صادقا عن مدى تمسكه واعتزازه بعروبته بالرغم من الحاجة والخصاصة التي كان يعيش فيها"[2].

و كانت الصحافة أهم وسيلة استخدمت لتحقيق الهدفين المذكورين آنفا، فتوجه رجال الإصلاح إلى الميدان الصحفي، بعد الذي شاهدوه من تدفق عجيب وانتشار واسع للصحف الاستعمارية وكذا صلتهم بالصحف في بلاد المشرق العربي، فعلمهم ذلك أن يستفيدوا من هذه التجربة و يستعملوا هذه الوسيلة هم الآخرون ، في المطالبة بحقوقهم وإصلاح أحوالهم ونشر أفكارهم.

و تمكنت الصحافة بما كانت تتمتع به من حريات وما تتميز به من انتشار وتمارسه من سلطات أن تهز خرافة فرنسا التي لا تقهر، وذلك جراء ما تعرض له الكتاب الجزائريون من ضغط وكبح جماح الحرية لديهم.

هنا " أدركوا أهمية الدفاع عن حقوقهم والتعبير عن مطالبهم أسوة بالأقلية الأوروبية التي استطاعت استخدام حقها في هذا الميدان بمهارة وذكاء، كما اقتنع المثقفون الجزائريون بأهمية الصحافة كوسيلة فعالة للنشر وتوصيل مشاكلهم ومطالبهم"[3].

---

[1]- عبد الرحمن بو سلامة- التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1981م- ص 29-30.

[2]- التلي بن الشيخ- دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830م - 1945م - ص 52.

[3]- عواطف عبد الرحمن- الصحافة العربية في الجزائر- دراسة تحليلية لصحافة الثورة التحريرية- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر- 1980م- ص 29.

و انبرى لهذا العمل الصحفي ثلة من الكتاب والعلماء على السواء قاموا بنشر الفكر والثقافة العربية والعقيدة الإسلامية لتكون في متناول الخاصة والعامة وذلك "على الرغم من الظروف القاسية التي عانى منها حملة القلم أيام الاستعمار الفرنسي الذي حاول القضاء على كل ما يمت إلى الثقافة بصلة... أقول على الرغم من كل ذلك كانت هناك حركة فكرية وصحافة أدبية، كان لها دور في رفع الهمم وإثارة الحمية، صدرت من جيل عانى من الكفاح والنضال والعمل من أجل سمو الكلمة"[1].

هذا الزمن هو زمن يدعو لليأس والكآبة،" زمن انطفأت فيه شظوة المقاومة ودب فيه اليأس في قلوب الناس، ولكن هذا الزمن هو أيضا زمن ظهور الرجال الحقيقيين وبريق المعادن الأصيلة"[2].التي عملت على رفع الغبن عن هذا الشعب وضحت لأجل نشر العلم والثقافة بين أفراده سعيا للهدف الأسمى الذي هو التحرر من براثن الاستعمار البغيض.

" فهناك كثير من العوامل التي ساعدت مجتمعة ولا شك مساعدة فعالة على نشأة الصحافة العربية في الجزائر، ولكنها لم تجد الطريق ذلولا ولا المسيرة سهلة، بل إن جهاد الصحافة الوطنية الجزائرية في هذا المضمار طبع تاريخ حياتها، ورسم واقعها بطابع المقاومة المستمرة، لأنها اصطدمت منذ البداية بعدو استعماري لدود"[3].

وعلى الرغم من هذا الوضع المتأزم إلا أنها استطاعت أن تقف مُقَاوِمَةً في تَحَدٍّ وصبر وعزيمة، جعلها تكتب تاريخا مشرفا حافلا بالصراع والمقاومة عنوانه التصميم والتحدي.

"و أول ما يلفت النظر لمتتبع تاريخ هذه الصحافة هو هذا التساقط المتتابع وهذا الانقطاع المستمر، فإن أغلبها لم يعمر إلا يسيرا ، فلم تكن أعمارها تقـاس بالأعـــوام و السنين ولكن بالشهور والأيام"[4].

[1]- أحمد دوغان- شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر- المؤسسة الوطنية للكتاب- الرغاية- الجزائر- 1989م- ص 130.
[2]- جهاد الترباني- مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ- دار التقوى- القاهرة- مصر- ط1- 1431هـ - 2010 م- ص 73.
[3]- محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية- من 1847م إلى 1939م- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1980م- ص 08.
[4]- المرجع نفسه - ص 08 – بتصرف .

وهذا ما يساهم في فهم تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، ولا سيما الوطنية منها على وجه الخصوص ، فهي نشأت في مناخ خانق، ويعود هذا أساسا إلى أن " الصحافة العربية في الجزائر كانت تعاني من الواقع الاجتماعي والسياسي الشاذ الذي فرضه الاستعمار الفرنسي على الجزائر، ومن ثم كان على هذه الصحافة أن تعيش في صراع أبدي في سبيل حياتها، وتناضل باستمرار لتشق طريقها، فقد كانت تواجه في آن واحد مستعمرا حقودا يهددها بخنق الأنفاس كلما حلاله أن يفعل ذلك، وشعبا أميا جاهلا لا يمد لها يد المساعدة الأدبيـــة، بل الماديـــة إلا في أندر الحـــالات، وطرقييـن متعصبين، وجامدين متزمتين"[1].

هذه الأصناف من الذين امتلأت قلوبهم حقدا على بني جلدتهم، فقاموا يحاربون هذه الانطلاقـــة ويعوقونهـــا، تارة بتخذيل الناس عنها حتى لا يمدوهـــا بالمساعـــدة أوينصروها، وتارة أخرى بالسعي لدى الدوائر الحاكمة الاستعمارية ضدها بالوشاية حتى تضع لها العقبات الإدارية والفنية التي تبدأ عادة من رخصة الامتياز التي لا يحصل عليها الأهالي إلا بعد طول انتظار وعديد التذلل ثم تنتهي غالبا بقلة وسائل الطباعة بالعربية وفقدانها.

" والملاحظ أن صحافة الإصلاح كانت أكثر ارتباطا بالواقع الجزائري من الصحافة الجزائرية التي أسسها بعض الأفراد مثل جريدة النجاح على سبيل المثال، ذلك أن قادة الإصلاح كانوا يعيشون مع الطبقات الاجتماعية ويحسون المشاكل الاجتماعية عن قرب، كما أنهم كانوا يباشرون الكتابة في الصحافة بأنفسهم، من أجل رسالة وهدف، وليس من أجل جمع المال والشهرة، وقد انعكس تأثير فكرة الإصلاح على الأدب الجزائري، من حيث موضوعاته ومحتواه"[2].

فمن العلماء والمصلحين من كان من أسرة غنية مرموقة غير أنه آثر العيش في الأوساط الشعبية حتى يحيا آمالها وآلامها ، طموحاتها ومعاناتها، "وأبرز مثال عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس فإنه– لكي يؤدي رسالته الإصلاحية الثقافية بصورة وافية– لم يلبث أن انسلخ عن وسطه الاجتماعي، وعاش في وسط أوسع محيطا وأغزر محتوى

[1]- المرجع السابق - ص 09.
[2]- التلي بن الشيخ- دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة- 1830م-1945م - ص 52.

اجتماعيا وإنسانيا، وهو المحيط الشعبي، ولهذا المنزع في نظرنا جوانب إيجابية لا تنكر، وأهمها تحقيق اقتسامٍ متساوٍ نسبيا في إشاعة روح اليقظة الفكرية والنضج السياسي بين الإطارات الوطنية على قلتها، وبين جماهير الشعب الواسعة على كثرتها"[1].

فقد كانت للشيخ ثقة شديدة في الشعب الجزائري وإيمانه وقدراته الكامنة التي تنتظر الظروف والعوامل المواتية لتنطلق في عالم التضحية لأجل الحرية.

"غير أن ثقة عبد الحميد بن باديس غير المحدودة بشعبه الجزائري لم تمنعه من إدراك واقعه المرير وما آل إليه هذا الشعب من ضعف وتمزق نتيجة للضربات الشاملة الموجعة التي كان يتلقاها باستمرار من الاستعمار الفرنسي"[2].

فكان على الشيخ أن يعمل جاهدا على شحذا لهمم وبث الثقة وإصلاح الأحوال الدينية والاجتماعية وسط هذه الجماهير الواسعة من الشعب المضطهد مسلوب الحرية والإرادة.

هذه الجماهير التي كانت أفضل وأنجع وسيلة للاتصال والاحتكاك بها بعد المسجد، هي الصحافة.

و كانت كثير من الصحف ذات الاتجاه الإصلاحي والوطني تجابهها الإدارة الاستعمارية بقطع الطريق أمامها والتضييق عليها حتى تحد من انتشارها وتضطرها للتوقف وأحيانا يسارعون إلى مصادرتها دون محاكمة، وسأورد ملحقا بهذه الصحف العربية واتجاهها وسنة صدورها وسنة توقفها إضافة إلى مؤسسيها ومدن إصدارها.

[1]- عبد الله شريط- من واقع الثقافة الجزائرية- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- ط2- 1981م - ص 146.
[2]- بسام العسلي- عبد الحميد بن باديس- وبناء قاعدة الثورة الجزائرية- دار النفائس- بيروت- لبنان- ط2- 1403هـ- 1983م - ص 98- بتصرف.

3- من المنتقد إلى الشهاب :

كان الشيخ عبد الحميد بن باديس على يقين بأن حلقات التدريس التي تفرغ لها في الجامع الأخضر في قسنطينة لا تكفي لتحقيق ما يطمح إليه من تغيير ويصبوا إليه من تجديد وهو الحلم الذي طالما راوده.

لهذا اتجه للصحافة التي وجد فيها منبرا فعالا لنشر دعوته الإصلاحية على أوسع نطاق وأبعد مدى ، وبدأ عمله في مجال الصحافة بالكتابة في جريدة "النجاح"، (تأسست عام 1919م) بقسنطينة التي كان مساعدا في تأسيسها، وكان كثير المشاركة في تحرير مقالاتها.

وقد وقع حيدر سعد جواد الإبراهيمي في وهم عندما أشار إلى أن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان قد بدأ عمله في المجال الصحفي بكتابته في جريدة "المنتخب" حيث قال:"بدأ الشيخ ابن باديس عمله في مجال الصحافة، فكتب في جريدة المنتخب"[1].

وهذا وهم لا يخفى لأن جريدة "المنتخب" صدرت سنة 1882م، وتوقفت عن الصدور سنة 1883م، وهذا قبل ميلاد الشيخ عبد الحميد بن باديس بست سنوات، فأنى له أن يكتب فيها !

يقول محمد ناصر عن جريدة المنتخب: "يبدو أن ظهور هذه الجريدة الأسبوعية هو أول محاولة لبروز صحيفة عربية بالقطر الجزائري من مصدر غير مصدر السلطات الحاكمة، ففي الثالث والعشرين من أبريل سنة 1882م بدأ صدور جريدة (المنتخب) للاطلاع على أخبار الأجانب وأحوال العرب من مدينة قسنطينة... وكان محرورها فرنسيين، ثم يعربها مترجمون جزائريون، وكان محرروها الفرنسيون يدعون إلى اندماج المسلمين بالفرنسيين عن طريق الانخراط في الخدمة العسكرية، والدخول إلى مدارس الحكومة"[2].

---

[1]- حيدر سعد جواد الإبراهيمي- مجلة الشهاب الجزائرية ورؤاها الإصلاحية (1928-1939م) - مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية- جامعة الكوفة- العراق- العدد 13- السنة 07- 2013م - ص 278.

[2]- محمد ناصر- الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1939م - ص 21- بتصرف.

فهذه الجريدة كان مذهبها الدعوة للاندماج الذي حاربه الشيخ عبد الحميد بن باديس كما حارب فكرة التجنيس أو أشد.

توقفت جريدة "المنتخب" عن الصدور بسبب تضييق السلطات الاستعمارية عليها، لأنها كانت تعبر أحيانا عن معاناة الجزائريين وتنقل انشغالاتهم اليومية بخاصة ما تعلق منها بالضرائب التي أثقلت كاهلهم وتعسف الجباة في تحصيلها.

"فلم يبق للجريدة من حيلة سوى أن تتوقف عن الصدور نهائيا وكان ذلك في 21 جانفي 1883م، بعد أصدرت حوالي أربعين عددا"[1].

فالشيخ عبد الحميد بن باديس إذن لم يكتب في جريدة المنتخب بل بدأ نشاطه الصحفي بالكتابة في جريدة "النجاح"، وكانت مقالاته تمهر باسم مستعار هو "القسنطيني" أو "العبسي" ولكنه ما لبث أن تخلى عنها، لخلاف حول نهجها الإصلاحي، فقد كان يرى أن هذه الصحيفة لم تكن على مستوى تطلعاته وآماله ومشروعه الفكري الإصلاحي، الذي كان يحلم بتحقيقه، وهو يتعلق بنهضة شعب كامل.

" لذلك أسس سنة 1925م صحيفة المنتقد، التي كان عنوانها عبارة عن برنامج كامل، فقد أرادها تحطيما لعالم قديم، عالم كانت تهيمن عليه الزوايا والطرق الصوفية، وتحاول منع رياح التجديد من الدخول إليه، بواسطة تجسيم شعارها أنذاك "اعتقد ولا تنتقد"[2]، فكان ابن باديس أراد أن يقول من خلال اختيار هذا العنوان، أن خلاصنا الحقيقي هو في القضاء على هذا الشعار وفي انتهاج النقد لكل ما هو قائم"[3].

صدر أول عدد من جريدة المنتقد الأسبوعية بمدينة قسنطينة يوم 02 جويلية 1925م.

"وقد أصدرها ابن باديس في يوم النحر من ذي الحجة، خاتمة شهور عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف، وكان هدفها هو لفت الجزائريين المسلمين إلى حقيقة وضعيتهم بين

---

[1]- المرجع السابق - ص 22.

[2]- كان هذا شعار بعض الصحف والجرائد التي تصدر عن بعض الزوايا والطرق الصوفية آنذاك وعلى رأسها صحيفة "البلاغ الجزائري" (1926م-1943م) لسان حال الطريقة العليوية، وأسسها شيخ الطريقة أحمد بن عليوة وكانت في بادئ الأمر تصدر بمدينة مستغانم مقر الزاوية و تطبع بالمطبعة العليوية ثم انتقلت لتطبع بالعاصمة حيث أنشأ لها مطبعة عصرية.

[3]- محمد الميلي- ابن باديس وعروبة الجزائر- دار الثقافة- بيروت- لبنان- ط2- 1979م- ص 12.

الأمم: بأنهم أمة لها قوميتها ولغتها ودينها وتاريخها، فهي لذلك أمة تامة الأممية لا ينقصها شيء من مقومات الأمم"[1].

و كان شعار المنتقد هو "الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء".

و أول مقـال في الصفحـة الأولى من العدد الأول من "المنتقد" الصادر يوم 02 جويلية 1925 جاء فيه على لسان الشيخ عبد الحميد ابن باديس: "باسم الله ثم باسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه مستهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون، والمبدأ الذي نحن عليه عاملون..."[2].

ثم تأتي ثلاثة عناوين أخرى:

1-مبدؤنا السياسي.

2-مبدؤنا التهذيبي.

3-مبدؤنا الانتقادي.

وقد أشار في مبدأ النقد أنه لا يتعرض للأشخاص، فيما يختص بأحوالهم الشخصية وإنما يتوجه إلى سلوكهم الذي يمس شؤون الأمة وعدَّدَ من يتعرض للنقد، وبيّن أصنافه مـن الطبقات الاجتماعية كلها فقال: "فتنقد الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء والمقاديم وكل من يتولى شأنا عاما من أكبر كبير إلى أصغر صغير... و نناهض المفسدين والمستبدين من الناس أجمعين، وننصر الضعيف والمظلوم بنشر شكواه، والتنديد بظالمه، كائنا من كان ،لأننا ننظر من الناس إلى أعمالهم، لا إلى أقدارهم، فإذا قمنا بالواجب فللأشخاص منا كل احترام"[3].

فهذا التزام بأن يكون النقد هادفا إلى الحقيقة المجردة، صادقا، مخلصا، نزيها وأن يكون الكلام الذي يؤديه نظيفا.

---

[1]- عبد الملك مرتاض- ابن باديس- القضية- الإعلام- موقع ابن باديس:

www.binbadis.net
28/04/2015 (19 :59).

[2]- عمار الطالبي- ابن باديس حياته وآثاره- ج 1 - ص 82.

[3]- المرجع نفسه - ص 83.

"وشعار هذه الجريدة شعار جرئ خصوصا في تلك الفترة العسيرة التي أبغض ما كان فيها للاستعمار الفرنسي كلمة "الحق" وكلمة "الوطن" وهما الكلمتان الأساسيتان في الشعار "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"، والحقيقة أن صدور مثل هذه الصحيفة في مثل تلك اللهجة الصريحة الصادقة العنيفة لتعتبر مغامرة في ذلك العهد القاسي المظلم"[1].

كانت جريدة المنتقد تهدف إلى تسليط الضوء على ممارسات المستعمر وفضحه أمام الأهالي والرأي العام ، من خلال نقد الأوضاع الخاطئة التي تصدر من كبار الساسة والموظفين والمسؤولين والإداريين الذين كان لهم شأن في الجزائر، كما وجهت انتقادها الأكبر لسلطات الاحتلال الفرنسي، لأنها حرمت الشعب من أبسط وسائل العيش ومن حقوقه الإسلامية والعربية.

ولم تغفل الجريدة أصحاب البدع والخرافات والدجل، والشعوذة والطرق الصوفية المنحرفة فقد تعرضت لبيان أحوالهم وتلبيسهم على الناس وصدهم للمجتمع عن المطالبة بحقوقه.

وقد فطنت فرنسا لخطورة ما ينشر في هذه الجريدة من مقالات وقصائد وصلت بها الجرأة إلى حد تناول العادات المألوفة والتقاليد المشهورة بالنقد والتجريح، فجعلت تعرقل توزيعها، وتعتدي على أملاكها، ولكن هذا لم يثن من عزيمتها مما أرغم السلطات الاستعمارية على : "الكشف عن موقفها علانية فصرحت أنها تعتبر الصحافة العربية صحافة أجنبية وتطبيقا لقانون الصحافة لسنة 1881م فإن هذه الصحافة لا تتمتع بالحرية الكاملة بل هي تخضع للسلطات الإدارية ويستطيع وزير الداخلية أن يمنع أي صحيفة تصدر بالعربية من الظهور بدون إعطاء أي مبرر"[2].

وهكذا تصبح الصحافة العربية أجنبية في بلادها وغريبة في وطنها، فتضطر إلى تحاشي الحديث عن السياسة حتى لا تقع ضحية هذا القانون الجائر الذي يسمى "قانون حرية الصحافة" ، وحتى لا تقع تحت طائلته فإنها تأخذ طابعا ثقافيا أو أدبيا أو دينيا للتمويه

[1]- المرجع السابق - ص 83.
[2]- زهير إحدادن- الصحافة واللغة قبل الاستقلال- مجلة اللغة العربية- المجلس الأعلى للغة العربية- الشركة الجزائرية للصحافة والاتصال- الجزائر- العدد الأول- ذو الحجة- 1419هـ- مارس 1999م - ص 171.

على الإدارة الاستعمارية، غير أن هذا لم يشفع لها، فكانت تسعى بكل السبل لتعطيلها ولو بقرارات إدارية غير مبررة.

"وهذا ما وقع لجريدة المنتقد إذ منعها وزير الداخلية الفرنسي من الصدور وحجز العدد الثامن عشر داخل المطبعة و توقفت عن الصدور، وكل هذا سنة 1925م، وكان هذا أول منع يصدر من وزير الداخلية"[1].

هذا على غير العادة، إذا كانت الأمور تجري في حالات مماثلة سابقة، أن يكون تعطيل الصحف العربية من طرف دوائر الولاية العامة في الجزائر، أما تعطيل المنتقد فقد كان بقرار من وزير الداخلية الفرنسي بباريس.

يقول عبد الرحمن شيبان في مقدمته للشهاب: "وقد كانت لهجة الجريدة (أعني المنتقد) لهجة حارة، وحملتها على الضلالات والبدع حملة صادقة أثارت حفيظة بعض المبتدعين الجامدين، فأخذوا يسعون ضدها لدى سلطة الإدارة الاستعمارية، فعطلت بأمر حكومي بعد أن صدر منها ثمانية عشر عددا خلال أربعة أشهر"[2].

وكان توقيفها يوم 29 أكتوبر 1925م إثر صدور العدد الثامن عشر منها الذي صودر في المطبعة.

"و كانت (المنتقد) بحق لسان حال الشباب الناهض في القطر الجزائري...كما تعتبر المنتقد تحولا مهما في تاريخ الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر، لأنها تختلف كل الاختلاف عن الصحف التي سبقتها، سلاسة أسلوب، ومتانة لغة، وعمق أفكار إذ استطاع ابن باديس أن يضم إليها خيرة الأقلام العربية آنئذ مثل: مبارك الميلي، والطيب العقبي، والفرقد، وأبي اليقظان ومن الشعراء محمد العيد، ومحمد الهادي السنوسي "شاعر المنتقد" وكذلك كان يوقع قصائده بها " [3].

وما إن عطلت السلطات الإدارية الاستعمارية جريدة "المنتقد" حتى خلفتها "الشهاب" الأسبوعية لمؤسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس.

---

[1]- المرجع السابق - ص 171- بتصرف.

[2]- الشهاب- دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان- ط1- 1421هـ- 2001م- المجلد 16 - المقدمات والفهارس العامة - ص 10.

[3]- محمد ناصر- الصحف العربية الجزائرية من 1847 م إلى 1939م- ص 54.

"واقتفت آثار سابقتها مبادئا وأفكارا، مضمونا وشكلا، حاملة شعارات المنتقد نفسها، ساعية إلى غايته التي صرف عنها، واصطنع ابن باديس في تحريرها نوعا من المرونة السياسية، فكان يلين القول ويخفف اللهجة مع السلطات الحاكمة في فرنسا، بينما يغلظه ويحتد فيه مع أقطاب الاستعمار من معمرين ومستشرقين ومن لف لفهم من المتفرنسين والخونة في الجزائر"[1].

وقد لاقت في سبيل هذه الأفكار والمبادئ ما لاقت من العناء والبلاء والتضييق فثبتت وصبرت وصابرت وثابرت على العمل، تشتد مرة وتلين أخرى حسب دواعي الحال ومتطلبات المرحلة.

برز أول عدد من الشهاب الجريدة الأسبوعية في 12 نوفمبر 1925م ،و كانت تصدر مرة كل أسبوع.

و إذا عدنا إلى تاريخ توقيف صدور "المنتقد" من طرف وزير الداخلية الفرنسي بباريس الذي كان يوم 29 أكتوبر 1925م، نرى الشيخ عبد الحميد بن باديس قد بادر إلى إصدار جريدة "الشهاب" في مدة لا تزيد عن أيام قلائل وهذا إنما يدل على عزيمته الصلبة وإصراره الثابت على مواصلة طريق الجهاد الإصلاحي.

جاء في موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين أن الشيخ عبد الحميد بن باديس "أنشأ عدة جرائد منها المنتقد سنة 1925م والشهاب الأسبوعية سنة 1926م التي تحولت إلى شهرية سنة 1929م، وكان المستعمر الفرنسي لهذه الجرائد بالمرصاد"[2].

وهذا مجانب للصواب، إذ أن الشيخ عبد الحميد بن باديس– كما تمت الإشارة إليه آنفا– بادر بإصدار جريدة الشهاب الأسبوعية، أيام قليلة فقط بعد توقيف جريدة "المنتقد" بقرار من وزير الداخلية الفرنسي بباريس، كل ذلك في أواخر سنة 1925م وليس سنة 1926م كما ذهبت إليه الموسوعة.

و سارت "الشهاب" على برنامج "المنتقد" بدءا بالعنوان واختياره.

---

[1]- المرجع السابق- ص 58.

[2]- رابح خدوسي و آخرون- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين- دار الحضارة – الجزائر- 2003م- ص 11-12.

"ونفس البرنامج يُشْعر به اختياره لعنوان "الشهاب" الذي خلف "المنتقد" ، فعلى الرغم من الطابع الديني الذي يشعر به هذا العنوان فإنه يوحي في نفس الوقت بالطموح إلى إضرام النار في القديم البالي الميت الذي يريد أن يتحكم في الأحياء وفي المستقبل، وإلى إنارة الطريق للجيل الصاعد، نظرا لما في "الشهاب" من معاني النار والضوء"[1].

و كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يحرص على توفير وسائل نجاح عمله الصحفي ، ومن ذلك أنه بادر بتأسيس مطبعة خاصة تتولى طباعة الجرائد التي يصدرها والمطبوعات التي تخدم الدعوة الإصلاحية والوطنية، وقد أسس هذه المطبعة قبل إصداره لجريدة الشهاب الأسبوعية ، يقول محمد الميلي: "ويجب التنصيص على نقطة تبدو لنا هامة في هذا المجال وهي تفطن ابن باديس ليس فقط إلى أهمية العمل الصحفي، ولكن أيضا إلى شروط نجاحه، فقد أراد أن يوفر أقصى ما يمكن من شروط النجاح لجريدته بواسطة تأمين مطبعة تكون ملكا له، حتى لا تكون طباعة الجريدة عبئا عليه. ومن هنا سعيه ونجاحه في إنشاء "المطبعة الجزائرية الإسلامية" بقسنطينة عام 1925م التي كانت تقوم بمختلف أنواع الطباعة إلى جانب طبعها للشهاب وحده في مرحلة أولى وللشهاب والبصائر في مرحلة ثانية"[2].

إن تسمية المطبعة الجزائرية الإسلامية هي تسمية تحمل بين ثناياها تعبيرا وإيحاء عن برنامج له أبعاد، وهو برنامج إصلاحي وطني إسلامي شامل، وقد كانت المطبعة ضرورية لإصدار الصحف التي كان ينوي إصدارها، و ثبت من تجربة زميله الطيب العقبي مع جريدته "الإصلاح" أن جريدة ليس لها مطبعة تتعرض للمضايقات والمساومات وحتى التوقف، ولما أصدر الشيخ عبد الحميد بن باديس جريدة "المنتقد" لم تعاني من نقص في المال ولا من عراقيل مطبعية ولكنها عانت من قرار الإدارة الاستعمـارية المركزية في باريس التي صادرتهـا وأوقفتهـا عن الصدور لحِـدّة لهجتها ولذاعة نقدها.

و قد حرص الشيخ عبد الحميد بن باديس على أن يظل "الشهاب" ملكا له ، أي مستقلا عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد تأسيس هذه الأخيرة في أعقاب الاحتفالات بمرور مئة عام (قرن) على الاحتلال الفرنسي للجزائر، وكان استقلال

[1]- محمد الميلي- ابن باديس وعروبة الجزائر- ص 12.
[2]- المرجع نفسه - ص 13.

"الشهاب" عن الجمعية يتيح له أن ينشر فيه من الآراء والنداءات ما قد يعارض فيه بعض أعضاء الجمعية أو أغلبهم، فمثلا كان ابن باديس قد ارتأى بمناسبة الاحتفالات التي أعدتها الإدارة الفرنسية بمناسبة مرور قرن على سقوط قسنطينة (1937م)، أن ينشر نداء إلى الشعب في صحيفة الجمعية يطالب فيه الجماهير بمقاطعة تلك الاحتفالات، لكن أغلب أعضاء الجمعية خافوا مغبة ذلك على مصير الجمعية، فعارضوا نشر النداء في "البصائر" لسان حال جمعية العلماء، آنذاك قرر الشيخ ابن باديس نشر النداء في " الشهاب".

وهذا معناه أن "الشهاب" ليست مجلة جمعية العلماء، ولا تنطق باسمها، ونشر هذا النداء بها إنما هو باسم الشخص صاحب النداء وصاحب المجلة وهو ابن باديس شخصيا، وليس بوصفه رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

استمر الشيخ عبد الحميد بن باديس يعمق عمله، ويصعد نشاطه من الدروس المسجدية إلى منبر الجريدة، إلى مدارس اللغة العربية، إلى التبشير بالإصلاح الديني والاجتماعي على أوسع نطاق ممكن بخاصة بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إلى الاحتكاك بمختلف الأوساط السياسية والحزبية، داعيا إلى ضرورة التغيير والسعي إلى الاتحاد والإجماع ونبذ الفرقة والتشرذم التي لا تخدم إلا المستعمر.

و حملت "الشهاب" لواء هذه الدعوة وكانت مطية هذه الطموحات والآمال والأحلام "فقد صاولت ونازلت الطغاة، والظلمة وأعوانهم بدون هوادة، وعودت الشعب النضال والكفاح الشريف في كل حين، وعملت على جمع الشمل ونشر الفضيلة، وتوضيح المنهاج الديني للناشئة والعلماء في أسلوب جديد أفاض عليه من أنوار الكتاب والسنة، أيقظ الضمير وأنعش النفوس وأرشد لأقوم طريق وهدف لأنبل غاية، فكان الظفر حليفه في كل أطوار حياته"[1].

ولم يكتب الشيخ ابن باديس قبلا كما كتب في الشهاب من مقالات وردود وتراجم إضافة إلى تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث النبوي الشريف.

[1]- محمد المنصوري الغسيري- صورة من حياة ونضال الزعيم الإسلامي والمصلح الديني الكبير: الشيخ عبد الحميد بن باديس- تقديم وتعليق : مسعود بن موسى فلوسي- نشر جمعية الغسيري- باتنة- الجزائر- 2006- ص 140.

" فبالرغم من أن الشيخ ابن باديس كان لا يميل إلى الكتابة والتصنيف لكثرة انشغاله بالتدريس والتوجيه"[1] ، إلا أنه أثرى "الشهاب" بكتابات لم تحظ بها جريدة ولا مجلة قبلها.

كانت الشهـــاب مرموقة المكانة لدى الجزائريين بل في المغرب العربي كله والوطن العربي بأجمله، ففي رسالة من العربي التبسي باسم الطلبة الجزائريين في الأزهر وجهها للشيخ عبدالحميد بن باديس يقول: "جريدة الشهاب– و أيم الله– نعمة من نعم الله على أمم شمال إفريقيا عموما والجزائر خصوصا، يجب أن تؤدي الشكر عليها لله خالصا، وتشكر لمن كان سببا لهذه اليد البيضاء، حتى تستحق المزيد، وجريدة الشهاب ظاهرة من ظواهر الحياة، نرجو منها أثرا طيبا في حياة الجزائر الدينية والأدبية ، وفي سمعة الجزائريين الذين لا يكاد يظن أن فيهم من هو بمثل هذه الصحيفة جدير"[2].

واعتبرهـــا منهـلا معينا من مناهـل الثقافـــة والعلم وأنها سبيل لمقارعة خصوم الديـــن والأمة والوطن، وأنها مكسب للجزائر وأهلها خاصة، ولعموم العرب والمسلمين، فيقول، "و جريدة الشهاب كنز من كنوز السنة، ينقل إلى قرائه ما لذ وطاب، مما تقطع الأعمار دون الوصول إليه، ليقبس منها من يريد الله به خيرا...وجريدة الشهاب مدرسة شعبية عصرية، على أحدث نظام وأشهى أسلوب...فيها تلتقي الديانة الإسلامية بالمدنية العصرية الصحيحة...لا تفتأ تهدي إلى قرائها من مختلف العلوم وضروب المعارف ما تقربه العين وتحسد عليه الجزائر"[3].

ومما قيل في الشهاب ما أورده عبد الرحمن شيبان، في مقدمته للشهاب عن زكي مبارك قوله: "وصل إلى يدي عدد من مجلة الشهاب، وهو العدد الخاص بالاجتماع السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو عدد طريف يشتمل على فوائد كثيرة تصور الحياة العلمية في الجزائر، ومن أدق ما فيه ما قرأته من إصرار العلماء هناك على إلقاء عظاتهم باللغة الفصيحة، واحتجاجهم بأن البلاغة تلقن عن طريق السماع، كما تكتسب بالدرس، ومعنى ذلك أن العامة يكتسبون الذوق الأدبي بفضل الإكثار من

[1]- محمد بسكر- أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة- دار كردادة للنشر والتوزيع- بوسعادة- الجزائر- طبعة خاصة- 2013م- ج1- ص 321.

[2]- علي مرحوم- من وثائق الثورة حول استشهاد الشيخ العربي التبسي- مجلة الأصالة- وزارة الشؤون الدينية- الجزائر- العدد 73-74- السنة 08- شوال/ ذو القعدة 1399هـ- سبتمبر/أكتوبر 1979م- ص 91.

[3]- المرجع نفسه - ص 91.

سماع الكلام الفصيح، كما يكتسبه المتعلمون بكثرة الاطلاع على الكلام الفصيح...وفي ذلك العدد من الشهاب قصائد تدل على أن هناك نهضة شعرية وحرص أهل الجزائر على اللغة العربية هو من أظهر ما هم عليه من الشهامة، والرجولة والإباء، فإليهم على بعد الدار أطيب التحيات"[1].

وفي هذا دليل واضح على أن صدى "الشهاب" تجاوز حدود الجزائر والمغرب العربي إلى الشرق الإسلامي، حيث لقيت إشادة وتشجيعا على جهودها الإصلاحية والأدبية.

كانت الشهاب هي المجلة الأولى بالجزائر، بل بالمغرب العربي التي نادت بمقاومة التغريب والتجزئة والتجنيس ومطاردة الاستعباد، و دعت إلى حماية الأمة العربية كوسيلة لحماية الوحدة العربية.

"وقد رأت فرنسا في هذا النشاط يقظة للأمة الجزائرية ، ويقظة على هذا النحو الإيجابي من تعليم وخطابة وكتابة صحفية، تشكل خطرا عليها و على استمرار وجودها الاستعماري في الجزائر، ولذلك ظلت تنظر إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس في قلق بالغ، وكانت تضع العراقيل والمثبطات حتى تحول بينه وبين تحقيقه لهدفه الذي هو نهضة الشعب الجزائري"[2].

و الشهاب مجلة عُرِفت في كل ربوع المغرب العربي فكان لها كتاب بتونس و المغرب الأقصى إضافة لبعض الدول العربية في المشرق ، كما كانت من أطول المجلات العربية في الجزائر عمرا ، و أعظمهن خطرا و أبعدهن أثرا و أغناهن فائدة .

[1]- الشهاب - المجلد :16 - المقدمات والفهارس العامة - ص 135.
[2]- أنور الجندي - تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة- مصر - ط1- 1970م- ص 202.

4-من الجريدة إلى المجلة:

صـــدرت مجلة "الشهـــاب" في أول الأمر أسبوعية، فبرز العدد الأول منها يوم الخميس 12 نوفمبر 1925م، وجاء في مقالها الافتتاحي بقلم الشيخ عبد الحميد ابن باديس: "سواء علينا أعجبنا أو لم نعجب فقد وقف "المنتقد"، ولكن الفكرة الحرة الحقة السليمة الإصلاحية لم تقف ولن تقف، وقف "المنتقد" ، فها هو أخوه "الشهاب"، شهاب في سماء الحرية والأخوة والمساواة، أصول شيدها الإسلام"[1].

وكانت جريدة "الشهاب" على خطى المنتقد في تنوع مواضيعها وجودة مادتها ،ولم تفهرس الجريدة إلا ابتداء من العدد 116 الصادر في يوم الخميس 06 أكتوبر 1927م الموافق لـ: 9 ربيع الثاني 1346هـ[2]، وقد عرضت فيه "الشهاب" محتوى هذا العدد والمواضيع التي تطرقت إليها، وذلك لجعل القارئ على دراية بمحتواها فيستمر في تصفحها لعلمه بالمواضيع التي ستطترق إليها.

صدر من الشهاب الجريدة 178 عدد خلال السنوات الأربع قبل تحويلها إلى مجلة موزعة كالآتي:

- المجلد الأول: يحوي أعداد السنة الأولى (1925م-1926م) فيه 31 عددا ضمن 633 صفحة، من العدد الأول الصادر يوم الخميس 12 نوفمبر 1925م إلى العدد 31 الصادر يوم الخميس 17 جوان 1926م.
- المجلد الثاني: يحوي أعداد السنة الثانية (1926م-1927م) فيه 68 عددا ضمن 1128 صفحة من العدد 32 الصادر في يوم الاثنين 24 جوان 1926م إلى العدد 99 الصادر يوم الخميس 02 جوان 1927م.
- المجلد الثالث : يحوي أعداد السنة الثالثة (1927م-1928م) فيه 49 عددا ضمن 978 صفحة، من العدد 100 الصادر يوم الخميس 9 جوان 1927م إلى العدد 148 الصادر يوم الخميس 24 ماي 1928م.

[1]- الشهاب- المجلد الأول – العدد: 01- 12 نوفمبر 1925م - ص 03.
[2]-الشهاب- المجلد: 03 - العدد: 116 – 06 أكتوبر 1927م - ص 315.

- المجلد الرابع:

يحوي أعداد السنة الرابعة (1928م) وفيه 30 عددا ضمن 558 صفحة، تبدأ من العدد 149 الصادر يوم الثلاثاء 29 ماي 1928م إلى العدد 178 الصادر يوم الخميس 27 ديسمبر 1928م. وهو آخر عدد يصدر في "الشهاب" الجريدة الأسبوعية، إذا تحولت بعدها إلى مجلة شهرية.

كانت جريدة "الشهاب" الأسبوعية تصدر كل خميس غير أنها في سنتها الثانية كانت أحيانا تصدر مرتين في الأسبوع: يوم الاثنين ويوم الخميس، وهذا لم يكن بانتظام كما أنها في السنة الرابعة: صدرت أحيانا يوم الثلاثاء.

وبعد أن أتمت جريدة الشهاب سنتها الرابعة، وصدر منها العدد 178 يوم الخميس 27 ديسمبر 1928م، ألمت بها أزمة مالية كادت أن تؤدي بها إلى التوقف نهائيا عن الصدو،غير أن الشيخ عبد الحميد بن باديس سعى جاهدا للحيلولة دون توقفها ، وقد كان له ذلك، فحولها إلى مجلة شهرية، صدر أول عدد منها في شهر فيفري 1929م.

جاء في المقال الافتتاحي لهذا العدد تحت عنوان : الشهاب الشهري بعد الأسبوعي: تستطيع الظروف تكييفنا ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا للشيخ عبد الحميد ابن باديس قوله: "سلخ الشهاب زهاء أربع سنوات أسبوعيا، وإذا لم يصل إلى غايته كما يحب، فقد قام–بأمانة الله–بأعبائها كما يجب ،وفوق المستطاع. ولقد غالبته الظروف بما لها من قوة وسلطان، ولقد قاومها بمالَه من حق وإيمان، و لو حاربته بغير المالِ لخرج كعادته غالبا منصورا، ولو أراد الاستكثار من هذا السلاح من كل وجه لكان نصيبه منه نصيبا موفورا، ولكنه عف وتكرم فكانت الغلبة عليه"[1].

فالشيخ ابن باديس يقرر حقيقة أن أزمة الشهاب هي أزمة مالية بحتة وليست أزمة رجال أو كتابة أو تقصير منه، فالجانب المالي هو الذي أدى إلى تحويل الشهاب من أسبوعية إلى شهرية، ولكنها لم تؤثر في توجهاته ولا في مبادئه، ثم يردف قائلا: "أجل لقد قهرته

[1]- الشهاب- المجلد : 05- الجزء الأول – الصادر غرة رمضان 1347هـ الموافق لفيفري 1929م – ص 03 .

الظروف فغيرته من صورته الأسبوعية إلى هيئته الشهرية، ولكنها لن تستطيع – بإذن الله– أن تمس ضميره بسوء فتصيب منه من شيء"[1].

فهو ماض في أداء أمانته وتبليغ رسالته، دون تردد ولا انحراف ولا تراجع عن مبادئه ، ثم يضيف "يتقدم "الشهاب" لأنصاره ومريديه في بزته الجديدة، مجلة شهرية واعدا إياهم بأن يكون على ما عرفوا منه في دعوة الحق غير مفرط ولا غالٍ"[2].

تحولت "الشهاب" المجلة إلى الأجزاء عوض الأعداد التي كانت تصدر بها "الشهاب" الجريدة.

و كانت تُصْدر في كل سنة 12 جزءا جمعت في مجلدات وفق ما يلي:

- المجلد الخامس: السنة الخامسة (1929م–1930م).

يحوي الجزء الأول الصادر في غرة رمضان 1347هـ الموافق لـ 1929م إلى الجزء 12 الصادر في غرة شعبان 1348هـ الموافق لـ جانفي 1930م– وذلك ضمن 662 صفحة.

- المجلد السادس: السنة السادسة (1930م–1931م).

يحوي من الجزء الأول الصادر في غرة رمضان 1348هـ الموافق لفيفري 1930 م إلى الجزء 12 الصادر في غرة شعبان 1349هـ الموافق لجانفي 1931م وذلك ضمن 862 صفحة.

- المجلد السابع: السنة السابعة (1931م).

يحوي من الجزء الأول الصادر في غرة رمضان 1349 هـ الموافق لفيفري 1931م إلى الجزء 12 الصادر في غرة شعبان 1350هـ الموافق لديسمبر 1931م، وذلك ضمن 870 صفحة.

- المجلد الثامن: السنة الثامنة (1932م).

يحوي من الجزء الأول الصادر في غرة رمضان 1350هـ الموافق لجانفي 1932م إلى الجزء 12 الصادر في غرة شعبان 1351هـ الموافق لديسمبر 1932م وذلك ضمن 740 صفحة.

---

[1]- المصدر السابق - ص 03 .

[2]-المصدر نفسه - ص 03.

- المجلد التاسع: السنة التاسعة (1933م).
- يحوي من الجزء الأول الصادر غرة رمضان 1351هـ الموافق لجانفي 1933م إلى الجزء 13 الصادر غرة شعبان 1352هـ الموافق لديسمبر 1933م وذلك ضمن 604 صفحة.

ويُلَاحَظ في هذا المجلد ورود 13 جزءا بدلا من 12 المعتاد.

ويرجع ذلك إلى إضافة جزء نصف شهري استثنائيا وهو الجزء الرابع ،صدر في 15 ذي القعدة 1351 هـ الموافق لـ 12 مارس 1933م، وهو جزء خاص بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ورد في الجزء الثالث تحت عنوان: "الشهاب نصف شهري لخدمة الجمعية" ما يلي: "في الاجتماع الأخير لمجلس إدارة الجمعية في جلسة 12 شوال الماضي (أي من سنة 1351هـ) وقع الاتفاق على أن يضاف إلى مجلة الشهاب قسم خاص بالجمعية تنشر فيه المقالات المحررة بأقلام أعضائها في المواضع المتعلقة بها، ويكون القسم المخصص بها مشتملا على ستة عشر صفحة مرتين في الشهر وتعهد صاحب المجلة نشر كل ما ينشر في هذا القسم مجانا"[1].

إذن فهذا الجزء الثالث عشر فوق المعتاد هو جزء خاص أملته ظروف خاصة تتمثل في ما يلي:

"وفي جلسة يوم 13 شوال 1351هـ قدم الشيخ الميلي اقتراحا وافق عليه المجلس وقرر نشره بالإجماع وها هو نصه: نظرا لما وقع في هذه السنة من الهجومات غير الشريفة على الجمعية وأعضاء إدارتها بقصد التهييج وإحداث التشويش في الأفكار وصرف الجمعية عن خطتها الرشيدة وغايتها الشريفة، تعلن الجمعية للأمة من جديد خطتها التي سارت وتسير عليها ومن أنها: تريد خدمة الدين والدفاع عنه وإرشاد الأمة إلى فضائله، وأنها تعرض عما يوجه إليها من سباب وسفه وشغب وشتائم وقذف، وأنها لا تجيب عند لزوم الجواب إلا بطريقة علمية لا تخرج عن دائرة الدين والأدب، و أنها

[1]-الشهاب- المجلد : 09 - الجزء :03 - الصادر غرة ذي القعدة 1351هـ الموافق لمارس 1933م – ص 177 .

توصي بذلك أعضاءها وسائر المسلمين، وتنفيذا لقرار المجلس فإن الشهاب سيصدر- بإذن الله- في منتصف كل شهر ابتداء من نصف ذي القعدة"[1].

غير أن الملاحظ أن هذا الجزء نصف الشهري لم يصدر إلا مرة واحدة خلال هذه السنة (السنة التاسعة)، في منتصف شهر ذي القعدة 1451هـ الموافق لـ 12 مارس 1933م .

- المجلد العاشر: السنة العاشرة (1934م).

يحوي من الجزء الأول الصادر في غرة رمضان 1352هـ الموافق لجانفي1934م إلى الجزء 12 الصادر في غرة شعبان 1353هـ الموافق لـ 09 نوفمبر 1934م ، وذلك ضمن 644 صفحة .

- المجلد الحادي عشر: السنة الحادية عشر (1935م – 1936م).

يحوي من الجزء الأول الصادر في غرة محرم 1354هـ الموافق لـ 5 أفريل 1935م إلى الجزء 12 الصادر في غرة ذي الحجة 1354هـ الموافق لمارس 1936م.
ضمن 776 صفحة.

- المجلد الثاني عشر: السنة الثانية عشر (1936م-1937م).

يحوي من الجزء الأول الصادر في غرة محرم 1355 هـ الموافق لأفريل 1936م إلى الجزء 12 الصادر في غرة ذي الحجة 1355هـ الموافق لفيفري 1937م ، ضمن 610 صفحة.

- المجلد الثالث عشر: السنة الثالثة عشرة (1937م-1938م).

يحوي الجزء الأول الصادر في غرة محرم 1356هـ الموافق لـ 14 مارس 1937م، إلى الجزء 12 الصادر في غرة ذي الحجة 1356هـ الموافق لفيفري 1938م ضمن 617 صفحة.

- المجلد الرابع عشر: السنة الرابعة عشر (1938م).

يحوي الجزء الأول الصادر في غرة محرم 1357 هـ الموافق لمارس 1938م إلى

[1]- المصدر السابق - ص 177.

الجزء 09 الصادر في غرة رمضان 1357هـ الموافق لنوفمبر 1938م ،ضمـن 521 صفحة.

و يلاحظ احتواء هذا المجلد على 09 أجزاء فقط مما يعني عدم صدور ثلاث أجزاء.

حيث تم إدماج جزئي شهري ربيع الثاني وجمادى الأولى لسنة 1357هـ الموافق لجوان وجويلية 1938م، وهو عدد خاص باحتفال ختم التفسير للقرآن الكريم، وجاء في افتتاحيته التي كتبها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي قوله: "أتم الله نعمته على القطر بختم الأستاذ عبد الحميد بن باديس لتفسير الكتاب الكريم درسا على الطريقة السلفية، وكان إكماله إياه على خمس وعشرين سنة متواليات، مفخرة مدخرة لهذا القطر، و بشرى عامة لدعاة الإصلاح الديني في العالم الإسلامي كله"[1].

و تم حسابه في المجلد على أنه جزأين (ربيع الثاني+ جمادى الأولى)، وكان رقمه هو الجزء الرابع وجاء بعده الجزء السادس.

كما لم تصدر أجزاء الشهور: صفر، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة من السنة نفسها 1357هـ.

- المجلد الخامس عشر: السنة الخامسة عشر (1939م).

يحوي الجزء الأول الصادر في غرة محرم 1358هـ الموافق لفيفري 1939م إلى الجزء الثامن الصادر في غرة شعبان 1358 هـ الموافق لسبتمبر 1939م ، و هو جزء مبتور (غير كامل) ، ضمن 402 صفحة.

و توقفت المجلة عن الصدور بعد إصدار هذا الجزء الأخير لسبتمبر 1939م.

والذي يلاحظ عليه أنه غير تام، فهو مبتور إذ لا يوجد في الطبعات المتوفرة إلا ثماني صفحات منه فقط.

[1]-الشهاب- المجلد: 14- الجزء: 04- ربيع الثاني وجمادى الأولى 1357هـ الموافق لجوان و جويلية 1938م- ص 171.

- المجلد السادس عشر:

يحوي المقدمات والفهارس العامة المتمثلة في:

المقدمة للشيخ عبد الرحمن شيبان

تصدير للأستاذ أبو القاسم سعد الله

فهرسة عامة لمحمد مولودي تتضمن:

- فهرس الموضوعات لكل مجلد
- فهرس الأبواب
- فهرس المقالات
- فهرس المؤلفين
- فهرس الشعر

إذن توقفت مجلة الشهاب في الجزء الصادر في سبتمبر 1939م بعد أن أصدرت 125 جزءا يضمها خمسة عشر مجلدا، طوال إحـدى عشر سنة مـن الكفـاح والنضـال والمنافحة عن الدين واللغة و الوطن.

وعن سبب توقفها يقول أبو القاسم سعد الله : " ثم أصدر ابن باديس بعدها وفي قسنطينة أيضا جريدة (الشهاب)، ثم حولها إلى مجلة واستمرت مجلة الشهاب في الصدور إلى عشية الحرب العالمية الثانية، حين توقفت من تلقاء نفسها حتى تتجلي الحرب، وحتى لا تضطر إلى نشر ما لا ترضى عنه تحت قوانين الحرب"[1].

وكان ذلك في سبتمبر 1939م، وبعدها بقرابة السنة أوقفت نهائيا بسبب وفاة منشئها الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس وذلك سنة 1940م.

أما محمد ناصر فيقول عن الشهاب : " و قد صدرت بانتظام دون تخلف منذ سنة 1925م حتى إذا قامت الحرب العالمية الثانية سنة 1939م، صدرت أمر الوالي العام بتعطيل عدد شهر أوت 1939م، وهو آخر عدد صدر من مجلة الشهاب"[2].

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان- ط1- 1998م - ج5 - ص 253.

[2]- محمد ناصر- الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1939م - ص 62.

بيد أنه بالعودة إلى المجلد الخامس عشر من مجلة الشهاب يتضح أن عددأوت 1939م موجود بكامله، أما العدد المبتور فهو العدد الخاص بشهر سبتمبر، وبهذا يتضح أن العدد المعطل الذي توقفت عنده المجلة عن الصدور هو عدد سبتمبر 1939م.

وعلى الرغم من هذا التوقف فإن الشهاب تبقى من أطول الصحف العربية عمرا خلال الحقبة الاستعمارية، ومن الدارسين من يرجع ذلك إلى لهجتها اللينة المهادنة نوعا ما للاستعمار، لتتراوح بين الشدة واللين في لهجتها، فالشيخ عبد الحميد بن باديس قد أدارها بإتقان وحكمة.

بينما يرد آخرون طول عمر الشهاب إلى والد الشيخ عبد الحميد بن باديس وأخيه، فقد كان لهما فضل في دفع الأذى عن مجلته، لمكانتهما لدى السلطات المحلية .

والواقع أن كلا الأمرين صحيح وكـــان له أثر في إطالـــة عمـــر "الشهـــاب"بشكل أوبآخر.

يقول محمد ناصر: " وشهدت الصحافة العربية في فترة تولي "موريس فيوليت" الاشتراكي (1925م-1927م) هدنة مؤقتة، وتفتحت تحت جناح حكمه براعم كثير من الصحف العربية... وراحت تؤدي رسالتها في سير حثيث متشجعة بسياسته الديمقراطية وروحه المتفهمة لقضايا الأهالي، لكن هذه الروح وتلك السياسة ما لبثتا أن جنتا عليه، فابعد عن الولايـــة العامة تحت تأثير الدعـايـــة المسمومـــة التي روجتها صحافة المعمرين ضده، وخلف "فيوليت" في الحكم معمر متعصب يدعى "بيار بورد" ما لبث أن سل سيفه المصلت يلوح به فوق رقاب الصحف الوطنية، وتساقطت في عهده المشؤوم كثير من الصحف الموجودة في النشاط، ولم يبق منها سوى اثنين هما (الشهاب والبلاغ)، يحمي الأولى نزعتها المعتدلة ونفوذ شقيق ابن باديس لدى الدوائر الحكومية، كما يشفع للثانية نزعتها الطرقية الخادمة لركاب الاستعمار "[1].

هكذا استطاعت "الشهاب" أن تقاوم عوامل التعطيل والتوقيف لهذه السباب وغيرها واستمرت في أداء رسالتها، وصارت من بين أهم المراجع التي تؤرخ للنهضة الفكرية الحديثة

[1]- محمد ناصر- الصحافة العربية الجزائرية والاستعمار الفرنسي- مجلة الثقافة- وزارة الإعلام والثقافة- الجزائر- السنة 04- العدد 19 (محرم/ صفر 1394هـ الموافق لفيفري/ مارس 1974م)- ص 70.

في الجزائر ما بين الحربين العالميتين، ولها الفضل أيضا في بعث الثقافة العربية الأصيلة في الجزائر وحماية المقومات الحضارية الذاتية بها ،ولم تتوقف إلا بسبب الحرب العالمية الثانية التي أتت على الأخضر واليابس في العالم بأسره.

5-شعار مجلـة الشهاب ومنهجها :

إن أول ما يتجلى شعـــار "الشهاب" في رمزية تسميتها "فالشهاب" لغة هو "شعلة نار ساطعة"[1].

فالشيخ عبد الحميد ابن باديس جعل الشهاب نورا يضيء وسط ظلمتين اثنتين: ظلمة الاستعمار، وظلمة الجهل والجمود الفكري في فهم الإسلام، حيث أن أدعياء التصـــوف بثوا ضلالات وخرافات وأشاعوها في العقائد بين صفوف الشعب.

جاء "شهاب" ابن باديس للقضاء على هاتين الظلمتين، وكأنهما شيطانان تسلطا علـــى الشعـــب الجزائـري، مصـــداقـا لقولـــه تعـــالـــى: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾[2].

فهو يريد للشهاب أن يكون نجما مضيئا لحياة وعقيدة الجزائريين، كما يـريده أن يكون شعلة نار حارقة لأعدائه من المستعمرين ومن سار في فلكهم من خونة.

يقول محمد الميلي في حديثه عن دلالات العنوان "ونفس البرنامج يُشْعِر به اختياره لعنوان "الشهاب" الذي خلف "المنتقد" فعلى الرغم من الطابع الديني الذي يشعر به هذا العنوان، فإنه يوحي في نفس الوقت بالطموح إلى إضرام النار في القديم البالي الميت الذي يريد أن يتحكم في الأحياء وفي المستقبل، وإلى إنارة الطريق للجيل الصاعد، نظرا لما في "الشهاب" من معاني النار والضوء"[3].

كان شعار الشهاب الأول عنـد صدورها في أول عدد من جريدتها بتاريـخ: الخميس 12 نوفمبر 1925م :"جريدة سياسية تهذيبية انتقادية شعارها":

"الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"[4].

فهي جريدة سياسية بتناولها للمواضيع السياسية المحلية والعالمية، و هي تهذب القراء بما تدعوهم إليه من التمسك بالكتاب والسنة وفضائل الأخلاق وإصلاح أحوالهم الدينية

---

[1]- ابن منظور- لسان العرب- ج7- ص 201 – مادة : شهب .

[2]- سورة الصافات - الآية : 10.

[3]- محمد الميلي- ابن باديس وعروبة الجزائر- ص 12.

[4]- الشهاب- المجلد: 01- العدد: 01- الخميس 25 ربيع الثاني 1344هـ الموافق لـ 12 نوفمبر 1925م - ص 01.

والدنيوية، وهي انتقادية بما تأمر به من المعروف وتنهى عنه من المنكر و تُبَيِّنُه من مواطن الخلل في الشؤون العامة وتقترحه من بدائل.

أما "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء" فهو شعار كان من الصعوبة بمكان إعلانه في ذاك الزمن ، بل من الخطورة التلميح إليه، فما بالك بإعلانه في صدر جريدة كل أسبوع، فصاحبه يتحدث بعزة وإباء في بلد تحت وطأة الاستعمار، عن وطنه هذا المسلوب وأولويته وكذا ضرورة استرجاع الحقوق لأصحابها.

كما جاء أعلى الصفحة الأولى من الجريدة عبارة: "الشهاب جريدة حرة وطنية تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية".

وهذا يجعل الجزائريين أمة مستقلة في كيانها ووجدانها ومقوماتها الحضارية في مواجهة الأمة الفرنسية.

ويشير هذا الشعار أيضا، إلى أن الجزائريين قاموا بواجباتهم تجاه فرنسا من خلال الوقوف بجانبها خلال الحرب العالمية الأولى، فعلى فرنسا تقدير هذه المجهودات والتضحيات والاعتراف لهم بحقهم في السيادة والحرية.

عندما تحولت جريدة "الشهاب" إلى مجلة، أضاف الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى وجه غلافها الأمامي عبارة "مجلة إسلامية جزائرية تبحث في كل ما يرقى بالمسلم الجزائري"، و وضع أربع دوائر في كل ركن من واجهة المجلة كتب فيها كلمات تعبر عن معان مفقودة في حياة الجزائريين بفعل الاستعمار وهم متعطشون إليها منذ أمد بعيد، ولن يهنأ لهم بال ولا يقر لهم قرار حتى يبلغوها، مهما كانت التضحيات وهي:

الحرية، العدالة، الأخوة، السلام.

وهي حقوق شرعية وإنسانية ضائعة.

و يكتب: مبدؤنا في الإصلاح الديني والدنيوي: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهو قول مأثور عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله، ويدل على أن صلاح هذه الأمة إنما يكون بتمسكها بدينها وعقيدتها من خلال فهمها الصحيح للقرآن والسنة.

ثم يأتي قوله: "الحق والعدل والمؤاخاة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات".

فهـو لا يقصــد بذلك التمثيل البرلماني فقط كما ذهب إليه البعض، " ولم يكن ابن باديس ليقنع لأمته بمثله، وما كان يؤمن بإمكان التحصيل عليه،وإنما كان يريد إقامة الحجة على الخصم"[1]، و هو الاستعمار الفرنسي الذي كان يتغنى بالديمقراطية، وأنه أمة متحضرة متمدنة، متمسكة بمبادئ الثورة الفرنسية التي كانت تدعي أن الأمم تستوحي منها الفضائل في العصر الحديث.

أما في الصفحة الموالية: فقد أورد آيتين من القرآن الكريم هما:

- قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2].
- وقوله تعـــالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾[3].

"وعندما أخذت فرنسا تكشر عن أنيابها وتكشف القناع عن حقيقتها وبداية من المجلد الحادي عشر جزء أفريل 1935م حذف ابن باديس الكلمات الأربع المكتوبة على أركان الغلاف الخارجي "[4].

و ابتداء من سبتمبر 1937م وبعد رجوع وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من فرنسا بدون أن يحصل من السلطات الفرنسية المسؤولة على أي حق يذكر ،غيرَّ ابن باديس شعار المجلة المكتوب في أسفل الغلاف الخارجي فصار: لنعول على أنفسنا ولنتكل على الله.

وذلك بدءا من الجزء الثامن من المجلد الثالث عشر الصادر في غرة شعبان 1356هـ الموافق لأكتوبر 1937م.

هذا الشعار ألغى ما قبله من مرحلة المطالبة مع فرنسا وفتح عهدا جديدا.

أما عن منهج الشهاب فقد عبر عنه الشيخ عبد الحميد بن باديس أوفى تعبير في الكلمة التي كتبها عن فاتحة السنة الرابعة عشرة في محرم 1357هـ الموافق لمارس 1938م، حيث

---

[1]- أحمد حماني- صراع بين السنة والبدعة- أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس - دار البعث للطباعة والنشر- قسنطينة- الجزائر- ط1 - 1405هـ- 1984م- ج1 - ص 59.

[2]- سورة يوسف- الآية 108.

[3]- سورة النحل- الآية 125.

[4]- محمد ناصر- الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1939م، ص 60.

بين فيها منهج الشهاب ومجالات جهاده ومواقفه، تحت شعارين أساسيين، مرفوعين في صدر الصفحة الموالية لغلاف المجلة، أحدهما عن اليمين وثانيهما عن الشمال[1].

- فالشعار الأول يمثل المبدأ العام للدعوة التي نذر نفسه لخدمتها وهو قوله تعالى:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

- ويمثل الشعـــار الثاني الطريقة التي يبلغ بها هذا المبدأ العظيم، وهـــو قوله تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس:

"بحمد الله وتوفيقه وإعانته، ثم بشكر المشاركين بعقولهم أو مالهم وتأييدهم، نخطو خطوة جديدة بهذه المجلة في ميدان الحياة، على ما عرفه القراء منا من صراحه في الرأي وصلابة في الحق، ورغبة في الخير، نعمل لصالح الأمة في دينها ودنياها، على نور الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، فتتمسك الأمة بإسلامها وعروبتها، وتحافظ على قوميتها وتاريخها، وتتناول أسباب الحياة والتقدم من كل جنس وكل لغة، وتعمل مع كل عامل لخير البشرية وسعادة الإنسان"[2].

لم تكن مجلة الشهاب إذن إلا منبرا للحق و العدل.

"فالشهاب كان موضوعيا فيما اتخذه من مواقف إذ كان يسعى لترقية المسلم الجزائري في دينه ودنياه، من خلال تحصيل حقوقه الدنيوية التي فقدها وهو في وطنه، وكـــذا رده إلـى جوهـــر دينـــه الأصلـــي البـريء مـــن جميـــع الضـــلالات والخرافـــات و التعصبـــات"[3].

و بالنظر إلى مواد مجلة الشهاب يتضح أن أهم أسلوبين إصلاحيين سارت عليهما المجلة كانا:

- تصحيح عقائد الناس وأعمالهم، من خلال العودة للقرآن والسنة بالفهم الصحيح.
- الاهتمام بالتعليم الذي كان يعتبر أمضى سلاح لمقاومة المعتدي ، واهتم به الشيخ عبد الحميد بن باديس اهتماما بالغا وأولاه عناية شديدة من خلال تسخير كل وقته له.

---

[1]- الشهاب- المجلد : 16- المقدمات والفهارس العامة- ص 14 بتصرف.

[2]- الشهاب– المجلد: 14- الجزء: 01- محرم 1357هـ الموافق لمارس 1938م- ص 07.

[3]- أحمد حماني- صراع بين السنة والبدعة- أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس- ج1- ص 312.

6-أبــواب الشهـــــاب :

تعتبر مجلة الشهاب مجلة وطنية إصلاحية إسلامية سياسية أدبية ، فهي قد " أيقظت الرقود ونبهت الغافلين، ودعت إلى جمع الشمل والوحدة، كما دافعت عن الإسلام واللغة العربية والعدالة والحرية، وشاركت برأيها في قضايا المغرب العربي والمشرق، ورغم أن صاحبها ترأس جمعية العلماء، فإن ما كان ينشره فيها لا يعبر رسميا عن سياسة جمعية العلماء، وإنما عن رأي ابن باديس شخصيا[1].

ولكي يحافظ الشيخ عبد الحميد بن باديس على هذه الاستقلالية من كافة الجهات الاستعمارية منها والأهلية ، أنشأ المطبعة الجزائرية الإسلامية في قسنطينة سنة 1925م وعهد بها إلى السيد أحمد بوشمال، وهو أحد أنصاره وأتباعه المخلصين و أحد أعيان قسنطينة الذين بقوا على وفائهم للفكر الإصلاحي بعد وفاة ابن باديس، وهذه المطبعة جعلت الشيخ عبد الحميد بن باديس على جانب كبير من الحرية فيما يكتب وينشر، فليس ملزما بخط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولا بغيرها، ولكنه ملتزم بالحق ، والحق وحده أينما يراه، لهذا نراه أحيانا يختلف مع أعضاء الجمعية الذي يشكلون الأغلبية برأيهم تجاه رأيه، فلا يلزمهم ولكنه يعتمد على "الشهاب" في نشر آرائه وأفكاره.

"جمعت الشهاب في مادتها بين الدين والأدب والقصص التاريخي والديني وأخبار المغرب العربي والعالم الإسلامي، وكانت مبوبة ومتنوعة المادة، وكانت مجلة حية غير متزمتة وتدعو إلى النهضة الوطنية والإصلاح الاجتماعي، وكانت كفاءة الشيخ ابن باديس في تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف، واختيار القصص وسهولة الأسلوب قد أسهمت جميعها في أن تكون الشهاب مدرسة للأدب الرفيع والأخلاق الفاضلة والوطنية الصادقة والدين الصحيح"[2].

فقد كـانت مجلـة راقيــة جمعت بين صفحاتها تاريخ النهضة الفكرية الجزائرية والحركة الأدبية في مرحلة حاسمة من مراحلها التاريخية.

" والحق أن الشهاب كانت تتطور دائما في أبحاثها ومواضيعها وموادها ومجالاتها حسب التطورات السياسية والاجتماعية والفكرية المحلية منها والإقليمية وحتى العالمية"[3].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي- ج5 - ص 253.

[2]- المرجع نفسه - ص 273.

[3]- محمد ناصر- الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1939م - ص 60- بتصرف.

وهو ما جعل هذه المجلة مقصد الأدباء والمفكرين والمثقفين عامة فلاقت من الرواج ، والانتشار ما جعلها مجلة أقطار المغرب العربي كله وليس الجزائر فقط.

يقـول عبد الملك مرتاض: " لــم يــر الناس فــي الجزائـر مجلـة أو صحيفة يوميـــة أو أسبوعية، مما عبر ومضى من المجلات والصحف الكثيرة، استأثرت المفكرين الجزائريين، واشتد حرصهم على اقتنائها أو الإلمام بها مثل مجلة الشهاب، بل إن الاستئثار تجاوز الجزائر إلى أقطار عربية أخرى"[1].

و جاءت المجلة في أبواب صنفت ضمنها الموضوعات، أوردها الشيخ عبد الحميد ابن باديس في خاتمة الجزء الأول من المجلد الخامس من المجلة ، والذي يعتبر أول جزء من "الشهاب" المجلة وهي كما أوردها[2]:

1-مجالس التذكير: ننشر في هذا الباب ما فيه تبصرة للعقول، أو تهذيب للنفوس من تفسير آية كريمة أو حديث شريف، أو توضيح مسألة في أصول العقائد أو أصول الأعمال ، معتضدين بأنظار أئمة السلف الذين لا يرتاب في رسوخ علمهم، وكمال إيمانهم، وأئمة الخلف الذين درجوا على هديهم في نمط وسط بين الاستقصاء والتقصير.

2-رسائل ومقالات: ننشر في هذا الباب ما يأتينا من خطرات العلماء والأدباء مما هو موافق لخطة المجلة في ترقية المسلم الجزائري.

3-مجتنيات من الكتب والصحف: ننشر فيه ما نقتطفه منها كاملا أو مختصرا.

4-قصة الشهر: ننشر فيه قصة منتقاة ونتوخى في الغالب أن تكون واقعية وقد نشفعها تعليقا أو تصديرا بما يزيد القارئ خبرة بما فيها من فائدة وعبرة.

5-المباحثة والمناظرة: ننشر فيه ما يكون موافقا لخطة المجلة من المباحثات والمناظرات التي ترمي إلى استجلاء الحقيقة من طريق الدليل.

6-الفتوى والمسائل: ننشر فيه – لخصوص المشتركين-ما يرد علينا من الأسئلة الموافقة لخطة المجلة وأجوبتنا عنها.

---

[1]- عبد الملك مرتاض- نهضة الأدب العربي المعاصر (1925م-1954م)- النهضة الفكرية- النهضة الصحفية والأدبية- النهضة التاريخية- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- ط2 - 1983م - ص 106.

[2]- الشهاب- المجلد: 05- الجزء: 01 - الصادر غرة رمضان 1347هـ الموافق لفيفري 1929م - ص 44 .

7-ثمار العقول والمطابع: ننشر فيه كل ما نكتبه على المؤلفات والصحف التي ترد إلينا من بيان و نقد أو تقريظ.

8-في المجتمع الجزائري: ننشر فيه أهم ما يتعلق بالوطن الجزائري من جميع نواحيه، وما يجدُّ فيه من مجريات أحواله، مع ما يتبع ذلك من بيان بالحق ومعالجة بالحكمة والإنصاف.

9-نظرة عالمية: ننشر فيه كلاما ملخصا عن أهم ما جرى في الشهر من حوادث العالم.

10- أخبار وفوائد: ننشر فيه أخبار مختصرة في أمور شتى.

هذه هي أبواب المجلة كما أعلنها الشيخ عبد الحميد بن باديس بنفسه في العدد الأول منها، إضافة إلى أن المجلة تتضمن صفحات إشهارية تكون غالبا في آخر المجلة، وأحيانا يرد إعلان أو اثنان في الصفحة الثانية للغلاف الخارجي.

وفيما يلي بعض الملاحظات حول هذه الأبواب ومدى التزامهـــا في كل الأجـزاء أو ما لحقها من تغيير أو حذف أو زيادة:

1-بالنسبة لمجالس التذكير فعنوانه الكامل: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير وحديث البشير النذير، و هو من تحرير الشيخ عبد الحميد بن باديس، و يكون في الغالب افتتاحيات لمجلة الشهاب، يتناول فيها تفسير آيات من القرآن الكريم أو شرح أحاديث نبوية شريفة على طريقة رشيد رضا في مجلة المنار[1].

2-أما ركن الرسائل والمقالات فيحتوي على المقالات والرسائل التي كانت ترد إلى المجلة من مختلف أنحاء القطر الجزائري ومن الخارج أيضا بقصد النشر وفي شتى الموضوعات ومختلف الميادين.

3-ركن مجتنيات من الكتب والصحف يرد فيه عيون المقالات والأحاديث لأعلام الكتاب والأدباء العرب والمصلحين في البلاد العربية مثل محمد رشيد رضا و مصطفى صادق الرافعي و زكي مبارك و كذا أدباء المهجر ، فيعرض ابن باديس لأهم ما يكتبه هؤلاء المفكرون والأدباء وأكثر مقالاته منقولة عن الصحف الإصلاحية الكبرى.

[1]- المنار: مجلة شهرية اجتماعية دينية تهدف إلى الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة- أسسها الشيخ محمد رشيد رضا وصدر العدد الأول منها في 22 شوال 1315هـ الموافق لمارس 1898م- توقفت عن الصدور بوفاة مؤسسها في 22 أوت 1935م- ظهرت ظهورا جديدا فيها كثير من الانقطاعات لتتوقف عن الصدور نهائيا في سبتمبر 1940م.

4-أما قصة الشهر فهي بدون إمضاء دائما، "وهي ليست من القصص الفني في شيء لأنها تُنْقَل عادة من الكتب القديمة، تحكي سيرة بطل من أبطال التاريخ الإسلامي أو موقف من المواقف الإنسانية الخالدة"[1].

5-و يفسح الشيخ عبد الحميد بن باديس في ركن المباحثة و المناظـرة المجال لتبادل الآراء و الأفكار ، و البحث ،لا سيما حول بعض المسائل الفقهية أو اللغوية أو الأدبية.

6-أما ركن الفتوى والمسائل فيجيب فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس على أسئلة القراء الفقهية، وهو لم يكن دائم الانتظام.

7-وفي ركن ثمار العقول والمطابع كان يعلن فيه عن أهم ما يستجدوما يطبع حديثا من كتب أو مجلات أو جرائد في جميع أنحاء العالم العربي.

8-بينما ركن في المجتمع الجزائري فيرد فيه ما يتعلق بالجزائر ومجتمعها من أحداث مختلفة وتعليقات وتعقيبات حولها، ونقد للأوضاع.

"وأكثر ما ينشر في هذا الباب بدون إمضاء هو للشيخ ابن باديس، ومن الإمضاءات المعروفة الشهيرة في هذا الباب: (كاتب كبير) وهو الشيخ محمد العاصمي، و (الفتى الزواوي) وهو باعزيز بن عمر"[2].

9-أما ركن النظرة العالمية "فهو ركن سياسي محض يجعل القراء على اطلاع على ما يدور في العالم من أحداث وكيفية سير مجرياتها، وهو دون إمضاء غير أن محمد ناصر أشار إلى أنه من تحرير توفيق المدني، وأنه أخبره بذلك شخصيا في لقاء بينهما، " كما أنه (توفيق المدني) لم يتخلف قط عن كتابة هذا الباب من أول عدد في الشهاب الشهري إلى آخر عدد فيه"[3].

و انقسم هذا الباب لاحقا إلى عنوانين :

- في الشمال الإفريقي : يتعرض فيه للشؤون السياسية في شمال إفريقيا عموما (المغرب العربي) ، و الوطن الجزائري خصوصا.
- الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب :فيه إطلالة على الحياة السياسية، في العالم بأسره العربي والإسلامي والغربي.

---

[1]- محمد ناصر- الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1939م – ص 59- بتصرف.

[2]- المرجع نفسه - ص59.

[3]- المرجع نفسه 1939- ص 59- الهامش رقم : 1.

10- أما باب أخبار وفوائد فقد كان ينشر بعض الأخبار المتنوعة في شتى مجالات الثقافة الإنسانية.

11- و كان يرد في المجلة أحيانا باب بعنوان "حديقة الأدب"،هو مجال للأدباء العرب شرقا وغربا ومهجرا، و يعكس مدى عناية مجلة "الشهاب" بالإنتاج الأدبي نثرا وشعرا.

"ويبدو من هذه العناوين أن "الشهاب" كانت متفتحة متسامحة في التفتح، محافظة حريصة على هذه المحافظة في الوقت ذاته، كما أنها لها نظرة عالمية تعني الاهتمام بالقضايا السياسية التي تشغل أذهان الرأي العام كل شهر، كما أنها تحوي ألوانا من الجدليات في الدين والأدب والأخلاق، على أن الشهاب كثيرا ما تخرج عن هذه الأبواب التي التزمت بها مع نفسها ومع قرائها تبعا للمادة الصحفية المتاحة"[1].

ومن تفتح الشهاب أنها كانت تنقل بأمانة عن الصحف والمجلات العربية، ولو كانت تصدر في المهاجر الأمريكية، بالإضافة إلى اعتمادها على كتب التراث في القضايا الدينية والأخلاقية والتربوية والأدبية.

"وكانت مجلة الشهاب خاصة تنقل إلى قرائها الجزائريين ما يكتبه الآخرون عن الأمة العربية والحضارة العربية تمجيدا وإشادة، ومن ذلك نقلها لمقالة عبد الرحمن المازني "العرب ثمانون مليون...لكنهم لا يريدون أن يخيفوا أحدا" ، وهي المقالة التي تحدث فيها المازني عن مقومات الوحدة العربية التي هي في نظره: اللغة والجوار، ووحدة الميراث التاريخي وتقارب الأجواء وتشابه العادات واشتراك المصالح الاقتصادية ، ووحدة الخطر، وقد دعا فيها إلى اتحاد بين الأمم العربية المستقلة مع انضمام الجزائر وتونس والمغرب بعد الاستقلال"[2].

وقد نقلت الشهاب[3] هذه المقالة للمازني عن جريدة المكشوف[4].

هكذا كانت الشهاب مدرسة متكاملة من جهة لغتها وأسلوبها وخطابها، فهي كانت تعبر عن مستوى ما وصلت إليه اللغة العربية في وطن تحت وطأة الاستعمار الفكري واللغوي

---

[1]- عبد المالك مرتاض- ابن باديس القضية- الإعلام- موقع ابن باديس : www.binbadis.net يوم 2015/04/28م- الساعة 19:59 – بتصرف.

[2]- أبو القاسم سعد الله- الاتجاه العربي في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين- مجلة الثقافة – وزارة الإعلام والثقافة- السنة السادسة - العدد: 31- صفر / ربيع الأول 1396هـ/ فيفري – مارس 1976م- ص 34.

[3]- الشهاب المجلد: 15 – الجزء: 07- صادر غرة رجب 1358هـ الموافق لأوت 1939 م- ص 337.

[4]- المكشوف: جريدة أدبية و فنية وسياسية أسست في بيروت بلبنان سنة 1936 م ، كان يملكها ويرأس تحريرها: فؤاد حبيش.

والثقافي أكثر من قرن، و كانت هذه اللغة في الشهاب تمثل الكفاح المستمر من أجل البقاء وتمثل التحدي الصارخ للغة المستعمر التي فرضها رسميا لتغزو العقول والألسنة والأقلام.
ومن جهة أخرى فإن اتجاه الشهاب وأفكارها ومواضيعها وأقلامها المحررة كانت تتحدى الثقافة البالية التي سعت بعض الطرق الصوفية المنحرفة لإشاعتها بين الجزائريين، وهي ثقافة المسكنة والخرافة والتواكل واليأس من الإصلاح والتغيير.

أما خطاب الشهاب فكان تصديا للمخططات الاستعمارية الرامية لطمس المقومات والمعالم الحضارية والهوية الوطنية للشعب الجزائري، والعاملة على إذلال و إهانة الإنسان الجزائري.

فالشهاب إذن رابطت على جبهتين رئيسيتين الأولى هي الدفاع عن الهوية الجزائرية والحضارة الإسلامية و اللغة العربية ، و الثانية هي الوقوف ضد المشاريع الاستعمارية التي حاولت إدماج الجزائريين وتجنيسهم.

الفصل الثاني

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

المقالـــــــة

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

1- مفهوم المقالـــة

2- خصائص فن المقالة

3- أنواع المقالـــة

4- المقالة في مجلة الشهاب

5- نماذج من مقالات الشهاب

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

1-مفهـوم المقالــة

أ- لغـــة:

المقالة مصدر قال يقول قَولا، وقِيلا، ومقالا ومقالة.

والمقالة: القول، والجمع: مقالات.

جاء في لسان العرب: "القول: الكلام على الترتيب، والمفعول: مقول"[1].

وفيه أيضا: "الجمع: أقوال ،وأقاويل جمع الجمع، قال يقول قولا وقيلا وقولة ومقالا ومقالة...وقيل: القول في الخير والشر، والقيل والقال في الشر خاصة"[2].

وفي القاموس المحيط للفيروز أبادي: "القول: الكلام أو كل لفظ مذل بـــه اللسان تامـــا أو ناقصا، جمعه أقوال وجمع الجمع أقـاويـل، أو القـول في الخير، والقـــال والقيل والقالة في الشر، أو القول مصدر والقيل والقال اسمان له ، أو قال قولا وقيلا وقولة ومقالة ومقالا فيهما، فهو قائل وقالٌ و قَوُولٌ بالهمز وبالواو"[3].

وقوله مذل به اللسان أي: أفشاه ونطق به وتكلم.

وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "قول: القاف والواو واللام أصل واحد صحيح يَقِلُّ كلِمُـــهُ، وهو القـول من النطق، يقال: قال يقول قولا، والمِقْوَل: اللسان.رجل قُولَةٌ وقَوَّالٌ: كثير القول. وأما أقوال، وابن أقوال، وابن قوّال، أي جيد الكلام فصيح"[4].

هذه المعاني في عمومها تدل على الكلام وإعلان اللسان عما يجول في الخاطر، ولا يكون هذا إلا إذا نطق به اللسان وأفشاه، وأعلنه.

يقول النابغة الذبياني:

وأُخبِرتُ خَيْرَ النَّاس أنَّكَ لُمْتَنِي وتلك التي تَصْطَكَّ مِنْها المَسَامِعُ

---

[1]- ابن منظور- لسان العرب - باب القاف- ص 319- مادة : قول.
[2]- المرجع نفسه- ص 319 – مادة : قول .
[3]- الفيروز أبادي- القاموس المحيط- باب اللام- فصل القاف - ص 41 – مادة : قول .
[4]- أحمد بن فارس- معجم مقاييس اللغة - ج5 - ص 42 – مادة : قول .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

مَقَالَة أَنْ قَد قُلْتَ سَوْفَ أَنَالُهُ وَذَلِك مِـنْ تِلْقَـــاءِ مِثْلِـكَ رَائِــعُ[1]

"فقد وردت كلمة المقالة إذا في العصر الجاهلي في شعر النابغة الذبياني، ولا شك أنها جاءت في نثرهم كذلك ودارت على ألسنتهم واستخدموها في شؤونهم العامة والخاصة، رغبة في توضيح موقف أو نهي عما لا يستحسن، أو أملا في إرشاد ونصح"[2].

وجاء في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: "نضر الله أمرؤا سمع مقالتي فحفظها ووعاها و أدّاها، فرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[3].

و المقصود بالمقالة هو الحديث والوصايا التي وصى بها النبي – صلى الله عليه وسلم – من كان حاضرا معه من المسلمين وهي وصايا جامعة لشؤون الدين والدنيا وأوصى بتبليغها لمن لم يكن شاهدا معه.

"ومقال من حيث الاشتقاق مصدر ميمي بمعنى قول، ويأتي اسم مفعول (مَقُول، مِقْول)"، بمعنى شيء يقال، منه ما نحن بصدده، ومنه أيضا على الأرجح، القول المشهور: لكل مقام مقال، بمعنى لكل مجلس أو حدث شيء يقال فيـــه، أو قول يقال فيه، فتكون مصدرا ميميا"[4].

فالمقال والمقالة إذا من قال يقول أي تكلم يتكلم كلاما بينا واضحا فصيحا.

ب- اصطلاحا:

لعله من الصعوبة بمكان الوقوف على رأي واحد في مفهوم المقالة باعتبارها فنا أدبيا نثريا أو جنسا من أجناس الأدب، "ويقصد بالأجناس الأدبية القوالب الفنية العامة للأدب بوصفه أجناســا أدبيــة تختلـف فيمــا بينهــا لا علــى حساب مؤلفيهــا أو عصــورها أو مكانهــا أو لغاتها ، لكن على حساب بنيتها الفنية وما تستلزمه من طابع عام، ومن صور تتعلق بالشخصيات الأدبية، أو بالصياغة التعبيرية الجزئية التي ينبغي ألا تقوم إلا

[1]- النابغة الذبياني- الديوان- شرح عباس عبد الستار- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط3- 1416هـ- 1996م - ص 54.
[2]- عبد الرحمن عبد الحميد علي – معالم المقال الأدبي و الصحفي – دار الكتاب الحديث – القاهرة – مصر – 1428هـ - 2008م- ص11.
[3]- محمد بن عيسى الترمذي – الجامع الصحيح (سنن الترمذي) – تحقيق : إبراهيم عطوه عوض – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة – مصر – ط2 – 1395هـ - 1975 م – ج5 – ص 34- حديث رقم : 2658 .
[4]- سحر الخليل – مختارات من النثر العربي –دار البداية ناشرون و موزعون – عمان – الأردن – ط 1 – 1432هـ - 2011 م – ص137.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

في ظل الوحدة الفنية للجنس الأدبي مهما اختلفت اللغات والآداب والعصور التي تنتمي إليها" [1].

و الواقع أن هناك طائفة من النقاد والدارسين وضعوا لها تعريفات تتفق في جوانب وتختلف في أخرى ، وفيما يلي جملة من التعريفات على سبيل المثال و الاستدلال لا الحصر:

- يعرفها عبد النور جبور أنها "بحث في سطور أو صفحات معدودة، شاعت كتابته بعد انتشار الجرائد والمجلات وتتميز بالتركيز على المعنى ،و وضوح الغرض و الانتهاء في معظم الأحيان إلى محصلات بارزة ترسخ في أذهان القراء"[2].
- وعرَّفها عبد اللطيف محمد السيد بأنها: "تعبير مكتوب عن نظرة أو رأي شخصي في أمر من أمور الحياة أو شيء من أشيائها، يتخذ الكاتب له فيه خط سير مرسوم–أيا كان شكل ذلك الخط– يتم بتمامه نقل ما في نفسه إلى المتلقي"[3].
- أما عبد العزيز شرف فيعرفها بقوله: "والمقال كجنس أدبي، مجال واسع الأجناس، يشمل في أعطافه أشكالا فرعية، وسلسلة واسعة النطاق من الموضوعات، وأنواعا مختلفة من الأساليب، فالمقال كعمل فني يتشابك فيه الخيال والواقع، وفقا لما تمليه شخصية الكاتب في تعبيره عن رؤيته للحياة أو الأحداث، أو تقديمه لبيان رسمي حول اتجاهه إزاء موضوع دقيق واضح الهدف"[4].
- كما يعرفها أيضا بقوله: "وتأسيسا على هذا الفهم، فإن أدب المقالة كفن من فنـــون القـــول و التعبير يكتسب مدلولا حضاريا بوصفه نشاطا يهدف إلى غايات عقلية ثقافية...والمقال الأدبي يتضمن هذه القيمة الجمالية في اللغة، كما يتضمنها في الأسلوب حين يتوخى درجة عالية من جمال التعبير"[5].
- ويعرف زكي المحاسني المقالة بقوله: "المقالة كتاب صغير، وهي حقا كذلك لأنها ينبغي أن تحتوي على فكرة مختصرة في صفحات محدودة كرأي يريد صاحبه عرضه

[1]- عبد العزيز شرف – الأدب الفكاهي – الشركة المصرية العالمية للنشر و التوزيع لونجمان – القاهرة – مصر– ط1– 1992م– ص 25.
[2]- عبد النور جبور- المعجم الأدبي- دار العلم للملايين بيروت لبنان- ط2- 1984م- ص 216.
[3]- عبد اللطيف محمد السيد الحديدي - فن المقال في ضوء النقد الأدبي- القاهرة- مصر ط1 - 1417هـ - 1996م - ص 15.
[4]- عبد العزيز شرف- أدب المقالة- من المعاصرة إلى الأصالة- دراسة ونماذج- دار الجيل- بيروت- لبنان- 1420هـ - 2000م - ص 13.
[5]- عبد العزيز شرف- التفسير الإعلامي لأدب المقالة- دار عالم المعرفة لنشر وتوزيع الكتاب- القاهرة- مصر- 1415هـ - 1995م- ص 19.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

على الناس، ويشترط في المقالة أن تهدف إلى غرض، وأن تنتهي إليه، مكتوبة بلغة سليمة، وفكر منير، إذ المقصود منها التقريب لا الإبعاد"[1].

- بينما عرفها عمر الدقاق ومن معه في كتاب: ملامح النثر الحديث وفنونه، بقوله: "يطلق اصطلاح "المقالة" وهو مصدر ميمي، في العصر الحديث على الموضوع المكتوب الذي يوضح رأيا خاصا أو فكرة عامة أو مسألة علمية أو اقتصادية أو اجتماعية، يشرحها الكاتب ويؤيدها بالبراهين، وهي تقوم على عناصر ثلاثة: المادة، الأسلوب (العبارة)و لها بعد ذلك خطة (أو أسلوب عقلي)؛ ولما كانت المادة من المسائل الفكرية التي ترمي إلى التعليم والإقناع وجب أن تكون صحيحة بريئة من الأخطاء والتناقض، حتى تؤدي إلى نتيجة معقولة، ولا بد من الحيطة والحذر في تقرير الأحكام والنتائج، فإذا تحقق الاستقراء أمكن تعميم الأحكام، وإلا اقتصر الكاتب فيما يقول، وبقدر كمية المعلومات وجِدَّتها تكون قيمة المقالة"[2].
- ويعرفها محمد يوسف نجم بأنها: " قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكُلفة و الرَّهَق، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب، وهذا التعريف ينطبق على المقالة بمعناها الفني"[3].
- والمقالة عند علي بوملحم هي: "قطعة أدبية نثرية، تتناول ناحية من نواحي الحياة، أوتعالج موضوعا ضيقا من موضوعاتها"[4].

خلاصة هذه التعريفات أن المقالة قطعة نثرية موجزة تعالج موضوعا معينا محددا وفق رؤية ولغة مناسبة وإحاطة بجميع جوانب الموضوع المطروق.

و إن الحديث عن أصل المقالة ونشأتها ، وهل لها جذور في الأدب العربي؟ هو حديث متشعب جدا. غير أن المعروف، هو أن المقالة في صورتها الحديثة بالشكل المعروف لم تعرف في الأدب العربي إلا في العصر الحديث.

"فالمقالة ظهرت بظهور الصحافة، واستمدت مقوماتها من فن الرسالة قديما، والمقالة الغربية حديثا، وقد ارتبط تطورها في أدبنا العربي الحديث بتطور الصحافة، فقد نشأت المقالة

---

[1]- زكي المحاسني- نظرات في أدبنا المعاصر - المكتبة الثقافية- دار القلم- القاهرة- مصر- 1962م- ص 105.
[2]- عمر الدقاق و آخرون- ملامح النثر الحديث وفنونه- دار الأوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان- ط1- 1997م- ص 47.
[3]- محمد يوسف نجم- فن المقالة- دار الثقافة- بيروت- لبنان- ط4- ص 95.
[4]- علي أبو ملحم- في الأدب وفنونه- المطبعة العصرية- صيدا- لبنان- 1970م- ص 167.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

في حضن الصحافة، واستمدت منها نسمة الحياة منذ ظهورها، وخدمت أغراضها المختلفة، وحملت إلى قرائها آراء محرريها وكتابها"[1].

لذلك فإن المقـالة تتلون بشخصيــة كاتبها وبيئته لأن الأديب كاتب المقالة يعكس ما يدور حوله في نواحي الحياة المتعددة من قيم وصور وعادات وقضايا ومشاكل انطلاقا من رؤيته وقناعته الشخصية ، " لذلك يختلف الشكل الفني للمقال تبعا لاختلاف الكتاب ومستواهم الفني والثقافي، فإذا كان الكاتب ذا ثقافة فكرية اتسم أسلوبه بسمات فكرية ومال إلى استخدام الحجج والبراهين والأدلة المنطقية ، واهتم بإبراز الأفكار وترتيبها وتسلسلها واتسمت عباراته بالدقة والوضوح والسهولة، وإذا كان يتسم بثقافة فنية بيانية، غلب على أسلوبه الدقة في التعبير، وحسن اختيار الألفاظ الملائمة للمعنى، واستخدام الصور البيانية، والخيال لإحداث التأثير الجمالي عن طريق جمال الأسلوب، وروعة الإيقاع، ودقة الأداء، وجودة الصياغة؛ كما يختلف أسلوب الكاتب تبعا للموضوع الذي يعالجه"[2].

وبهذا يكون المقال قابلا للملاءمة مع الموضوع الذي يطرقه الأديب والأهداف التي يصبو إليها غير أنه يميل إلى القصر والإيجاز، وهو غير ميال للطول كما يتصف بحرية الكاتب في اختيار الموضوعات التي يرغب في إبداء رأيه فيهــا، كل ذلك في أسلوب يروق للقــارئ ويستهويه بوضوحه وانطلاقه وصدقه وخفة روحه.

"المقال بهذه الخصائص قد حظي في أدبنا الحديث من بين فنون الأدب الأخرى بأكبر قدر من الإقبال عليه والنشاط والرواج، لأن القارئ يجد فيه متعة نفسه وغناء فكره بأيسر جهد، ولولاه لما راجت الصحافة ونفق سوقها ولا ما كان للمجلات مجال في الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية والفكرية والعلمية"[3].

فقد طغى فن المقالة على بقية الفنون النثرية بل على كل الفنون الأدبية بصفة عامة، وذلك نظرا لتوفر أسباب نجاحه وأهمها هو التطور الكبير الذي عرفه عالم النشر بعامة والصحافة بخاصة.

---

[1]- صابر عبد الدائم و حسين علي محمد- فن المقالة- دراسة نظرية ونماذج تطبيقية- دار الكتاب الحديث- القاهرة- مصر- ط1- 1432هـ - 2011م- ص 14.

[2]- عبد العاطي شلبي- دراسات في فنون الأدب الحديث- المكتب الجامعي الحديث- الإسكندرية- مصر- ط1- 2005م- ص 106.

[3]- علي علي مصطفى صبح- من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية- دار المريخ- الرياض- المملكة العربية السعودية- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1406هـ- 1985م- ص 143.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

2-خصائص فن المقالة:

على الرغم من الصعوبة التي واجهت النقاد والباحثين في الاتفاق على تعريف واحد لفن المقالة إلا أنهم أجمعوا على بعض الخصائص التي يجب توافرها في المقالة و غيابها يعني خروج النص المدروس من دائرة المقالة.

و إن" أقرب أنواع النثر الإنشائي إلى المقالة هي القصة والخطابة، تلتقي وإياها في الحجم ومحدودية التجربة، وتختلف في أنها- أي المقالة- أكثر حرية في الشكل وأكثر عفوية، وأوسع مدى في الموضوعات، وأشد ملازمة للذاتية، وتلتقي والخطابة في القصر والانفعال وفي مخاطبة الآخرين، وتبتعد في أنها تبدو أقل درجة في الانفعال ولا تقدم مشافهة، وأنها تفكر بالقارئ صديقا متجاوبا فتنأى عن اللهجة الصارخة"[1].

ومن الخصائص الفنية التي يجب توافرها في المقالة [2]:

1-الإيجاز وتكثيف المعنى بعيدا عن الحشو والاستطراد والتفصيلات التي تؤثر على وحدة الموضوع وتماسك البناء، فالمقالة قطعة أدبية قصيرة لا تتجاوز بضع صفحات، فإذا طالت غدت بحثا و فنا من فنون الأدب النثرية الأخرى.

2-ترابط الموضوع وتماسكه وتآزر عناصره، ونموها نموا طبيعيا بحيث تفضي البداية إلى الخاتمة، وتتصل الأسباب بالنتائج في إحكام فني واضح.

3-الاهتمام بوضوح الفكرة وإبراز عناصرها الأساسية، وتقديم الحجج والبراهين المنطقية التي تؤدي إلى التأثير والإقناع.

4-الاهتمام بالجانب الوجداني بحيث تظهر أصالة الكاتب ورؤيته الخاصة، ويتضح طابعه المميز في التفكير والتعبير، مثلما تبدي عاطفته الصادقة.

5-توظيف مؤهلات الكاتب الفنية في التشويق والإمتاع بحيث يشد قارئه ويؤثر فيه وينقل تجربته في الحياة، و وعيه بقضاياها بأسلوب جميل خال من الغموض والتعقيد، بعيدا عن الركاكة والابتذال، مجاف للتكلف والصناعة المستهجنة.

---

[1]- محمد ربيع- التعبير الوظيفي- دار الفكر – عمان- الأردن- ط2- 1420 هـ - 2000م- ص 155.

[2]- إبراهيم السعافين و آخرون- أساليب التعبير الأدبي- دار الشروق للنشر والتوزيع-عمان - الأردن- ط3- 2000م- ص 258- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

" وينبغي للكاتب أن يختار الأسلوب الذي يتكفل بالتعبير عن أفكاره، بما يتسق مع الموضوع الذي اختاره لمقالته، فإذا كان موضوع المقالة أدبيا، كان على الكاتب أن يختار الصور الجميلة والتعبيرات الرشيقة، والألفاظ الرقيقة، والجمل المتسقة، والخيال الراقي. أما المقالات التي تعالج الشؤون العلمية أو المشكلات الفكرية والاجتماعية فيجب على كاتب المقالة أن يلتزم الدقة في التعبير، ويعرض عن الصور المجازية والاستعارات البلاغية والخيالات التي لا تتناسب مع هذا المقام"[1].

و هناك أسلوب وسط يجمع بين جمالية الأسلوب الأدبي ودقة ووضوح الأسلوب العلمي وهو أنسب ما يكون للمقالات المتعلقة بالنقد الأدبي فموضوعه أدبي ومنهجه علمي.

6-تجمع المقالة بين ذاتية الكاتب المتمثلة في التعبير عن فكره، وموضوعية التجربة التي يكتب فيها سواء أكانت أدبية أم اجتماعية أم دينية أم سياسية؛ ولهذا تتجلى فيها مدى أصالته وسعة ثقافته، وعمق خبرته بالحياة.

7-مجال المقالة مفتوح لكل الموضوعات الإنسانية والأدبية والدينية والاجتماعية، وبذلك تستوعب التجارب التي تجيش في صدر الإنسان وينفعل بها مجتمعه، وترقى بها إنسانيته، ومعنى هذا يشترط أن يتوافر في المقالة صدق إحساس الكاتب، وأصالته في التعبير عن ذاته؛ ووجهة نظر بارزة يتبناها ويتحمس لها ويدافع عنها، وتوظيف المهارات الفنية لصياغة أسلوب يجمع بين جمال التعبير وقوة الإثارة والإقناع.

"والمقال لا يهدف إلى بلوغ الانفعال الوجداني بقدر ما يسعى إلى الإقناع الفكري شأنه شأن فنون النثر القديم كالخطب و الرسائل بألوانها المختلفة، ومن ثم تمتزج في المقال ملامح الذاتية التي تصدر عن خبرات الكاتب الفردية ومشاهداته الشخصية ومرجعيته الخاصة بملامح الموضوعية التي تصدر عن طبيعة فن المقـــال والتـــزام الكاتب بموضوعـــه، وقصديته إلى الإقناع العقلي. وليس ينفي ذلك غلبة أي من هذين

[1]- جميل إبراهيم علوش- الفصول في الكتابة الأدبية- مكتبة المجتمع العربي للنشر- عمان- الأردن- ط1 - 1423هـ- 2003م، ص 99.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الاتجاهين (الذاتي والموضوعي) على كتاب بعينهم، أو على ألوان بعينها من المقالات"[1].

وفي هذا المعنى يقول محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي: "المقالة نوع أدبي جديد عرفه العرب في العصر الحديث، ولكن هذا لا يعني أننا لا نجد في الأدب القديم فصولا عن موضوعات مختلفة يمكن إدراجها تحت باب المقالة، ومن خير هذه الفصول ما كتبه القاضي عياض وابن خلدون، وهي تطلق على البحث القصير الذي ينشر في صحيفة يومية أو أسبوعية أو شهرية، وتدور على إبداء فكرة أو تقرير رأي أو الدفاع عن وجهة نظر"[2].

فالذاتية والموضوعية عندهما متلازمتان في المقال، وقد تطغى إحداهما على الأخرى من حين لآخر، ثم يردفان بقولهما: "والمقالة قد تكون أدبية، وقد تكون اجتماعية وقد تكون علمية وقد تكون سياسية، وقد تكون نقدية... وقد خضعت لما يعرف بالطريقة العلمية هذه الطريقة التي تعني تحرر الكاتب عن الهوى والبعد عن المغالط، والاعتماد على مصادر البحث الموثوقة، و التزام الصدق والبحث عن الحقيقة"[3].

فالمقالة إذن أصبحت من أهم الفنون النثرية في العصر الحديث ، وهي مطية لجميع الكتاب يلجأون إليها لعرض تأملاتهم الذاتية أو أفكارهم الموضوعية، فغدت في عرف الأدباء قطعة نثرية تدور حول موضوع من الموضوعات يبذل فيها الكاتب جهده لتجلية ذلك الموضوع في صورة ملائمة.

أما خطة المقالة فرغم اختلاف موضوعاتها ومناهج تناولها إلا أنها في مجملها تتفق على هيكل يقوم على مقدمة للموضوع ثم عرض له ثم خاتمة تجمل نتائجه، وتختلف أساليب الكتاب اختلافا بينا غير أن الصفة اللازمة لأسلوب المقالة هي الوضوح الذي ينطوي على القوة والجمال.

---

[1]- محمد مصطفى أبو شوارب- المدخل إلى فنون النثر الأدبي ومهاراته التعبيرية - دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية- مصر- ط1- 2007م- ص 21.

[2]- محمد بن تاويت و محمد الصادق عفيفي- الأدب المغربي- مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني- بيروت- لبنان- ط1- 1960م- ص 382.

[3]- المرجع نفسه- ص 382.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

3-أنواع المقالة:

من خلال ما سبق يتضح أن المقالة تتناول كل شؤون الحياة وعوارضها، وأنها تشمل تعبير الكاتب عن أحاسيسه وتعبيره عن رأيه فيما يقع تحت حسه وفكره، فهي إذن ذاتية إذا كان بين محتواها وبين كاتبها صلة نفسية، أو موضوعية إذا كان بين محتواها وبين كاتبها صلة موضوعية.

فقد اعتمد النقاد تقسيم المقالة إلى قسمين عريضين انطلاقا من اللون الذي تصطبغ به المقالة:

أ- **المقالة الذاتية:** وفي هذا النوع يكون الأديب أو الكاتب هو محور المقالة بحيث لا نستطيع أن نعطي فكرة محددة لموضوع المقالة، بل هي موضوعات وأفكار وخواطر وأحاسيس يتحدث بها الكاتب تلقائيا بغير منطق في العرض ولا نظام مقصود في الترتيب.

" ويُرى كاتب المقالة هنا رجلا صديقا لقرائه ولا يشعرهم دوما بأستاذيته و إنما هو يفيدهم في بساطة حديثه الذي وإن بدا في ظاهره سهلا، فهو عميق في مضمونه، ويمتع قلوبهم بخفة روحه، ويخرج عن الفكرة إلى إحساس يحسه أو تجربة مر بها"[1].

ب- **المقالة الموضوعية:** وهي التي يقصد إليها الكاتب قصدا بحيث يحدد نقاط حديثه في موضوع المقالة تحديدا واضحا، بحيث تغلب مادة المقالة سواء كانت علما طبيعيا أو إنسانيا أو فلسفة على أحاسيس الكاتب وعواطفه، أي أن صوت العقل فيها أعلى من صوت العاطفة، والأسلوب فيها محدد مركز دقيق خال من الإجادة الأدبية أو الصنعة الفنية، فلا صور فيها ولا خيال.

"و يُرى كاتب المقالة هنا رجلا ذا وقار و جدٍّ فحديثه في مادة موضوعه مباشر نحو

[1]- عبد العالي شلبي- فنون الأدب- دراسة تطبيقية للشعر في عصوره المختلفة والمقال والقصة القصيرة- المكتب الجامعي الحديث- الإسكندرية- مصر- ط1- 2005م- ص 55- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

العقل ولا يقصد أن يحرك عواطف قرائه أو يمس وجدانهم"[1].

ومعنى ذلك أن " المقال الموضوعي شرطه أن يعتمد على التفكير العلمي، وموضوعيته كفيلة أن تنجو به من اختلاف النظرات الفردية التي كثيرا ما تتحكم فيها الأهواء والرغبات والحالات الوجدانية بصفة عامة"[2].

رغم ما سبق فإنه ليس من السهولة وضع حدود فارقة بين المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية و الفيصل في ذلك هو مدى انعكاس عناصر شخصية الكاتب في المقالة، ففي الذاتية تكون أوضح وأظهر منها في الموضوعية، وإن التمييز بين ألوان المقالة هذه ما هو إلا تمييزا تقريبيا فقط وذلك لتسهيل عملية الدراسة التي تستوجب هذا التوضيح والتفصيل.

و فيما يلي أنواع المقالة، حسب هذين الصنفين (الذاتي والموضوعي)[3]:

أ- **المقالة الذاتية:** وهي المقالة التي تعبر عن مشاعر الكاتب وأحاسيسه تجاه مشهد من المشاهد أو حدث من الأحداث، أو قضية من القضايا، وتعكس في وضوح وصراحة رؤية صاحبها الخاصة للموضوع الذي تتناوله المقالة.

و تتكون المقالة الذاتية من أنواع كثيرة ، أهمها :

1-**المقالة الاجتماعية:**تدور حول مشكلات المجتمع، وتحاول وضع الحل المناسب لها أو القضاء على ما فسد من عادات المجتمع وتقاليده، وهي تتميز بالوجدانية الصادقة، ولغتها في الغالب سهلة واضحة تناسب أذواق القراء.

2-**المقالة السياسية:**هذا اللون من المقالات يعبر تعبيرا مباشرا عن أحاسيس الكتاب ومشاعرهم اتجاه وطنهم، والتي تلهب في الوقت ذاته حماسة الشعب، وتحرك فيه الروح الوطنية، فيثور في وجه المستعمر الغاشم الذي يجثم فوق صدره.

" وغالبا ما يحصر الهم في المقالات السياسية في أمر واحد وهو التشنيع حتى تستحكم في

---

[1]- المرجع السابق- ص 54- بتصرف.

[2]- عبد العزيز شرف- أدب المقالة- مكتبة لبنان ناشرون- بيروت- لبنان- الشركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان- القاهرة- مصر- ط1- 1997م- ص 53.

[3]- عبد اللطيف محمد السيد الحديدي- فن المقال في ضوء النقد الأدبي- ص 27.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

النفوس كراهية الاستعمار ورجاله في البلاد فتؤدي هذه الكراهية إلى تقوية روح الرغبة في الحرية والاستقلال وعادة ما تمتزج المقالات السياسية بالأدب فتأتي فيها طرف من الأدب وسط السياسة"[1].

كما تتناول هذه المقالة الأمور السياسية المختلفة المتعلقة بنظام الحكم والأحزاب والتوجهات السياسية.

ويطلق عليها أحيانا "المقالة الوطنية" وذلك لأن موضوعها يدور حول الوطن واستقلاله ومحاربة المستعمر، وإيقاظ الشعور الوطني العام في نفوس الشعب للمطالبة بحقه في الحرية والاستقلال.

3-**المقالة الدينية:**تتناول الشؤون الدينية ، وتبصر الناس بها، وتعرض لبعض المذاهب الهدامة التي تحاول النيل من الإسلام والمسلمين، وتتناول أيضا بعض المظاهر السيئة في المجتمع ومعالجتها في ضوء المبادئ الإسلامية.

4-**المقالة العاطفية:**هي تلك المقالات المتعلقة بالمشاعر والأحاسيس التي تختلج في صدر الإنسان بمعناها العام أو كتجربة شخصيته.

5-**المقالة التأبينية:**هي المقالة التي يرثي فيها الكاتب صديقا مات، أو عزيزا رحل، رثاء ينم عن عاطفة متأججة بالحـزن ، و مشاعر صادقة نحو من يرثيه، في يوم رحيله أو تأبينه بذكر مآثره وأفضاله.

6-**المقالة الوصفية:** ونعني بها التعبير الدائر على الوصف سواء كان وصفا لأحد مشاهد الطبيعة أو وصفا لانعكاسات الحياة في نفس الكاتب، أو وصفا لعالم جديد لم يسبق للكاتب العيش فيه.

فهي مقالة تقوم على تصوير ما يقع تحت حس الكاتب وبصره في العوالم المحيطة به، سـواء فـي عالمـه وبيئتـه، أو عـوالـم الآخريـن وبيئاتهـم حتى ينتقـل إليهـا ويشاهـدهـا، وكذلك تصوير مشاعره وأحاسيسه الذاتية تجاه ما يقع تحت حسه، وبصره في تلك العوالم.

[1]- شفيق جبري - أنا و النثر- مطبعة نهضة مصر - القاهرة- مصر - 1960م- ص 90- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

7-**المقالة التأملية:** يقصد بها المقالة التي تخرج عن دائرة المجتمع فتشمل الكون والحياة والنفس الإنسانية وما يحيط بالإنسان من عوالم ومخلوقات.

ب- **المقالة الموضوعية:** هي المقالة التي يكون بين محتواها و بين كاتبها صلة موضوعية ويطغى فيها الموضوع على شخصية الكاتب .

وهي أنواع:

1-**المقالة الفكرية:** وتعرض لشؤون الفكر دينية كانت أو فلسفية، بالبحث والتحليل، والتفسير، والتعليل، فهي تعتمد أولا وأخيرا على تفكير الكاتب.

وهذا اللون من المقالات يتطلب من الكاتب أن يكون ملما بأبعاد موضوعه إلماما قائما على الفهم والاقتناع.

2-**المقالة التاريخية:**تتناول أحداث التاريخ بالعرض أو تتعرض لشخصيات تاريخية بالوصف.وهي تعتمد على جمع الروايات والأخبار والحقائق.

3-**المقالة النقدية:**نعني بها المقالة التي تعرض للأدب والفن بالموازنة والتقييم، فهي تقعد للمسائل الأدبية و تعتمد على التمعن الدقيق وشق القضايا والمفاهيم.

ففي هذه المقالة يسعى الكاتب إلى إبانة رؤيته في مسألة أدبية من خلال الحقائق.

ج- أنواع أخرى من المقالة :

إن الأنواع السابقة من المقالة هي ما اشتهر بين النقاد و الدارسين ، غير أنه هناك ألوان أخرى من المقالة بعضها يمكن إدراجه ضمن الأنواع سالفة الذكر وبعضها يمكن اعتبارها مستقلا إما بموضوعه أو منهجه وأسلوبه، ومنها:

1-**المقالة الصحفية:**

"وهو مقال لا يلتزم بصورة كاملة بشروط المقال الموضوعي ولا بشروط المقال الذاتي، وهذا النوع من المقالات يتحرر بصورة شبه كاملة من أية قيود شكلية سواء من حيث الموضوع أو اللغة أو الحجم، فالكاتب يستطيع أن يكتب بلغة أدبية، كما يستطيع أن يكتب بلغة علمية، وأحيانا يورد بعض الألفاظ العامية"[1].

[1]- خليل الخطيب- فنون الكتابة الأدبية- دار الشروق للنشر والتوزيع- عمان- الأردن- ط1- 2000م- ص 132- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

تناولت المقالة الصحفية جميع الموضوعات من الأخبار اليومية إلى القضايا الفكرية والفلسفية، و "كان للمقالة الصحفية أكبر الأثر في معالجة النقد الأدبي كما كان لها الأثر العميق في معالجة الأوضاع الاجتماعية والثقافية والفنية، وقد تطورت بتطور المجتمع وتطور الصحافة، وقد امتازت بالتركيز والدقة العلمية والميل إلى بث الثقافة العامة، لتربية أذواق الناس وعقولهم، ولم يكن أثر المجلات دون أثر الصحف تطويرا لفن المقالة الصحفية وبلورته من خلال تطوير اللغة وتهذيب أسلوب الكتابة، بحيث أصبح أداة مواتية لنقل الأفكار الحديثة، وكذا إنشاء طبقة من الكتاب الذين عنوا بفن المقالة وجعلوها الوسيلة الأولى لنقل أفكارهم وإذاعة آرائهم"[1].

ففي الجزائر ظهرت طبقة من المفكرين والأدباء الذين سخروا الصحافة لخدمة أفكارهم وآرائهم و بخاصة الإصلاحية منها ، لا سيما في فترة ما بين الحربين العالميتين.

" وقد ازدهرت الصحافة في هذه الفترة (ما بين الحربين)ازدهارا كبيرا وازدهرت معها المقالة الصحفية ازدهارا طيبا، وامتازت بفصاحة اللغة ونقاوتها في الغالب، كما امتازت بجمال الأسلوب وحسن الإخراج، والحرص على التبويب والترتيب"[2].

وطورت المقالة الصحفية اللغة وجعلتها "مثلا لتجديد اللغة والتوسع في دلالاتها فهي تفتح آفاق التعبير عما يجول في الذهن من معان وأفكار... فالصحافيون يقومون بتوليد الألفاظ يوميا سواء عن طريق الاقتراض من اللغات الأجنبية، وإما باستعمال المجاز والاستعارة توسعا في دلالة الكلمات، وإما بالترجمة ، مما ساعد على إثراء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة منذ ظهور الصحافة"[3].

غير أن هذا التوسع في الترجمة وكذا اعتماد الصحافة أحيانا على أفراد ليسوا بأكفاء لهذه الرسالـــة جعلها تنحـط إلى مستويات دنيا مـن الرداءة فنتعـجب أحيـانا "ممـا نسمعـــه أو نطالعه في وسائل الإعلام من ضعف في الأسلوب، وركاكة في التعبير، وغموض في المعنى، وهذا كله نتيجة لجوء الصحافيين إلى الترجمة الحرفية السريعة بسبب

[1]- حنا الفاخوري- الجامع في تاريخ الأدب العربي- دار الجيل- بيروت- لبنان- ط1- 1986م- ص 39- بتصرف.
[2]- عبد الملك مرتاض- نشأة الصحافة العربية وتطورها في الجزائر- مجلة الثقافة وزارة الإعلام والثقافة- الجزائر- السنة 06- العدد 33- جمادى الثانية- رجب 1396 هـ/ جوان- جويلية- 1976م- ص 34- بتصرف.
[3]- صالح بلعيد و آخرون- لغة الصحافة- دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع- تيزي وزو- الجزائر- 2007م- ص 90.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

طبيعة العمل الصحفي الذي تلاحقه السرعة باستمرار، فتقذف الجرائد إلى السوق كل يوم كلمات وتراكيب ركيكة، ويتلقفها قراء محدودو الثقافة وتلحق الضرر باللغة العربية ومتعلميها"[1].

و ذلك لكون لغة الصحافة "حمّاله أوجه، ولها تأثير هام في العمل على رفد لغة ما، كمالها أثر سلبي في الحط من قيمة اللغة، بل والتشنيع بها. ومن هنـــا نقــول إن الإعلام خطير ،ذلك أنه موجه إلى عدة شرائح تتباين مستوياتها داخل المجتمع، فيحتاج إلى اختيار وانتقاء لغة بسيطة لا لبس فيها، كي تصل الرسالة دون تأويل"[2].

و لكون المقال الصحفي يوجه عادة لعامة الناس ، فعليه أن يكون مقنعا و ممتعا و بأقل عدد ممكن من الكلمات ، كما عليه أن يحافظ على مستوى معين من الالتزام و الصدق.

2-المقالةالقصصية :

يتخذ هذا اللون من المقال الأدبي في عمومه طابع الحكاية أو القصة "التي يصف فيها الكاتب لقرائه موقفا حياتيا معيشا جرى له في وقت من الأوقات، ورأى أن في إطلاع القراء عليه فائدة ما، أو ربما اخترع الكاتب هذه الحكاية ليعرض على قرائه ما أراده من صنوف الآراء، ويجلي لهم ما قصده من ألوان التفكير"[3].

و الملاحظ على المقال القصصي جنوحه أحيانا إلى نوع من الطول غير المبالغ فيه، كما أنه يمتاز بتلك النزعة القصصية التي يحرص الكــاتب على أن يبرز خلالها الشخصيـــات و الأزمنة والأمكنة على تفاوتها، كما يصف الأحداث غالبا بتفصيلاتها.

فهذا الصنف من المقالة تتجلى في "المعاني التي اشتملت عليها، إذ يقيمها الكاتب على حدود ويديرها على طريقته مصيبا بألفاظه مواقع الشعور، مثيرا بها مكامن الخيال، آخذا بوزن تاركا بوزن، لتأخذ النفس كما تشاء وتترك، ونقل حقائق الدنيا نقلا صحيحا إلى الكتابة هو انتزاعها من الحياة في أسلــوب، وإظهارهـا للحياة في أسلوب آخر يكون أوفى و أدق وأجمل، لوضعه كل شيء في خاص معناه... وتلك هي الصناعة الفنية الكاملة، تستدرك

---

[1]- المرجع السابق – ص111 - بتصرف .
[2]- صالح بلعيد- في الأمن اللغوي- دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر- 2010م- ص 235. بتصرف.
[3]- محمد مصطفى أبو شوارب- المدخل إلى فنون النثر الأدبي الحديث ومهاراته التعبيرية- ص 33.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

النقص فتتمه، وتتناول السر فتعلنه، وتلمس المقيد فتطلقه، وتأخذ المطلق فتحده، وتكشف الجمال فتظهره"[1].

و ارتبط ظهور المقال القصصي في الجزائر بظهور الحركة الإصلاحية والصحافة، وقد تطور المقال القصصي عن المقال الأدبي، والإصلاحي خصوصا، وهو يشكل البذرة الأولى، والشكل الأولي للقصة في الجزائر.

"ذلك أن الوظيفة التي وجد من اجلها المقال القصصي هي الوظيفة التي قام بها المقال الأدبي، والمقال الديني الإصلاحي؛ وارتباط الحياة الأدبية بالحركة الإصلاحية هو الذي جعل المقال القصصي يسير في خطها، فلم يكن الدافع إلى كتابته دافعا فنيا أدبيا بقدر ما كان الدافع خدمة الفكرة والدعوة الإصلاحية، أو "التبشير" على حد اصطلاح محمد السعيد الزاهري"[2].

فالظهور المبكر للمقال القصصي كان بظهور الحركة الإصلاحية، وانطلاق صحافتها في نشر مبادئها والدعوة إلى نهضة دينية وثقافية واجتماعية شاملة، فكان للمقال القصصي إلى جانب المقال الديني دور كبير في شرح الأفكار الإصلاحية بأسلوب قصصي يمكن القارئ من تلقي مبادئ الدعوة الإصلاحية و استيعابها بشكل أفضل وأكثر فاعلية.

"و كان للصحافة أثرها في تطوير المقال القصصي ، فمنذ ظهورها كانت عاملا من عوامل نمو اللغة وإعطائها المرونة والحيوية، فكانت مدرسة كبرى للوطنية، ومصلحا عظيما للمجتمع، ومثقفا كفؤا للشعب، ومنبرا للأدباء، وكان للمقال القصصي دوره في رفع مستوى اللغة وتطوير الأسلوب، فقد تطورت الأفكار، و أصبح المقال القصصي داعيا إلى العلم وتعليم المرأة وإلى الوعي، منتقدا العادات البالية، والتقاليد المستحدثة، ومعرِّضا بالشعوذة، ومتعرضا لقضايا سياسية، أما الأسلوب فأخذ يتحسن ويزدان، والوحدة العضوية تتضح وتتجلي"[3].

فالقالب الذي نشأ فيه المقال القصصي كان مزيجا من أسلوب المقال الأدبي، والديني والإصلاحي، من خلال الاهتمام بالشخصية الإنسانية، والحوار و في بعض الأحيان

[1]- مصطفى صادق الرافعي- وحي القلم- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر- 1991م- ج1- ص 07.
[2]- عبد الله الركيبي- القصة الجزائرية القصيرة- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1983م- ص 53- بتصرف.
[3]- محمد الطمار- الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1983م- ص 270 - بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

بالحدث، غير أن الأهم هو اهتمامه بالفكرة الإصلاحية وبالدعوة إليها والإلحاح على أهدافها بشكل مباشر واضح دون صنعة ولا تكلف، وذلك لإجلاء الرسالة المقصودة للقراء في شكل واضح وبيّن، لأن الأدب الجزائري كما يقول أبو القاسم سعد الله "كان طيلة العهد الاستعماري أدبا مكافحا، أدب رسالة وبندقية وليس أدب صالونات وحانات... فقد كان يناضل ضد الغزو الثقافي الأجنبي، وضد إجراءات القضاء على الذاتية الوطنية وفصل الجزائر عن جسم الأمة العربية"[1].

الكاتب الحق إذن ليس هو من يكتب لأجل الكتابة، فقط أو لأجل الترفيه والترويح عن النفس، ولكنه "أداة في يد القوة المصورة لهذا الوجود، و إذا اختير الكاتب لرسالة ما شعر بقوة تفرض نفسها عليه منها سناد رأيه و منها إقامة برهانه و منها جمال ما يأتي به ... هذه القوة هي التي تجعل اللفظة المفردة في ذهنه معنى تاما، وتحول الجملة الصغيرة إلى قصة... و هي التي تميز طريقته و أسلوبه"[2].

فالتركيز فـي المقال القصصي كان بالدرجـة الأولى على الفكرة سعيا لنشر مبادئ الإصلاح والتجديد في أوساط القراء والأهالي عموما "فكاتب المقال القصصي– وقد ركز اهتمامه على الفكرة– يبدأ عادة بمقدمة خطابية وعظيه ويتبعها بسرد للحوادث، وقد يعكس هذا، فيبدأ بسرد وبوصف للمناظر أو الحوادث، ويعقب ذلك بخطبة أو بمقال قصير يؤكد فيه الهدف والفكرة التي يكتب من أجلها"[3].

و قد يلح الكتاب في بعض الأحيان على اللغة، وذلك ليس لذاتها ولكن لما تحمله من دلالات قومية وإيحاءات وطنية.

" فاللغة هي التي تحفظ كيان الأمة وتاريخها، وتيسر أسباب بقائها و رقيها باعتبارها مظهرا من مظاهر التاريخ الذي يقوم عليه تراث الأمة ومقومات حياتها...فهي مرآة تنعكس فيها صورة الأمة بأفكارها و معانيها و حقائق نفوس أبنائها، و هي خير شاهد على تخـلفها أو رقيها، لكونها الوسيلة الوحيدة التي تجمع أبناء الأمة في صعيد واحد من الفكر... وهي

---

[1]- أبو القاسم سعد الله- قضايا شائكة- أحاديث في شؤون الفكر والأدب والتاريخ- دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان- 1990م- ص 55- بتصرف.

[2]- مصطفى صادق الرافعي- وحي القلم- ج1- ص 07.

[3]- عبد الله الركيبي- القصة الجزائرية القصيرة- ص 55- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

مقوم هام من مقومات استقلال شعب من الشعوب، إذ أن الحرص عليها والنهوض بها والاتساع فيها، دليل على كون شعبها سيد أمره ومحقق وجوده"[1].

و إذا كان تاريخ الأمة وحياتها المشتركة وحضارتها يمثل جسمها، فإن اللغة هي روحها، " فالباحث الاجتماعي يستطيع من خلال اللغة فقط أن يستخلص عادات أمة من الأمم وتقاليدها، وجوانب الضعف وجوانب القوة فيها، وبالتالي يستطيع أن يكتشف عبقريتها وحقيقتها، والاستعمار الفرنسي عندما أراد محو الشخصية الجزائرية عمد إلى اللغة العربية محاولا القضاء عليها فيقضي بذلك على القومية والهوية الجزائرية، لأن اللغة تابعة لعبقرية الأمة وأهم معبر عن ذاتيتها"[2].

و لهذا كان الكثير من الكتاب يهتمون باللغة العربية الإظهار عبقريتها كما يعمدون في بعض مقالاتهم إلى تعريب بعض الكلمات للتدليل على أن اللغة العربية ليست عاجزة عن التعبير، وهذه الفكرة تدخل ضمن خطة مواجهة الاستعمار ثقافيا.

[1]- محمد زرمان- المقال في أدب مصطفى صادق الرافعي- رسالة ماجستير – إشراف: د. أحمد علي شرارة- المعهد الوطني العالي في اللغة والآداب العربية- باتنة- الجزائر- 1407هـ- 1987م- ص 190-191.
[2]- محمد الطمار- الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج- ص 283- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

4 – المقالة في مجلة الشهاب:

تطرقت المقالة لكل الموضوعات دون استثناء وعالجت كل القضايا دون تمييز فمن نقد الآثار إلى محاربة الاستعمار والاستبداد، إلى الدعوة إلى إنصاف العمال، إلى قضايا المرأة، إلى نشر العلم وبث روح الإخاء والوطنية والدعوة إلى توحيد الكلمة ونقد الواقع الاجتماعي وغيرها، وهذا كله لم يكن إلا بازدهار الصحافة في بداية القرن العشرين بخاصة فترة ما بين الحربين العالميتين.

"فقد ازدهرت الصحافة في الجزائر وازدهر ما تنشره من شعر ونثر وانتشر التعليم وانتشرت اللغة العربية في الصحف والمحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد، وبدأت اللغة العربية تستعيد مكانتها، وظهرت المقالات المدبجة في الصحف بما تحمله من رؤى وأفكار إصلاحية وتحررية"[1].

و ازدهرت المقالة في الجزائر خلال هذه الفترة على يد كتاب أفذاذ أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومحمد السعيد الزاهري... وغيرهم كثيـر، وعن هذه الفترة يقول عبد الملك مرتاض: "ونحسب هذه الفترة أزهى فترة إطلاقا عرفتها الجزائرطوال عهد الاحتلال الفرنسي، وقد أطلقنا هذا الحكم هنا، لما استأثرت به هذه الفترة من كتاب ممتازين، أثروا الحركة الأدبية، وفن المقالة بوجه خاص، بما كانوا يملكون من مواهب وعبقريات، فلقد أتيح لهذه الفترة أن تعرف طبقة ممتازة من كتاب المقالة الأدبية، لم تستطع العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن في الجزائر أن تظفر بمثلها، فقد كانت هذه الطبقة تصطنع لغة نقية فصيحة، وأحيانا جزلة قوية، كما كانت تستخدم أسلوبا ناضرا أنيقا رشيقا، وكانت صحف الاتجاه الإصلاحي خاصة، لا تنشر من المقالات إلا ما استوت فيها عربية قائمة على احترام القواعد النحوية، مستكملة لأسباب الفصاحة"[2].

فببروز هؤلاء الكتاب المقتدرين انتعشت المقالة الأدبية بفعل أقلامهم، وتفتق قرائحهم، وبعد همهم في إحياء اللغة العربية وبعث الأدب في أوساط هذا الشعب وبين صفوف الأهالي.

---

[1]- كمال عجالي- الفكر الإصلاحي في الجزائر- الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد - شركة مزوار للطباعة والنشر والتوزيع - الوادي- الجزائر- ط1- 1426هـ- 2005م- ص 16- بتصرف.

[2]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر- 1931م-1954م- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1983م- ص 86.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وكان من أثر الصحافة في هذه الفترة أن عملت على تعميق الفكر وإيقاظ الوعي القومي، كما أثرت في الرأي العام ووجهته إلى التقدم والبحث عن مصيره وسط هذا المناخ، كما أسهمت في ازدهار النقد الأدبي والسياسي والاجتماعي، و خلصت الأسلوب الأدبي من قيود الصنعة وأثقال الزينة، إضافة إلى أنها فتحت للشعب والأهالي نوافذ أطلوا من خلالها على الوطن العربي والعالم أجمع وشاهدوا ما يتفاعل هناك من أفكار ورؤىً.

"وهي فترة عرفت أرقى الصحف العربية وأشهرها و أبعدها تأثيرا، وأكثرها و أشدها سلطانا على نفوس الناس، فالشهاب والبصائر مثلا كانتا تحييان في هذه الفترة، وهذا أحد الدلائل على رأينا، بأن ما ظهر من الصحف والمجـــلات، في الجزائـــر قبل ظهور الشهـــاب والبصائر، لم يكن يملأ عين الأدب جمالا، ولا يقري أذنه فنا وكمالا ... والشهاب التي أنشأها عبد الحميد بن باديس بقسنطينة سنة 1925م، صدرت جريدة أسبوعية حتى سنة 1929م حيث استحالت إلى مجلة شهرية وظلت تصدر إلى سبتمبر 1939م، وهي أشهر المجلات الجزائرية وأرقاهن إطلاقا قبل الاستقلال"[1].

و المتصفح لمجله الشهاب يجد أن أغلب مادتها هي مقالات في شتى مجالات البحث وفي أبوابها كلها.

و كان الشيخ عبد الحميد بن باديس من أكثر كتاب المقالة في الشهاب، وقد تناول شتى المواضيع من الوعظ والإرشاد الديني إلى مناقشة الأوضاع السياسية الداخلية منهـــا والخارجية ، و تنوعت المقالات المنشورة في مجلة الشهاب بين مواضيعها المذكورة في الدين والسياسة والمجتمع والأدب والنقد والاقتصاد والتربية وغيرها.

أما كتابها فقد كان على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس وبقية رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية كالشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي والشيخ مبارك الميلي والشيخ العربي التبسي وتوفيق المدني وغيرهم من علماء و كتاب وأدباء القطر الجزائري، إضافة إلى بعض ما كان يردهم من خارج القطر الجزائري من دول المغرب العربي وكذا المشرق، كما أن المجلة كانت تنشر بعض المجتنيات من الصحف التي تصدر خارج الجزائر وعلى رأسها المجلات والجرائد المشرقية، و كانت تنتقي بعض المقالات من

[1]- المرجع السابق- ص 87- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الكتب التي يصدرها كبـار كتـاب ذلك العصــر، فنشرت مقالات مصطفى صادق الرافعـي و لطفي المنفلوطي، و عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، وطه حسين وغيرهم من رواد الأدب والنقد و الفكر في تلك الفترة.

و كانت الموضوعات الأكثر تناولا في مقالات الشهاب تتعلق بالجوانب الدينية والإصلاحية والعلمية والاجتماعية والسياسية، وذلك كحاجة الجزائريين في تلك الفترة لها، نظرا للظروف التي كانت تعيشها الجزائر ويعيشها شعبها من فساد في العقيدة وشيوع الدجل والخرافات في العقائد إضافة إلى الجهل المتفشي في أوساط الأهالي، والخلافات السياسية بين مثقفي الشعب حول كيفية التعامل مع الاستعمار الفرنسي بين داع إلى الإدماج، وداع إلى التجنيس، وداع إلى الاستقلال، وهكذا كان لا بد للشهاب من أن يكون لها موقفها، الذي جسده كتابها وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس.

كانت المقالة سلاحا حادا في وجه المستعمر والأوضاع المتردية وكذا في وجه المتخاذلين والموالين للاستعمار مما جعلها "تتطور في الشهاب تطورا عميقا وكبيرا أكثر من الفنون الأدبية النثرية الأخرى، ولكونها ارتبطت ارتباطا عضويا بتطور المجتمع، فكانت تساير دوما النهضة الثقافية والأدبية التي ازدادت حركيتها سرعة في البلاد، إضافة إلى الانتقال بالمجتمع الجزائري من مرحلة المسلِّم بأوضاعه المنهزم المتفرج إلى مرحلة المطالب بحقوقه المناضل في سبيل تحصيلها، وهذا الانتقال وحده كان كاف لأن يزيد من مكانة فن المقالة ويلفت نظر كتابها إلى دورها الجديد، وهو توعية الجماهير وبلورة أفكارها ونشرها على أوسع نطاق"[1].

فقد كانت المقالة أقرب الأشكال النثرية إلى كتاب الشهاب وأكثرها تداولا وأكثرها ملاءمة للرسالة التي أنشئت لها وهي "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، التي لا تعدو أن تكون رسالة كفاح ونضال من شعب عانى الويلات لمدة قرن من الظلم والاستعباد في عقر داره.

[1]- محمد مصايف- النثر الجزائري الحديث- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1983 م- ص 125- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

5 – نماذج من مقالات الشهاب:

أ– مقالات للشيخ عبد الحميد بن باديس:

1–المقالة الأولى: "من رغب عن سنتي فليس مني" .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم".

السند: رواه مالك عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة. ومسلم عن ابن يحي عن مالك.

المتن: روي بوجهين ثابتين الأول: فهو أهلكُهم برفع الكاف. اسم تفضيل، والثاني بفتح الكاف فعل ماض.

الألفاظ: الهلاك: الاستحالة إلى الفساد وذهاب حالة الصحة والاستقامة التي تصدر عنها الفوائد، ويكون بها الاستعداد ، يقال: هلك زيد، إذا مات، وهلك الطعام: إذا تغير و استحال، فهلاك الناس فسادهم في أحوالهم بفساد عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم، وذلك عنوان ذهابهم واضمحلالهم، وأهلكُهم على الوجه الأول أشدهم هلاكا، و على الوجه الثاني أوقعهم في الهلاك.

- المعنى على الوجه الأول: إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس، يعيبهم وينقصهم ويُحَقِّرُ من أمر جماعتهم فقد صار بذلك أعظم هلاكا منهم لارتكابه معصية كبيرة تعدت إلى غيره وعمتهم، وهي مصيبة الكِبر الذي هو احتقار المرء من عداه، فهذا قد تكبر على جميع الناس فكان عظم هلاكه على حسب عظم معصيته بهذا العموم في الكبر والاحتقار.
- وعلى الوجه الثاني: إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس، يثبطهم ويقنطهم، فهو بذلك التثبيط و التقنيط أيأسهم من رحمة الله، وصدهم عن الرجوع إليه بالتوبة، ودفعهم إلى الاستمرار فيما هم عليه، فأوقعهم بكلمته تلك في الهلاك، هلاك اليأس والقنوط والاندفاع في الشر.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الأحكام:

- على الوجه الأول: لا يجوز الحكم على عموم الناس بالشر والفساد، ولو كان ذلك ظاهرا بينهم فاشيا فيهم، لأنه حكم بدون علم، وظن سوء بمن قد يكون في غمار الناس على خلاف ما عليه أكثرهم. هذا إذا حكم حكما لمجرد الإخبار فأحرى وأولى إذا زاد على ذلك تحقيرهم.
- وعلى الوجه الثاني: لا يجوز لمن رأى الناس في حالة سيئة أن يقنطهم من رحمة الله، وإمكان تدارك أمرهم وإصلاح حالهم. هذا إذا كان يحمله على ذلك ما تعظمه من سوء حالهم في ظاهر أكثرهم، وأحرى وأولى إذا كان يحمله على ذلك صدهم وتثبيطهم عن التوبة والأخذ بأسباب الإصلاح.

توجيه: كان الحديث الشريف مفيدا لعدم الجواز لما ذكر، لأنه سيق مساق الذم لهذا القول ووصف قائله بأنه أعظم الناس هلاكا أو أوقع الناس في الهلاك ، وما أدى إلى أحد هذين لا يكون إلا ممنوعا.

ويؤيد هذا الحديث في المنع، الأدلة الدالة على الحكم بدون علم، وظن السوء بالناس وتحقيرهم و تقنيطهم عن الخير وصدهم عنه.

تقييد وتعميم:

قد يقول الإنسان: هلك الناس إشفاقا عليهم وتحزنا لما هم فيه فلا يكون مثل من قاله تحقيرا و تقنيطا، غير أنه يبقى في عبارته ذلك التعميم الذي هم حكم بغير علم ، مع ما توقعه هذه العبارة من القنوط- خصوصا إذا تكررت- ولو لم يقصده القائل، فلا ينبغي أن تقال هذه العبارة ومثلها من كل ما يفيد هلاك جميع الناس.

الآداب:

على الوجه الأول :على من يريد أن يرشد المسلمين ويعمل لإصلاح حالهم ، أن ينظر إليهم بعين الشفقة والحنانة لابعين الزراية والاحتقار. فان الشفوق تدفعه شفقته إلى المبالغة في العناية بتتبع الأدواء واستقصاء أنواع العلاج ، بخلاف الزاري المحتقر ، فانه يترفع بنفسه عن الناس و يتركهم فيما هم عليه ، وإن باشر شيئا من معالجتهم فانه يباشره من استثقال

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

واشمئزاز لا يصل معهما إلى داء الأمة شيء من علاجه، ولن يستطيع هو معهما صبرا على الاستمرار في عمله ، أو على إتقان القليل منه .

على أن الشفوق تشعر نفوس الأمة منه بتلك الشفقة فتقابله بمثلها، و بالأمتثال لما يأتيها منه لمعالجتها واثقة منه بنصحه منقادة لإرشاده راجية نيل الخير على يده .

و الرازي المحتقر تشعر منه الأمة بذلك، فتقابله بمثله وتنقبض نفوسها عنه وتقوبريبتها في قوله وفعله، وقد تصارحه ببعضه فتؤدي الحال بينهما إلى العداوة والمقاطعة، ويكون خيرا له لو تركهم من أول الأمر وشأنهم.

وعلى الوجه الثاني: على مرشدي المسلمين أن يعانوا أدواءهم بالعلاجات النافعة، ويشخصوها لهم عند الحاجة بالعبارات الرقيقة المؤثرة في رفق وهوادة مجتنبين كل ما فيه تقنيط أو تثبيط، وأن يعرفوهم بأنهم– وإن ساءت نواح من أحوالهم– فهنالك نواح ما تزال صالحة، وهناك علاجات من الإسلام قريبة ناجعة وأن يعرفوا ما فيهم من فضائل ومالهم من مجد، ومالهم بهذا الإسلام من قدر وعز ليثيروا فيهم النخوة ويبعثوهم على العمل والخير، وإذا ذكروا لهم سيئاتهم ذكروا لهم قرب السبيل إلى النجاة منها بالإقلاع عنها فيسرعون بالتوبة والإنابة.

أصل عام في التربية:

هذا الحديث أصل عظيم في التربية المبنية على علم نفس البشرية، فإن النفوس عندما تشعر بحرمتها وقدرتها على الكمال تبعث بقوة ورغبة وعزيمة لنيل المطلوب.

وعندما تشعر بحقارتها وعجزها تقعد عن العمل، وترجع إلى أحط دركات السقوط، فجاء هذا الحديث الشريف يحذر من تحقير الناس و تقنيطهم، وذلك يقتضي أن المطلوب هو احترامهم وتنشيطهم، وهذا الأصل العظيم الذي دل عليه هذا الحديث الشريف يحتاج إليه كل مرب سواء أكان مربيا للصغار أم للكبار، و للأفراد أم للأمم، إذ التحقير و التقنيط وقطع حبل الرجاء قتل لنفوس الأفراد و الجماعات ، و ذلك ضد التربية ، و الاحترام و التنشيط و بعث الرجاء إحياء لها وذلك هو غرض كل مربّ ناصح في تربيته.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

فاللهم صل على هذا النبي الكريم العظيم الرحيم الذي علمته ما لم يعلم، وكان فضلك عليه وعلينا به عظيما، فكم من علوم وأسرار انطوت عليها أحاديثه الشريفة، فقد أتت على ما لم تعرفه البشرية إلا بعد حين، ولا عجب، فهو الذي أوتي جوامع الكلم واختُصر له الكلام اختصارا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه تسليما"[1].

- **السمات العامة:**

لقد سعى الاستعمار الفرنسي سعيا حثيثا للقضاء على الشخصية الوطنية الجزائرية من خلال محاولة طمس مقومات هويتها بدءا باللغة العربية و الإسلام وصولا إلى الثقافة والتاريخ وقد كان له رواد الإصلاح بالمرصاد، فصمدوا صمودا راسخا رسوخ الأعلام الشامخات، من خلال العمل على نشر الوعي والعلم بشتى الوسائل من صحف و منابر ومدارس، فالشيخ عبد الحميد بن باديس تفتقت عبقريته في هذا المجال على ما لم يتيسر لمن سبقه أو عاصره من المصلحين، "على أن عظمة ابن باديس وعبقريته لم تكن أبدا مقصورة على ما تقدم من أفكار في الإصلاح الديني وآراء في التعليم العربي، وإنما مرجع هذه العظمة والعبقرية إلى أن الرجل كان مناضلا من الطراز الأول في سبيل تنفيذ هذه الأفكار والآراء في ظروف غاية في الصعوبة والقسوة؛ هي تلك التي صنعها المستعمرون الفرنسيون... وأهم فكرة ورأي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس هو الاعتماد على التعليم كسبيل للتحرر الوطني، والتي قد طبقها على نطاق واسع في عموم القطر الجزائري، وبلغ بها نجاحا باهرا حققت نتائجه لاحقا جيلا كان له شأن عظيم"[2].

فالشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس قد اعتقد اعتقادا راسخا و آمن إيمانا عميقا بواجبه اتجاه شعبه وأمته وبرسالته المنوطة به، فلم يتمن الأماني ولكنه شمر على سواعد الجد، وانطلق نحو غايته السامية غير آبه بما اعترضه ويعترضه من صعاب ولا ما يواجهه من مكائد إذ أن هناك "فرق كبير بين أن ترى الرأي وأن تعتقده، إذا رأيت الرأي فقد أدخلته في دائرة معلوماتك، وإذا اعتقدته جرى في دمك، وسرى في مخ عظامك، وتغلغل إلى أعماق قلبك... ذو الرأي يقول إني أرى صوابا وقد يكون في الباطل، أما ذو العقيدة فجازم باتٌّ لا شك عنده ولا ظن، عقيدته هي الحق لا محالة، هي الحق اليوم وهي الحق

[1]- الشهاب- المجلد : 10- الجزء : 03- صادر غرة ذي القعدة 1352 هـ- 15 الموافق لفيفري 1934م- ص 109-112.
[2]- محمد عمارة- مسلمون ثوار- دار الشروق- القاهرة- مصر- ط3-1408 هـ- 1988م- ص 486 - بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

غدا، خرجت أن تكون مجالا للدليل، وسمت عن معترك الشكوك والظنون ... ذو الرأي فاتر بارد، وذو العقيدة حار متحمس لا يهدأ إلا إذا حقق عقيدته"[1].

و الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس لم يكن إلا صاحب اعتقاد أعلن بأنه سيقضي عليه بياضهُ (كهولته وشيخوخته)، كما قضى عليه سواده (شبابه)، فهو " لم يكن رجلا عاديا في تاريخ الجزائر المعاصر بل هو الرائد الأول لنهضتها الثقافية، والرائد الأول لنهضتها الدينية ويقظتها الفكرية، كما أنه يعتبر أحد الرواد الذين نهضت على كواهلم الحركة الوطنية في الجزائر في الثلث الأول من القرن العشرين الميلادي"[2].

و أذكى انتشار البدع والخرافات في العقيدة لدى عموم الناس جذوة الرغبة في التعبير لدى المصلحين، فكثرت الكتابات الدينية بشتى أشكالها، وكانت المقالة أكثرها شيوعا وأسهلها ذيوعا في تلك الفترة، وكان الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس من المكثرين في هذا المجال، إذ كان ينشر في مجلة "الشهاب" في كل شهر تحت باب: "مجالس التذكير" مقالة يعالج فيها موضوعا من الموضوعات الدينية إما في تفسير آيات من القرآن الكريم، أو شرح حديث من الأحاديث النبوية الشريفة، أو التعرض لقضية ما بالبحث والتحليل، وقد جاء في الشهاب مادة ضخمة وغزيرة تتعلق كلها بالمقالات الدينية الإصلاحية.

"وقد كان ابن باديس يحاول استخلاص النتائج من جميع المقالات التي كان ينشرها، فلم يك باحثا ينشد المعرفة، ويبتغي الإلمام بالحقيقة من حيث هي لذاتها خالصة، وإنما كان يتخذ من المادة الدينية وسيلة لتعليم الشعب وإيقاظه من نومته التي كان يغط فيها، وقد طالت !فكان يشرح الآية أو الحديث ليستخرج منها نماذج وأمثلة من الحياة الاجتماعية الراهنة يومئذ في الجزائر، محاولة منه لربط الدين بالدنيا واجتهادا منه في أن الإسلام لا يتعارض مع الحياة، بل لا تكون الحياة الكريمة الفاضلة إلا به"[3].

و هذا النموذج من المقالة هو مقالة دينية مبنية على شرح حديث نبوي شريف، فيه عظات و وصايا وتوجيهات كبيرة وكثيرة في كلمات موجزة قليلة، و هو حال البلاغة

[1]- أحمد أمين- فيض الخاطر- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر- 1989م- ج 1 - ص 01.
[2]- تركي رابح- الشيخ عبد الحميد بن باديس - باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر- ط3- 2009م- ص165.
[3]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر- 1931م-1954م- ص 154.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

النبوية التي هي كما يقال: لمحة دالة، فالمبنى صغير والمعنى غزير، وهذه المقالة يمكن تصنيفها ضمن المقالة (العلمية الدينية).

"فهي علمية لأن النظر فيها إلى الموضوع يستند إلى العقل والمنطق أولا، ولأن قيم التعبير بها تقوم على الحقيقة والدقة والوضوح ثانيا وما إلى ذلك من خصائص الأسلوب العلمي؛ وهي دينية في الوقت ذاته لأنها تقوم بتحليل موضوعات دينية، وتتمثل هذه المقالة بخاصة فيما كان ينشره الشيخ من نظراتــه فــي تفسير القـرآن الكريم، وتأملاته في شرح الحديث النبوي الشريف، فجاءت هذه المقالة في بنيتها وفي صياغتها كأحسن ما يكون التنظيم إحكاما وتنسيقا، وأدق ما يكون التحليل موضوعية وعمقا، وأجلى ما يكون التعبير وضوحا وقربا"[1].

ففي هذه المقالة يعالج الشيخ عبد الحميد بن باديس حديثا نبويا شريفا بالشرح والتحليل ،وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "إذ سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكم"[2].

فتناول هذا الحديث من حيث السند مبينا صحته ثم متنه وألفاظه، وتأويل معناه على وجهين اثنين انطلاقا ما روايتي الحديث "أهلكَهم" و "أهلكُهم" ، حتى إذا انتهى "من هذه الطريقة التي تعتبر تقليدية معروفة لا ينشأ عنها إلا تحقيق النص وفهمه، خلص إلى إجراء الأحكام، ثم عمد إلى التوجيه آخر الأمر، والاستدلال على أن الذين يدعون الناس إلى التشاؤم في الحياة قوم لا يُصْلِحُون"[3].

لأن دور الدعاة والمرشدين والمصلحين ليس الحكم على الناس بل إصلاحهم وتوجيههم إلى سبيل الرشاد، وليس محاكمتهم وإدانتهم.

---

[1]- محمد بن سمينة- في الأدب العربي الحديث بالجزائر- الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس- مطبعة الكاهنة- الجزائر- 2003م- ص 77.

[2]- مسلم بن الحجاج القُشَيْري النَّيْسَابوري- صحيح مسلم- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار الحديث القاهرة- مصر- ط1- 1412 هـ- 1991م- ج4- ص 2024- حديث رقم: 2623.

[3]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر- 1931م-1954م- ص 155.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

"فلهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبين سبيله بيانا عاما للناس لتتضح المحجة للمهتدين وتقوم الحجة على الهالكين؛ أمره أن يبينها البيان الذي يصيرها مشاهدة بالعيان ويشير إليها كما يشار إلى سائر المشاهدات"[1].

فليس تحقير الناس وتقنيطهم مما يجلب إذعانهم واستقامتهم بل قد تكون النتيجة عكسية، فلا بد من الموازنة بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، فهناك صوتان "لا بد أن يرتفعا في كل أمة ويجب أن يتوازنا حتى لا يطغى أحدهما على الآخر، صوت يبين عيوب الأمة في رفق وهوادة، ويستحث على التخلص منها والتحرر من قيودها، وصوت يظهر محاسنها ويشجع على الاحتفاظ بها والاستزادة منها، هذان الصوتان إذا اعتدلا وتوازنا وتناسقا وجدت الأمة تحدو في سير إلى الأمام دائما، والباعث لها هو الرجاء والأمل، و السعي للنصر والظفر"[2].

و الشيخ ابن باديس في تناوله لموضوع التشاؤم والتفاؤل في الحياة ينفي أن يكون النظر بتشاؤم باعث على العمل للخروج من التخلف، بل هو مدعاة للقنوط واليأس، وأن ذلك ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي وجب علينا اتباعه من خلال ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

فقد ختم الله الرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم" وجعل رسالته الرسالة العامة للجن والإنس، وجعل شريعته الجامعة لما يحتاج إليه البشر فيما بقى من أطوارهم في وجودهم، وهو طور رقيهم العقلي والعلمي والعمراني، فأغنت عما قبلها من الشرائع وكانت ناسخة لها، ولهذا جعل آيته القرآن آية عقلية خالدة يخضع لها ويهتدي بها كل من سمعها وفهمها"[3].

فالشيخ ابن باديس في طريقة تناوله لهذا الحديث النبوي الشريف، ومنهجية التعامل معه ومعالجة القضايا والأحكام الواردة فيه يعتبر متفردا، لأن العادة جرت عند الشرّاح على

---

[1]- عبد الحميد بن باديس- الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية- ضبط وتعليق: علي بن حسن بن عبد الحميد- دار المنار للنشر والتوزيع- الرياض- المملكة العربية السعودية- 1412 هـ- ص 08.

[2]- أحمد أمين- فيض الخاطر- ج1- ص 77- بتصرف.

[3]- عبد الحميد بن باديس- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية- رواية وتعليق: محمد الصالح رمضان- منشورات ثالة- الجزائر- ط04- 2004م- ص 113- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الوقوف على سند الحديث ومدى صحته، ثم الانتقال للمتن وشرح ألفاظه ثم الوقوف على الحكام والفوائد الواردة فيه.

وقد تعدى الشيخ عبد الحميد بن باديس هذه المراحل إلى مراحل أخرى أكثر عمقا لسبر أغوار الحديث النبوي الشريف واستكشاف مكنوناته، فبعد تعرضه لسند الحديث ثم متنه وشرح ألفاظه، فالوقوف على المعنى الوارد فيه بمختلف أوجهه، وبعد ذلك إيراد الأحكام المستقاة منه على أوجهها المتعددة، فإنه يزيد على ذلك إيراد توجيهات يستنبطها من الحديث، فيقيد ما يجب تقييده، ويعمم ما من حقه العموم، ثم يقف على الآداب المستفادة من الحديث على كل أوجهه الممكنة، ليختم شرحه ودراسته للحديث بإيراد ما يراه فهما عميقا وبعدا صميميا في الحديث.

فهو يرى أن هذا الحديث أصل عظيم في التربية المبنية على علم النفس البشرية، فإن النفوس عندما تشعر بحرمتها وقدرتها على الكمال تنبعث بقوة ورغبة وعزيمة لنيل المطلوب، وعندما تشعر بحقارتها وعجزها تقعد عن العمل وترجع إلى أحط دركات السقوط، فجاء هذا الحديث الشريف يحذر من تحقير الناس و تقنيطهم، وذلك يقتضي أنَّ المطلوب هو احترامهم وتنشيطهم.

و يتجلى ذلك من خلال الدعوة إلى الموازنة بين الخوف والرجاء وبين الوعد والوعيد، وهذا المغزى العميق الذي دل عليه هذا الحديث واستنبطه الشيخ عبد الحميد بن باديس بثاقب نظره وسلامة بحثه، هو أصل يحتاج إليه كل مربٍّ، للصغار كـان أو للكبار، وللأفـراد أو الجماعات، ذلك أن النفس البشرية مجبولة على حب الإحسان إليها، والتحقير والتقنيط وقطع حبل الرجاء، ما هو إلا قتل لنفوس الأفراد والجماعات، وهذا ليس من التربية.

" يلاحظ هنا أن ابن باديس كان يحاول تطبيق النصوص الدينية الشريفة على مجال الحياة العامة، ويربطها بالتربية الاجتماعية، و يجعلها وسيلة ناجعة لتوجيه الأمة وهديها إلى الصراط السوي حتى لا تضل"[1].

[1]- عبد الملك مرتاض - فنون النثر الأدبي في الجزائر- 1931م- 1954م- ص 155.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ولا يكون ذلك إلا بإيمان هذه الأمة بأن ما هي مُقْدمة عليه هو سبيل خلاصها ومنهج فلاحها وذلك لأن "الإيمان هو المحرك الأول للإنسان، والعمل عنصر ضروري مكمل لهذه الحركة، وإذا كان الإيمان روحي المحتوى، فالعمل مادي المحتوى ، ومن ثم يكون كلاهما ضروري للآخر من أجل تكوين الفرد السوي و بناء المجتمع القوي، لأن الفرد هو مادة و روح وعقل و جسم وفكر وعمل"[1].

فإذا سرى اليأس لهذا الإيمان وتسرب القنوط لهذا العزم، فقد خرب الفرد وخرب بذلك المجتمع الذي يسعى المصلحون للرفع من معنوياته حتى يكون جاهزا وقادرا على مواجهة الاستعمار، وذلك من خلال الأخذ بأسباب القوة والتقدم والرقي للتخلص من هذا التخلف المهيمن على كافة نواحي الحياة.

"وبالنسبة للتخلف الحضاري وما أدى إليه من احتلال فإن سببه الوحيد يعود لترك العمل بالتعاليم الإسلامية، وإن سيطرة الأوروبيين على وطننا إنما تعود لتفوقهم الحضاري ولا صلة لها بعدد الجيوش أو عدتها أو فقر الجزائريين"[2].

هذه النظرة للأوضاع الاجتماعية في واقعها و أسبابها، هي نظرة حضارية عميقة في بعدها، قَيِّمة في أثرها،لأنها تعتبر المنطلق الفكري الأساسي للحركة الإصلاحية في الجزائر.

و" يتبين ذلك من عنايتها الخاصة بالبعث الإسلامي والثقافي الهادف إلى تجاوز مفاهيم و قيم عصر الانحطاط، وإعادة الصلة بين الفرد وبين المصادر الصحيحة والسليمة لمفاهيم وقيم الحياة الاجتماعية، متمثلة في القرآن والسنة، وبذلك وحده يمكن للفرد أن يتحول من السلبية والضياع إلى الإيجابية المتطورة في إطار جماعي؛ فالربط بين التخلف الحضاري والاستعمار يؤدي حتما إلى اعتبار الحرية والاستقلال مجرد وسيلة لغاية أضخم وأهم وأعظم، وهي استعادة الدور الحضاري للشعب ، هذا البعد القيِّم

[1]- أحمد بن نعمان- الدرس المستفاد من ثورة الجهاد- مجلة الأصالة- وزارة الشؤون الدينية- الجزائر- عدد - 74/73- السنة 08- شوال ذو القعدة 1399 هـ- سبتمبر/ أكتوبر 1979م- ص 17- بتصرف.

[2]- العربي التبسي- مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر- جمع وتعليق: شرفي أحمد الرفاعي- دار البعث- قسنطينة- الجزائر- ط1- 1402 هـ- 1981م- القسم الأول- ص 17- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

لمعنى النهضة في تصور المصلحين الجزائريين عموما هو من أهم مميزات النزعة الإصلاحية في الجزائر وهو الذي يبلور خصوصيتها و أصالتها"[1].

فالخصوصية إذن لازمت الحركة الإصلاحية الجزائرية في كل مظاهرها، وهذا شيء طبيعي لأنها تواجه أعتى حركة استيطانية وأشرس استعمار حديث جثم على صدر شعب مسلم عربي قرابة القرن من الزمن، فحتى دراسة الحديث النبوي الشريف، وشرحه كان يتم بطريقة لم يألفها الناس قبل الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس لا في الجزائر ولا في الزيتونة أو الأزهر، وهذا راجع للخصوصيات التي تحيط به.

"من المسَلَّم به في حياة الشعوب أن يسخر الله لها مصلحا مجددا بين وقت وآخر، لتجديد الأفكار وتنقيح العقول، مما علق بها من صدأ الجمود، وما غشاها من انحطاط في الإدراك... وقد بعث الشيخ عبد الحميد بن باديس صوت الإصلاح قويا مدويا، وأحدث انقلابا في الأفكار والعقول... وقد ارتمى في ساحة المعركة داعيا للتجديد، مجتثا جذور الجمود ومهدما صروح الخرافة، ولم يتوخ الأساليب القديمة في دعوته إلى التجديد، بل كانت أساليبه نفسها جديدة، فكان يكتب في الصحف، و يحاضر ويفسر القرآن الكريم ويشرح الحديث النبوي الشريف، ويدرس العلوم، كل ذلك بأسلوب جديد لا أثر للقديم فيه"[2].

و لا عجب في هذا التجديد في الموضوعات والطرائق والأساليب فلقد " تغيرت طريقة التفكير، فتغيرت – طوعا لها– طريقة الكتابة فأصبح من خصائص النثر في هذه الفترة الجديدة الانصراف إلى جلاء المعاني الجديدة ووضوحها وإلى العدول عن تحسين اللفظ وتبهيجه، وهذا التطور في المعاني والأسلوب أخذ يظهر في الصحافة التي كانت عاملا من عوامل نمو اللغة وإعطائها المرونة والحيوية"[3].

و اهتمام الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس بالمقالة الدينية ليس لذاتها وإنما لأنها كانت تحقق أهم هدف من أهداف الدعوة الإصلاحية، والمتمثل في نشر تعاليم الدين وتطهيره من شوائب وخرافات عهود الانحطاط، والدعوة إلى الأخلاق الإسلامية

---

[1]- المرجع السابق- ص 18- بتصرف.
[2]- الحبيب بناسي- صرخة قلب- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984م- ص 155-156- بتصرف.
[3]- محمد الطمار- تاريخ الأدب الجزائري- ص 523.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الفاضلة؛"ولعل اهتمام الصحافة العربية الجزائرية بالقضايا الدينية قد فاق اهتمامها بالقضايا الأخرى ذات الاتجاه السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي ،مثلا فإن المتصفح لمحتويات هذه الصحافة، والصحافة الوطنية منها بصفة أخص يلاحظ بصفة واضحة كيف كان هذا الاتجاه هو الغالب على أكثرها والمستحوذ على الحيز الأكبر من أنهرها، كما لا يفوته أن يلمس مدى الحساسية الدينية التي كانت أفكار الكتاب تصدر عنها"[1].

وهذا لا يعني أن المقالة الدينية قد انغلقت على نفسها وعلى موضوعاتها الفقهية أو الأصولية أو الحديثية فقط ، فإنه فضلا عن المحتوى الديني فإن هذه المقالات تأخذ أبعادا علمية واجتماعية وسياسية واقتصادية.

- **تعليم النساء الكتابة:**

ومثال ذلك مقالة بعنوان "تعليم النساء الكتابة"[2]، وهي تتناول شرح حديث للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكنها تخرج إلى فوائد وأحكام اجتماعية وتربوية، كما يتوسع الشيخ عبد الحميد بن باديس في الاستدلال ويخرج إلى طور الاقتداء بفعل الصحابيات رضي الله عنهن.

فعن الشفاء بنت عبد الله قالت: " دخل عليّ النبي – صلى الله عليه وعلى آله و صحبه وسلم– وأنا عند حفصة، فقال لي: ألا تعلمين هذه رقية النَّمِلة كما علمتها الكتابة"[3].

فبعد تناول الشيخ للسند والمتن والأشخاص والألفاظ: مثل النَّمِلة أنها قروح تخرج في الجنب، فإنه يتناول المعنى العام، ثم الأحكام والفوائد المستخرجة ليصل إلى التوسع في الاستدلال الذي هو شمول خطاب الأمر بالتعلم للرجال والنساء، ثم يجعل الدعوة للاقتداء هي غاية الحديث النبوي الشريف ومنتهى الطلب فيه.

---

[1]- محمد ناصر- المقالة الصحفية الجزائرية- نشأتها تطورها - أعلامها من 1903 م إلى 1931م - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر- 1398 هـ- 1978م- ج1- ص 67.

[2]-الشهاب- المجلد: 15- الجزء: 03- الصادر غرة ربيع الأول 1358 هـ الموافق لأفريل 1939م- ص 120.

[3]- سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو داود- سنن أبي داود- تحقيق: شعيب الأرنؤوط و محمد كامل قروبللي - دار الرسالة العالمية- دمشق- سوريا- طبعة خاصة- 1430 هـ- 2009م- ص 35- حديث رقم 3887.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و راوية الحديث هي الصحابية الشفاء بنت عبد الله العدوية رضي الله عنها قد كانت كاتبة في الجاهلية وكانت تعلم الفتيات، و أن حفصة بنت عمر رضي الله عنهما أخذت عنها القراءة والكتابة قبل زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم.

ونجد الشيخ عبد الحميد بن باديس يستخلص نتيجة اجتماعية علمية من وراء شرح الحديث النبوي المتعلق بتعليم المرأة ، فيقول عندما وصل إلى غاية الحديث وحددها بأنها دعوة للاقتداء: "فاستنادا إلى هذه الأدلة، و سيرا على ما استفاض في تاريخ الأمة من العالمات الكاتبات الكثيرات، علينا أن ننشر العلم بالقلم في أبنائنا وبناتنا، في رجالنا ونسائنا، على أساس ديننا وقوميتنا إلى أقصى ما يمكننا أن نصل إليه من العلم الذي هو تراث البشرية جمعاء، وثمار جهادها في أحقاب التاريخ المتطاولـــة، وبذلك نستحق أن نتبوأ منزلتنا اللائقة بنــا و التي كانت لنا بين الأمم"[1].

و هو يستخلص من شرح هذا الحديث نتائج علمية عملية يجب تطبيقها اجتماعيا تتمثل فيما يلي[2]:

- ثبت في سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم– وأحاديثه أنه أمر بتعليم المرأة، كما أمر بتعلم العلم من حيث هو، ولو من باب معرفة الشيء خير من جهله.
- أمرنا الإسلام بنشر العلم بين النساء والرجال سواء ،لأن المرأة عضو بارز في المجتمع، ولا يمكن لهذا المجتمع أن يكون صالحا ناهضا ما لم تتعلم المرأة والرجل معا، ليتعاونا على تكاليف الحياة في صورها المختلفة.

"فإذا كانت الأسرة هي الخلية الأولى في جسم الأمة كما يقول علماء الاجتماع، فإن المرأة هي عماد هذه الأسرة، ونقطة الارتكاز فيها، إذ بسلامتها تستقيم حياة الأسرة وبسقمها تسقم وتندثر وتنهار أركانها؛ وإذ نقول هذا فلسنا من أنصار "بسمارك" الذي حدد للمرأة الألمانية ثلاث واجبات فحسب وهي: الأطفال والمطبخ والكنيسة؛ بل نحن من

[1]- الشهاب- المجلد: 15 – الجزء: 03- الصادر غرة ربيع الأول 1358 هـ الموافق لأفريل 1939م- ص 122.
[2]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر- 1931م-1954م- ص 156- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

أنصار ابن باديس الذي كان يلح كل الإلحاح على ضرورة تعليم البنت وإشراكها في حياة الأمة بصفة أكثر فعالية مما قدره لها بسمارك المستشار الحديدي كما يسميه الألمان"[1].

فهو يقرر بضرورة إشراك نسائنا فيما نقوم به من مهام مصالحنا، ليقمن بقسطهن مما يليق بهن في الحياة، وهذا الاهتمام من الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس بالمرأة إنما نابع من رفعه لشانها وتمجيده لدورها، وتشريفه لمكانتها في الأسرة والمجتمع والأمة.

- إن العلم تراث مشترك لجميع الناس، وكأن الشيخ كان يهيب بالجزائريين والمسلمين جميعا لكي يتعلموا كما تعلم الأوروبيون وسواهم من الأمم التي كانت متخلفة فوصلت بالتعلم، و كانت خاملة فنبهت بنبذ الجهالة نبذا.
- إن المنزلة التي كانت توجد فيها الأمة الإسلامية لم تك منزلة لائقة على حد تعبيره، من أجل ذلك ينبغي العمل والتعلم لكي تبلغ الأمة المكانة التي كانت لها بين الأمم قديما ، فهو هنا يُذَكِّر بما كان في الماضي، ويَحُضُّ على التعلم لاسترجاع المجد التليد، وربطه ببنيان مجد حديث ، والملاحظ على الشيخ عبد الحميد ابن باديس في خاتمة هذه المقالة انه كان مقتنعا تماما بالقضية التي يعمل لأجلها و هـذا سبب " وضوح رؤيته فيما يكتبه مما أدى إلى وضوح في التعبير، ومن ثم وضوح في الأفكار التي هي أهم شيء في أدب المقالة وذلك دون خروج إلى السطحية، بل هو وضوح لا ينافي العمق بحال من الأحوال "[2].

وذلك راجع لكون المقالة هي "الشكل الأدبي الإنشائي الذي يلائم أكثر من غيره الحالات التي يحتاج فيها الأديب إلى أن يعالج مسألة من المسائل، فيوسع القول فيها، ويطرقها من جميع جوانبها الجديرة بالطرق، فيقارن فيها، ويوازن، ويركب ويحلل، ويمتطي إلى التحزب لآرائه والدفاع عنها بشتى أساليب الإقناع والمجادلة والاحتجـاج"[3].

---

[1]- مولود قاسم نايت بلقاسم- الإنية والأصالة- مجلة الأصالة - وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية - الجزائر - السنة 01 - العدد 01- محرم 1391 هـ/ 1971م- ص 13.

[2]- محمد مصايف- النثر الجزائري الحديث- ص 106- بتصرف.

[3]- علي بن محمد – النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس – مضامينه و أشكاله – دار الغرب الإسلامي – بيروت- لبنان – ط1 – 1990م – ج 2 – ص 499 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

فقد أولى الشيخ عبد الحميد بن باديس عناية خاصة للمقالة الدينية بكـل موضوعاتهـا شرعيـة كانـت أو فقهية أو عقدية ، وبكـل أبعادهـا الحضارية المنبثقة عنها اجتماعيا و سياسيا و تربويا من خلال الدعوة إلى النهوض بالمرأة والعمل على تربيتها وتعليمها والتأكيد على دورها في المجتمع ،إضافة إلى نبذ التقنيط و بث اليأس، ونبذ أسباب النزاع والفرقة، والحرص على دعم أواصر الأخوة والوحدة، والأخذ بأسباب العلم والعمل، والإقبال على الحياة والتحلي بأسباب الفضيلة، والتمسك بالدين الصحيح وتخليصه من الشوائب والمحافظة على الشخصية والهوية الوطنية بكل مقوماتها.

و هو يخاطب بهذه المعاني جمهور الأمة في تعبير قيّم مكنه من توصيل أفكاره إلى مدارك هؤلاء المتلقين من أقرب طريق، وبأوضح بيان، فجاءت بذلك هذه المقالات بسيطة وسهلة و واضحة وسليمة الحجة، كما تميزت بالبعد عن الخيال المجنح والعواطف المتأججة والزخرف اللفظي، بل جاءت بأسلوب علمي هادئ رصين متأن.

- **الإسلام الذاتي والإسلام الوراثي: أيهما ينهض بالأمم؟**

هذا السؤال هو عنوان مقالة نشرها الشيخ عبد الحميد بن باديس في افتتاحية الجزء الثالث من المجلد الرابع عشر من الشهاب، ومما جاء فيها:

"يولد المرء من أبوين مسلمين فيعد مسلما، فيشب ويكتهل ويشيخ وهو يعد من المسلمين،تجري على لسانه وقلبه كلمات الإسلام، وتباشر أعضاؤه عبادات وأعمالا إسلامية، فـراق روحه أهون عليه من فراق الإسلام، لو نسبته لغير الإسلام لرأيت منه ولثـار عليك أو بطش بك.

ولكنه لم يتعلم يوما شيئا من الإسلام ولا عرف شيئا من أصوله في العقائد والأخلاق والآداب والأعمال.

ولم يتلق شيئا من معاني القرآن العظيم وأحاديث النبي الكريم صلى الله عليه و آله وسلم فهذا مسلم إسلاما وراثيا لأنه أخذ الإسلام كما وجـده من أهله، ولا بد أن يكون – بحكم الوراثة– قد أخذه بكل ما فيه مما أدخل عليه وليس منه من عقائد باطلة وأعمال ضارة

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وعادات قبيحة، فهذا كله عنده هو الإسلام، ومن لم يوافقه على ذلك كله فليس عنده من المسلمين"[1].

فالإسلام بالعادة والمتوارث بحكم الانتماء إلى مجتمع مسلم يسميه الشيخ عبد الحميد بن باديس إسلاما وراثيا، فصاحبه يقبل ما روثه على علاته دون تمحيص ولا تميز ولا تدقيق ولا نقد، فهو يأخذ الغث والسمين، الصحيح و السقيم، لا نقد ولا سؤال مع التسليم المطلق، بل غالبا ما نجد هذا الصنف من الناس يتعصب لعادات وتقاليد معتقدا إياها من صميم العقيدة ومن جوهر الإسلام، وهو منها براء.

ويضيف الشيخ عبد الحميد بن باديس موضحا: "هذا الإسلام الوراثي هو الإسلام التقليدي الذي يؤخذ بدون نظر ولا تفكير، وإنما يتبع فيه الأبناء ما وجدوا عليه الآباء، ومحبة أهله للإسلام إنما هي محبة عاطفية بحكم الشعور والوجدان. هذا الإسلام الوراثي هو إسلام معظم عوام الأمم الإسلامية ، و لهذا تراها – مع ما أدخلت على الإسلام من بدع اعتقادية و عملية و ما أهملت من أخلاق الإسلام و آدابه و أحكامه– متمسكة به غاية التمسك لا ترضى به بديلا ولو لحقها لأجل تمسكها به ما لحقها من خصومه من بلاء وهوان"[2].

وعلى الرغم من هذه السلبيات فلا ينكر الشيخ عبد الحميد بن باديس أن "هذا الإسلام الوراثي حفظ على الأمم الضعيفة المتمسكة به– وخصوصا العربية منها– شخصيتها ولغتها وشيئا كثيرا من الأخلاق ترجح به الأمم الإسلامية إذا وزنت بغيرها"[3].

ثم يخلص إلى أن هذا الإسلام التقليدي الموروث دون نظر ولا فهم ولا استيعاب إنما بالتقليد فقط، هذا الإسلام الوراثي لا يمكن أن يكون سببا في نهضة الأمم ، فيقول: " لكن هذا الإسلام الوراثي لا يمكن أن ينهض بالأمم ،لأن الأمم لا تنهض إلا بعد تنبه أفكارها وتفتح أنظارها، والإسلام الوراثي مبني على الجمود والتقليد، فلا فكر فيه ولا نظر"[4].

---

[1]- الشهاب- المجلد : 14- الجزء: 03- الصادر غرة ربيع الثاني- 1357 هـ الموافق لجوان 1938م- ص 119.
[2]- المصدر نفسه – ص 120.
[3]- المصدر نفسه – ص 120.
[4]- المصدر نفسه - ص 120.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وهذا حث واضح وجلي للمسلم على أن يبني إيمانه على الفكر والنظر ،فيفرق بين ما هو من الإسلام بحسنه وبرهانه، وما ليس منه بقبحه وبطلانه.

و يسمي هذا الإيمان والإسلام بأنه ذاتي، فيقول: "أما الإسلام الذاتي فهو إسلام من يفهم قواعد الإسلام، ويدرك محاسن الإسلام في عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأعماله، ويتفقه– حسب طاقته– في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويبني ذلك كله على الفكر والنظر... فحياته، حياة فكر وإيمان وعمل، ومحبته للإسلام محبة عقلية قلبية، بحكم العقل والبرهان، كما هي بمقتضى الشعور والوجدان... هذا الإسلام الذاتي هو الذي أمرنا الله به... فبالتفكير في آيات الله السمعية وآياته الكونية، وبناء الأقوال والأعمال والأحكام على هذا الفكر، تنهض الأمم"[1].

فالشيخ عبد الحميد بن باديس ينبذ فكرة الإسلام الوراثي التقليدي من أساسها، ويدعو إلى التحلي بفكرة الإسلام الذي يقوم على فهم قواعد الإسلام وإدراك محاسنه في عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأعماله.

" فهو يدعو بإلحاح إلى الإيمان الصحيح، ونبذ التقليد الأعمى، ويهيب بالعقل أن يستيقظ ويستنير بالعلم والمعرفة، ودلائل الحوادث، لأنه لم يخلق لينقاد كما تنقاد البهيمة، وهو يحارب أيضا رواسب عصور الانحطاط التي لا تزال تعيش في ذهن فئة كبيرة من الشعب الجزائري"[2].

ثم يطرح سؤالا آخر حول كوننا – نحن المسلمين– مطالبين بأن نكون مسلمين إسلاما ذاتيا، فما السبيل التي نتوصل بها إلى هذا الواجب المفروض؟

ويجيب عنه بقوله: "لذلك سبيل واحد، هو التعليم. فلا يكون المسلم مسلما حتى يتعلم الإسلام، فالمسلمين– أفرادا وجماعـــات– مسؤولـون عن تعلـــم وتعليم الإسلام، للبنين والبنات، للرجال والنساء، كل بما استطاع والقليل من ذلك خيره كثير"[3].

---

[1]- المصدر السابق - ص 120-121.

[2]- محمد الصالح الصديق- المصلح المجدد، الإمام ابن باديس- لهذا حاولوا اغتياله- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 2006م- ص 68- بتصرف.

[3]- الشهاب- المجلد: 14- الجزء : 03- الصادر غرة ربيع الثاني 1357 هـ الموافق لجوان 1938م- ص 121.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

فالشيخ عبد الحميد بن باديس يربط بين الإسلام الذاتي وبين الثقافة والتعليم، فالإصلاح والتربية عنده يجب أن يبدأ بالإنسان، لأن صلاح الفرد هو الخطوة الأولى لصلاح المجتمع ، وصلاح الإنسان لن يتم إلا بإصلاح نفسه وبناء شخصيته.

على هذا الأساس من التفكير" فإن ابن باديس شأنه في ذلك شأن غالبيته المصلحين والمربين الإسلاميين الذي واجهوا في عدد من البلاد الإسلامية هذه المشكلة التربوية بصورة أو بأخرى، كان يسعى دائما إلى تطبيق مناهج الدين وأساليب هدايته حتى يصلح النفوس من هذا الطريق لأن صلاح النفوس من باطنها وتطهيرها من أدران الجهل والعقائد الفاسدة هو الأساس الركين الذي تقوم عليه نهضة المجتمع"[1].

و حدد الشيخ في هذه المقالة الوجهة التي ينبغي اتباعها في اعتناق الإسلام وفهمه، وحلل جميع العناصر التي تتصل بهذه الفكرة، وقد نعى نعيا شنيعا على الذين يتعلقون بالإسلام التقليدي الذي يؤخذ بلا نظر ولا تفكير، لأنه مبني على الجمود والتقليد، ودعا للإسلام الذاتي المبني على الفكر والنظر والتدبر، وهو الذي به تنهض الأمم.

المتأمل لهذه المقالة الدينية في ظاهرها يرى أنها أيضا اجتماعية إصلاحية تربوية، وقد اتجه الكاتب فيها اتجاها إصلاحيا ثوريا، فهو ينبذ الجمود والتخلف و يدعو إلى ضرورة التفكير وإعمال العقل والتعلم والمدارسة.

2-المقالة الثانية: كلمة صريحة:

"حقا إننا نعيش في وسط سادت الفوضى فيه من جميع جهاته، فمن فوضى في الدين إلى فوضى في الأخلاق، إلى فوضى في الاقتصاد، وزادتنا الأيام على كل ذلك فوضى جديدة ربما كانت أخطر الفوضى وأشدها تأثيرا على حياة الأمة، ألا وهي فوضى التكلم باسم الأمة.

فما من متكلم اليوم في أي مناسبة من المناسبات إلا و رفع عقيرته مدعيا بأنه إنما يمثل الأمة الإسلامية قاطبة في هذه البلاد، وأن الكلمات التي يقولها من عند نفسه إنما هي كلمة الأمة الحق وقولها الفصل، ولو أنهم اقتصدوا في القول ولم يلجوا باب الغلو

[1]- حسن عبد الرحمن سلوادي- عبد الحميد بن باديس مفسرا- ص 158.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

والإسراف ، و قالوا أننا نتكلم باسم الفريق الذي انتخبنا، أو باسم الهيئة التي ننتمي إليها، أو باسم الجماعة التي نحن منها، أو باسم الذين يشاركوننا في الرأي والتفكير، لكان قولهم أصوب، ورأيهم أصلح وكلامهم أقرب إلى نفوس السامعين من رجال الحكومة ومن رجال الشعب.

و إننا نتكلم اليوم حول هذا الموضوع إثر ما رأيناه من الحملة التي أجمعت الأمة على مجابهة جريدة الطان بها، إثر اجتماع اللجنة الوزارية الإسلامية بباريس.

قال البعض من النواب المحليين، ومن الأعيان، ومن كبار الموظفين بهذه البلاد، أن الأمة الإسلامية الجزائرية مجمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة، لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي التام في فرنسا، ولا أمل لها في تحقيق هذه الرغبة إلا بأن تمد فرنسا يدها بكل سرعة، فتلغي جميع ما يحول دون تحقيق هذا الاندماج التام. بل لقد قال أحد النواب النابهين أنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من اثر، وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر، وأخيرا أشرقت عليه أنوار التجلي، فإذا به يصيح:

فرنسا هي أنا !حقا إن كل شيء يرتقي في هذا العالم ويتطور، حتى التصوف، فبالأمس كان يقول أحد كبار المتصوفين:

فَتَّشْتُ عَلَيْكَ يَا اللهَ وَجَدْتُ رُوحِي أَنَا اللهُ

واليوم يقول المتصوف في السياسة:

فَتَّشْتُ عَلَيْكِ يَا فَرَانْسَا وَجَدْتُ رُوحِي أَنَا فَرَانْسَا

فمن ذا الذي يستطيع بعد اليوم أن ينكر قدرة الجزائري العصري على التطور والاختراع؟

إن هـؤلاء المتكلمين باسـم المسلميـن الجزائريين، والذي يصورون الرأي العام الإسلامي الجزائري بهذه الصورة، إنما هم مخطئون، يصورون الأمور بغير صورتها،

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ويوشكون أن يوجدوا حفيرا عميقا بين الحقيقة و بين الذي يجب أن يعرفها؛ فهم في واد، والأمة في واد، ويريدون أن يضعوا رجال الإدارة العليا في واد ثالث.

لا يا سادتي ! نحن نتكلم باسم قسم عظيم من الأمة، بل ندعي أننا نتكلم باسم أغلبية الأمة، فنقول لكم ولكل من يريد أن يسمعنا، ولكل من يجب عليه أن يسمعنا؛ إن أراد أن يعرف الحقائق ولا يختفي وراء آكام الخيال، نقول لكم من هذه الناحية لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا، ولا تعبرون عن شعورنا وإحساسنا.

إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبح، شأن كل أمة في الدنيا.

ثم إن هذه الأمة الجزائرية ليست فرنسا. ولا يمكن أن تصير فرنسا. ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت. بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج. ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة، والذي يشرف على إدارته العليا السيد الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية.

ثم إن هذا الوطن الجزائري الإسلامي، صديق لفرنسا مخلص، وإخلاصه إخلاص قلبي لا إخلاص ظاهري. يخلص لها إخلاص الصديق لصديقه لا إخلاص التابع لمتبوعه، فهو في حالة السلام والأمن يطلب من فرنسا أن تحترم دينه ولغته، وتمهد له السبيل ليرتقي ضمن دينه ولغته و أخلاقه، وتسبغ عليه نعم الحرية والعدل والمساواة، حتى يصبح في رقيه وحريته وسعادته نموذجا للإدارة الفرنسية وللتعاون الأهلي الفرنسي. و تستطيع فرنسا أن تفاخر به الذين يتباهون بما عملوه في مستعمراتهم الحرة.

أما في حالة الأزمات العالمية. وحين اشتداد الخطب، وإذا تكلم الرصاص وارتقت السيوف فوق منابر الرقاب، فالمسلم الجزائري يهب كالليث من عرينه، للدفاع عن الأرض الفرنسية كما يدافع عن أرضه الجزائرية وعن حريمه وعن أطفاله. ولو لم تجنده

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

فرنسا لسار للدفاع عنها متطوعا. ولنا في مختلف الواجهات الحربية الفرنسية عشرات الآلاف من قبور المتطوعين تشهد بهذا.

فنحن الجزائريون المسلمون العائشون في وطننا الجزائري، والمستظلين بالعلم الفرنسي المثلث الألوان، و المتحدين مع الفرنسيين اتحـادا متينـا لا تؤثر عليه الحوادث الطفيفة أو الأزمات السطحية، نعيش مع الفرنسيين عيش الأصدقاء المخلصين، نحترم حكومتهم وقوانينهم ونطيع أوامرهم ونواهيهم، ونريد منهم أن يحترموا ديننا ولغتنا، ويحفظوا كرامتنا، ويأخذوا بأيدينا في طريق النهضة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهكذا نعيش وإياهم أصدقاء مخلصين، وإذا جاءت ساعة الموت في سبيل الدفاع عن الوطن الفرنسي والوطن الجزائري، وجدونا في صفوفهم الأولى لنموت إلى جانبهم موت الأصدقاء المخلصين.

و علـــى هذا الأساس، توضع الأمور في مواضعها ويحصل التفاهم ويزول كل التباس"[1].

- **السمات العامة:**

تندرج هذه المقالـــة ضمن ما يمكن تسميته بالمقالة السياسية الوطنية، إذ تتطرق لموضوع أثيرت حوله كثير من الشبهات والمجادلات، وقد راج هذا النوع من المقالة خلال فترة ما بين الحربين رواجا كبيرا نتيجة للظروف السائدة حينذاك، فهي فترة شهدت "تشككا في الشخصية الجزائرية وكينونتها ومقوماتها، بل وجحودا لها، وكفرانا بها لا من المستعمر– فهو لم يؤمن بها في يوم من الأيام– ولكن من أبناء الجزائر الذي جرفتهم ثقافته. وليته التشكك الساذج عند رجل الشارع العامي، أو فالح الأرض البسيط، يتظافر على تغذيته جهل المواطن، ومكر الدخيل، أوليته الهاجس الخفي، تسره بعض القلوب المريضة . و لكنها الفكرة المدروسـة المدسوسة ، تتجرأ على الصدع بواسطـة الجريـدة أو الكتاب المطبوع، وترفع عقيرتها في وضح النهار"[2].

[1]-الشهاب- المجلد: 12- الجزء: 01- الصادر غرة محرم 1355 هـ الموافق لأفريل 1936م- ص 46-49.
[2]- صالح خرفي- الجزائر والأصالة الثورية- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1977م- ص 19- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

فلا نستغرب حينها عندما نعلم أن الجهد المستنفد من قِبَل الحركة الإصلاحية لمعالجة الانحراف الداخلي يزيد أضعافا كثيرة على ذلك المبذول اتجاه عدو دخيل.

و لقد" تأسف الإمام عبد الحميد لتنكر بعض الجزائريين– الذين تعلموا في غير أحضان الدين الإسلامي– لتاريخ الجزائر ومقوماتها، ورغبتهم في التخلي عن القومية الوطنية والاندماج في قومية أجنبية، وافتتانهم بالمغريات المادية الزائفة، والظواهر البراقة الخادعة"[1].

وقد مهد الشيخ للأمر ثم وجه كلامه إلى ذلك الجزائري الذي "ادعى في مقالة أنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها أثرا، وفتش عنها في حاضره، فلم يعثر لها عن خبر، ثم صاح هذا المخدوع: فرنسا هي أنا ... ولكن الشيخ عبد الحميد بن باديس يصرخ في وجهه صرخته الشهيرة المدوية، ليقول له وللاندماجيين أمثاله ولفرنسا: بأن هذه الأمة الجزائرية لا تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة عربية إسلامية حرة لها كيانها وشخصيتها ومقوماتها الحضارية والثقافية والتاريخية، التي تجعل من كينونتها ووجودها أمرا واقعا لا مناص من التسليم والاعتراف به"[2].

و كان لهذا الموقف الصلب الشجاع " ولهذه الصرخة الصادقة الجَسور المدوية أثرها البعيد والعميق على النفوس، سواء منها تلك التي كانت تؤمن بحقيقة وجود الأمة الجزائرية فزادها ذلك إيمانا بتلك الحقيقة وتشبثا بها ، أو تلك التي كانت تنكر جهلا هذه الحقيقة بالأمس فاهتدت إليها اليوم"[3].

من كان غافلا فقد تنبه ومن كان جاهلا فقد بلغه العلم ومن كان ضالا فقد اهتدى لوجود هذه الشخصية القومية وهذه الهوية الوطنية، فالوقوف على كينونة وتميز الشخصية الوطنية هو موضوع على جانب كبير من الأهمية.

---

[1]- محمد الصالح الصديق- الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه ومواقفه - دار البعث - قسنطينة - الجزائر- ط1- 1403 هـ- 1983م- ص 72.

[2]- كمال أبو سنة- الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس- حياته ومسيرته وجهاده الإصلاحي – دار الخلدونية الجزائر- ط2- 2005م- ص 42- بتصرف.

[3]- محمد بن سمينة في الأدب الجزائري الحديث- النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر- مؤثراتها، بدايتها، مراحلها - مطبعة الكاهنة- الجزائر- 2003م- ص 23-24- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

"ذلك أن إدراك أي شعب لمقومات شخصيته الوطنية والقومية، هو بداية الطريق السليم لتقدمه ورقيه وازدهار شخصيته الوطنية والقومية، وبالتالي مساهمته بطريقة إيجابية فعالة في التراث الثقافي والحضاري. سواء على النطاق المحلي الخـاص به، أوعلى النطاق الإنساني العام، لأن هذا الإدراك بقدر عمقه ونضجه، هو الذي يمكن هذا الشعب من تصفية العناصر السلبية في هذا النسيج، و بذلك يَطَّرِدُ تقدمه في إطار من الأصالة والتفتح"[1].

فالنضال من أجل هذه الشخصية الوطنية وكينونتها ومقوماتها يكون على جميع المستويات و في كافـة الميادين ، من جوانبها الفكريـــة و السياسيـــة و الاجتماعية و الاقتصادية، للوصول إلى النموذج الوطني أو القومي الذي يريد المصلحون للإنسان أن يحياه، وللأمة أن تعيش طبقا له، " فهو الذي يمد الفرد بالأهداف التي يحيا من أجلها ويسعى لتحقيقها، كما يحدد للأمة الرسالة التي تمنحها بعدها الحضاري، ويعطي – بالتالي– للحياة معناها وقيمتها، كما يمدها أيضا بأسباب الحركة والنمو والتقدم المستمر"[2].

و إن أهم مقومات الشخصية الجزائرية وأهم معالمها الحضارية هي البعد العربي الإسلامي التي تتميز به ، فلا شك أن العروبة والإسلام هما وجهان لعملة واحدة هي الهوية الوطنية الجزائرية.

عمل الاستعمار الفرنسي على تنفيذ مخططات تهدف إلى إفراغ الشخصية الجزائرية من مضمونها القومي، و قطع صلتها بالشرق لإحلال مضمون الشخصية الفرنسية محلها، وذلك تمهيدا لإلغائها تماما ونكران وجودها من الأصل ، وقد سعى لذلك من خلال " تسخير خيرة دارسيه وباحثيه وأساتذته المتخصصين في العلوم الإنسانية، والتاريخ والعارفين بالدقائق الخفية للتركيب النفسي والاجتماعي للفرد، إضافة إلى العمل على إفراز طبقة من المثقفين المحليين من الجزائريين المتشبعين بالثقافة الفرنسية الدخيلة

[1]- تركي رابح- التعليم والشخصية القومية للجماعة- مجلة الثقافة- وزارة الإعلام والثقافة الجزائر- السنة 04- العدد 20- ربيع الأول / ربيع الثاني 1394 هـ- أفريل/ ماي 1974م- ص 49.

[2]- محمد زرمان- الإطار المرجعي ودوره في عملية التجديد الحضاري- قراءة في فكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي- مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية- جامعة باتنة- الجزائر- عدد 05- جوان 1996م- ص 71.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

يقومون بخدمته من خلال معاداة الانتماء العربي الإسلامي للجزائر أولا ثم نكران وجود هذه الأمة الجزائرية ثانيا وأنها جزء من الأمة الفرنسية"[1].

و الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس في هذه المقالة إنما يتحدث عن هذه الفئة، التي كفت الاستعمار مؤونة وشر مجابهة ومحاربـــة بني جلدتهـا، والتي انسلخت – أوكادت – من انتمائها لوطنها وقوميتها، فقد انخدعت هذه الفئة بسياسة الاستعمار الفرنسي وصارت طرفا فاعلا في مؤامرته على هذه الأمة، بل هناك من الوطنيين من وقع ضحية لمثل هذه الخدع والمؤامرات، ومنهم فرحات عباس الذي كتب الشيخ عبد الحميد ابن باديس مقالته هذه "كلمة صريحة" ردا على دعواه بأنه لا وجود للأمة الجزائرية لا في ثنايا التاريخ الماضي، ولا بين دفات الحاضر المعاصر، وفي هذا يقول عبد الملك مرتاض: " للرجال كبوات فتوشك أن تلقي بهم في متاهات التاريخ، ومن رجالاتنا الكبار الذي زلت بهم القدم، وزاغ بين أناملهم القلم، الزعيم الوطني فرحات عباس، فقد حار عقله، وتضبب حسه الوطني، في لحظة يأس وذهول، فكتب مقالة باللغة الفرنسية، عنوانها شديد الإثارة، عظيم التحدي للشعور الوطني، وهو "فرنسا هي أنا"، فلم يتأخر ابن باديس في الرد عليه في مقالة طويلة نعدها من أجمل مقالات ابن باديس السياسية، وأعمقها وعيا، وأحرها شعورا وطنيا، وأنبلها مضمونا، وأشجعها موقفا"[2].

والشيخ عبد الحميد بن باديس كثيرا ما كان يعالج بقلمه السياسي الواقع الجزائري من خلال " الوقوف على ثغور هذا الوطن والدفاع عنه ورد شبهات المبطلين حوله، بهدف تأكيد كينونة الشعب الجزائري وعمق هذه الكينونة إضافة إلى تميزه بالشخصية العربية الإسلامية، وذلك عن طريق نشر الوعي وسط الشعب الجزائري وتحذيره من الانخداع بأباطيل الاستعمار وعدم الانسياق وراء من سولت لهم نفوسهم السعي وراء السراب الذي كانت تعدهم به فرنسا"[3].

---

[1]- عثمان سعدي- عروبة الجزائر عبر التاريخ- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1983م- ص 91- بتصرف.

[2]- عبد الملك مرتاض – أدب المقاومة الوطنية في الجزائر- 1830م-1962م- منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م- مطبعة دار هومة- الجزائر- 2003م- ج2- ص 125.

[3]- مالك بن خليف- الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس- دار طليطلة- الجزائر- ط1- 1432 هـ- 2010م- ص 332- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و قد حل الاستعمار الفرنسي بالجزائر وبغيرها من الأقطار العربية الإسلامية بوجهين، وجه ظاهر بيِّن ينشره بين هذه الشعوب ويسوق له في نخبهم ومثقفيهم الذين آمنوا أيّما إيمان بفرنسا الديمقراطية، فرنسا الثورة و المبادئ المثـالية لثورتهـا التـي أعلنت عام 1789م الحريـة والعدالـة والأخوة و المساواة ، أما الوجه الثاني الذي كانت فرنسا تخفيه وتتستر عليه فهو حقيقة فرنسا الاستعمارية، فرنسا القمع، فرنسا البطش ، فرنسا الصليب ، "ويظهر أن العديد من قادة الرأي العام في هذه المستعمرات قد انخدعوا بالمبادئ والشعارات التي جاءت بها الدول المستعمرة وانتظروا انتصار هذه المبادئ على الواقع الاستعماري الظالم، إلا أن انتظارهم طال ولم يُجْدِهم التعلق بهذه المبادئ في تغيير صورة ولا طبيعة ولا معاملة الاستعمار لهم"[1].

و كان يشايع فرحات عباس في أفكاره ثلة من المثقفين، منهم السذج ومنهم أصحاب المصالح الذين لا يألون اتباع كل من وجدوا مصلحتهم معه ولو كان على حساب وطنيتهم وهويتهم.

أما فرحات عباس فقد كان يَعدّه الشيخ عبد الحميد بن باديس من النواب النابهين، قبل الواقعة التي أنجبت كلمته العاقة الشهيرة التي زعم فيها أن لا أثر ولا خبر عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ، ولا في الحالة الحاضرة، بيد أنه وجد الأمة الفرنسية وهو وشعبه تحت ظلها.

"وجاء رد الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس ينبئ عن رجل سياسي محنك، وطني عالي الوطنية، غيور على وطنه كل الغيرة، ولذلك فهو يرفض رأي فرحات عباس جملة وتفصيلا في نفي الوطن الجزائري، وبعد أن يضع رجال السياسة الجزائريين المتخاذلين في مكانهم اللائق يخلص إلى:

1-إثبات كيان الأمة الجزائرية.

2-إثبات الوطن بحدوده الدولية المعروفة.

3-إثبات الشخصية المتفردة لهذه الأمة باللغة والدين والأخلاق.

[1]- أحمد صاري- ابن باديس بين سراب فرنسا الديمقراطية وحقيقة فرنسا الاستعمارية- مجلة الآداب والعلوم الإنسانية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة- الجزائر- العدد 04- رمضان 1425 هـ- أكتوبر 2004م- ص 07- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

4-استنتاج استحالة كينونة الجزائر فرنسا، حتى لو أرادت ذلك"[1].

فالشيخ يفتتح مقالته برزانة عقل وهدوء نفس، وكلام حكيم ويخفي بين جنباته ثورة عارمة ويخبر القارئ في مطلع مقالته بخبر كأنه عادي، وأنه شأن من شؤون الحياة اليومية العادية التي نحياها كل يوم ، ليتجدد هذا الشأن بطلوع نهار جديد، فالأمر منصرف هنا إلى ظاهرة الفوضى، فهناك فوضى في كل شيء، بل هو زمن الفوضى. فوضى في الدين، حيث يفتي كل من شاء أن يفتي الناس، وحيث يخوض في أصول الديانة الإسلامية كل من سَوَّل له هواه أن يأتي ذلك، عُجْبًا بنفسه، ولو لم يكن من علماء الدين الحقيقيين، و تراه مع ذلك يفعل و لا يستحي.

"وهي فوضى في الأخلاق بحيث يسلك كل من شاء له هواه أن يسلك سلوكا شاذا عما ألفه المجتمع من أخلاقيات السلوك التي تنفع علاقات الناس بعضهم ببعض ولا تضيرهم شيئا. وهي فوضى الاقتصاد بمفهومه العام بحيث أمسى طالب الرزق غير مذعن لشروط التجارة، ولا مقاييس الكسب الحلال المشروع. و الأشد ضررا للناس ما كانوا يتحدثون فيه على عهد الشيخ ابن باديس من ادعاء تمثيل الأمة الجزائرية والتحدث باسمها دون حياء، وهنا يكشف الشيخ عن الغاية من كتابة مقالته، ومن سرد أنواع الفوضى السائدة في المجتمع الجزائري على عهده، وبعد هذه المقدمة الشيقة الهادفة ينزلق إلى فوضى أخرى هي الفوضى السياسية "[2].

و في خضم هذا السَّعَر السياسي، والادعاء بتمثيل الأمة تحت كل لون وباسم كل حق، لم يزل بعض النواب والأعيان وكبار الموظفين يزعمون- وأي زعم- في إصرار، وفي وهج النهار أن الأمة الجزائرية الإسلامية مجمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة، لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي التام في فرنسا.

وهنا تستعر ثورة الشيخ ابن باديس التي كان يخفيها عن قارئه، ويتحول الهدوء إلى ثورة ، والرزانة إلى قوة، و الحكمة إلى تحدي، لأن الموقف يستدعي ذلك، فهو يكذب اتهامات ويرد أباطيل تنسب إلى وطنه، و يوجه الإنذارات إلى المعتد المغير، ويدافع عن

[1]- عبد الملك مرتاض- أدب المقاومة الوطنية في الجزائر- 1830م-1962م- ج1- ص 377- بتصرف.
[2]- المرجع نفسه - ج2- ص 128-129- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

حق مغتصب من وطنه وهو حق جوهري: إنه حق الكينونة، حق الوجود، حق الكيان والشخصية والهوية.

فقد تدرج الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى استخلاص النتائج من الفوضى التي اتخذ منها منطلقا لفكرة مقالته السياسية التي يعارض فيها من لا يتفق معهم من الساسة الجزائريين على ما ذهبوا إليه باطلا، " وذلك باعتبار أن هذه الأفكار هي أفكار استعمارية خبيثة كان الفرنسيون يرجونها، فيتلقفها من في قلوبهم مرض من خونة الجزائريين، أو من ضعفاء العقول إن أردنا للعبارة شيئا من التلطيف، فتحويل امة جزائرية لها لغتها ودينها وشعبها ووطنها وتاريخها إلى أمة فرنسية الروح واللسان لمجرد احتلال الفرنسيين لها بالقوة، وقمعهم وتشريدهم وبطشهم بها، يعد خيانة للجزائر، وغدرا بالأمة الجزائرية بل وازدراء لشعبها.فأن تنفي تاريخا وثقافة وجغرافيا وكيانا كاملا لشعب من الشعوب، لا تفعل شيئا في الحقيقة غير ازدرائه واحتقاره"[1].

و لم يكن ذلك الموقف الظالم يعبر عن خيانة وطنية فحسب، ولكنه كان ينم أيضا عن جهل مركب بتاريخ الشعوب وثقافتها وهوياتها الوطنية، غير أن هذه الأفكار الشاذة المستسمجة المتطرفة المرفوضة من كل ذي لب أو منطق، قد وجدت من بعض من ينصبون أنفسهم زعماء لهذا الشعب من أولي الثقافة الفرنسية من ينادي بها ويدعوا إليها ويستميت في الدفاع عنها، ولم يكن هذا إلا نتيجة وأثرا من آثار المسخ الفكري والثقافي الذي سلطه الاستعمار على الجزائريين طوال فترة احتلاله للوطن ، بحيث أفضى ذلك إلى:"تجريد بعض الناس من أي خيلاء وطنية تسمح لهم بالاعتزاز بالوطن، والافتخار بالانتماء إليه، كما يعتز بالوطن الفرنسيون أنفسهم، وهي صفة نبيلة فيهم لا ننكرها عليهم بل نحمدها فيهم وفي سواهم من الأمم التي تتمسك بأوطانها وتعتز ببلدانها؛ لكن أن يفتخر بالوطن الفرنسي الأجانب عنه، بتخيل منهم أنهم سيستطيعون بذلك أن يكونوا طرفا فيه بمجرد نبذ الهوية الوطنية، وتقمص الجنسية الفرنسية الإدارية، فإنما ذلك خيانة لا يغفرها لهم التاريخ، لا يمكن لشخص عربي أمازيغي مسلم أن يصبح فرنسيا لمجرد أن

[1]- المرجع السابق- ص 129.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

يحمل بطاقة إدارية تفيد ذلك ، فالانتماء إلى أمة يكون في مألوف العادة أعمق من ذلك غورا و أبعد في السلوك شأنا "[1].

وطمعا في ما لا يمكن تحصيله وطلبا للمستحيل طبعا وشرعا، فلا يزال أولئك القوم تدفعهم خيانتهم لأمتهم ووطنهم إلى استعجال الفرنسيين وإغرائهم بالمسارعة في مسخ الجزائر قلبا وقالبا وجملة وتفصيلا، والمبادرة إلى تجريدها من هويتها الوطنية ومن أركان شخصيتها، ومن مقوماتها الحضارية، وذلك بأن تمد يدها بكل سرعة فتلغي جميع ما يحول دون تحقيق هذا الاندماج التام.

ثم يعرج الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى أهم نقطة في مقالته، فيعرض مقولة فرحات عباس المجانبة للحق والصواب، ليعترض عليها، فهو مصلح وأديب بحق لأنه يعيش قضايا أمته ومجتمعه ، "وليس بصحيح أن الأديب من حقه أن يعتزل الجماعة، بل الواجب أنه مجند لخدمة أغراضها، وإلا فهو طفيلي ينبغي أن يؤخذ على يده، ولا يعد الأثر الأدبي جيدا إلا إذا هدف إلى خدمة مجتمعه، فإن انحرف عنه كان لغوا من الأدب"[2].

وكما رأينا فالشيخ لم يتناول مادة افتراضية و لا من مخيلته، بل هو يغترف مادة مقالته من المجتمع الذي يعيش فيه، فتراه يغمس قلمه في مشكلاته وقضاياه.

لذلك فإن أدبه لا يكون لذاته فقط فهو " لا يصنع أدبه لنفسه وإنما يصنعه للجماعة بحيث يكون أدبه متكافلا مع مصالحها ومواقفها، لا أدبا سلبيا يتنصل من واقعها وأوضاعها، فإنه لا يكتب في فراغ، ولا في خضم من العدم، ومن ثم كان عليه أن يلتزم بقضايا قومه ويصدر فيها في كتاباته، على أن هذه القضايا وما يتصل بها من قياس الأدب بالحاجات والدعوات الاجتماعية لا تنتظم تفسيرا عاما لكل قيمة؛ إذ يوجد وراءها قيمه الجمالية والفنية الموروثة، كما توجد وراءها قيم نفسية عامة تحيط بآثاره في القديم والحديث"[3].

---

[1]- المرجع السابق – ص 130 .

[2]- رجاء عيد- فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق- منشأة المعارف- الإسكندرية- مصر- 2000م- ص 273- بتصرف.

[3]- شوقي ضيف- في النقد الأدبي- دار المعارف- القاهرة- مصر- ط6- 1981م- ص 65.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و بعد أن يعترض على مقولة فرحات عباس، فإنه يشبه موقفه بموقف بعض الصوفية المغالين الذين بحث أحدهم عن الله فلم يجده إلا في نفسه فغدا إلها !في حين أن فرحات عباس بحث عن الوطن الجزائري في التاريخ القديم والحديث فلم يجده إلا في فرنسا، بل لم يجد فرنسا إلّاهُ فأمسى هو– بقدرة قادر– فرنسا. " فقد تحلل فيها وتحللت فيه فأمسيا شيئا واحدا !ولم يكن ذلك ليقع لولا إشراقات التجلي التي أشرقت عليه، بفضل عشقه فرنسا، فأمسى شيئا غير الذي كان، وكائنا غير الذي كان يجب أن يكون، بعد أن مر بحالة جعلته يتحلل من قومه، ويخال أنه يستطيع أن يتحلل في قوم آخرين، مقتحما عليهم كيانهم، بكل ما فيه من لغة وتاريخ ودين وحضارة وعادات وتقاليد، ولم يكن يحس أنه سيظل أجنبيا عنهم من المنبوذين، وعدّ ابن باديس ذلك السلوك الشاذ – في سخرية بادية، وتهكم واضح – أنه من عبقرية الجزائريين في التطور والاختراع " [1].

ثم يعود الشيخ عبد الحميد بن باديس الى الذين يزعمون أنهم يتحدثون باسم الجزائريين أمام الهيئات الفرنسية والمجالس النيابية، فخطَّأهم وجعلهم للحقيقة مجانبين وفي الوهم غارقين، هم ومن يصدقهم ويعمل بدعواهم تلك.

فهؤلاء الزعماء الممجدون لفرنسا لا يمثلون إلا أنفسهم أو من شاكلهم في فكرهم وانهزامهم وانسلاخهم من وطنيتهم و قوميتهم ولغتهم وتاريخهم وحضارتهم، فهو يرد ويرفض كل الأفكار الخائنة التي كانوا يطرحونها في سوق السياسة الكاسدة بخاصة ما يروجون له من نفيهم أن يكون للجزائر وشعبها وطن وتاريخ وكيان.

ويأتي جواب الشيخ عبد الحميد بن باديس في قمة الإثارة والعنفوان، فيصرخ في وجوه أولئك الانهزاميين: نحن فتشنا في صحف التاريخ، وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة، كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها وعوائدها وأخلاقها... شأن كل أمة في الدنيا.

فهو يثبت هنا ما نفاه المتفرنسون، إما جهلا بتاريخ وطنهم وإما وقوعا في خطأ جسيم، فهم فتشوا عن الجزائر في القديم فلم يجدوا لها أثرا و في الحاضر فلم يسمعوا لها

[1]- عبد الملك مرتاض- أدب المقاومة الوطنية في الجزائر- 1830م- 1982م- ج2- ص 130- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

خبرا، فاقتنعوا بأنها منعدمة وغير موجودة، وأن الموجود وحده هو فرنسا، التي أصبحت بحكم إشراقه سياسية– تشبه إشراقات أهل التصوف–هي إياه، بل أمسى هو إياها.

ويقيم الشيخ عبد الحميد بن باديس إثباته "على المنطق نفسه الذي نفى به خصمه الحقيقة الجزائرية، ذلك بأن الكاتب بحث عن الجزائر في التاريخ القديم فوجدها، وفتش عنها في العهد الراهن فظفر بها؛ تجلت له شامخة، وارتأت أمامه عملاقة، فتجلت كريمة عظيمة: أرضا وبشرا، وتاريخا وأثرا، واعتزازا وأشرا، ألفاها الشيخ في المساجد العامرة، ووجدها في النفوس الأبية، وتحسسها في القلوب الطيبة، ألفاها في هذا الشعب الأبي الكريم، الذي لم يزل يرفض الاحتلال طوال عهود الظلمات الاستعمارية... إن الأمة الجزائرية كأية أمة في العالم، موجودة بحكم المقومات والمكونات التي تقوم على أساسها أمة من أمم الأرض"[1].

فهي أمة لم تفتأ تدافع عن حريتها وأرضها وكيانها وشخصيتها منذ الزمن القديم، وما المقاومات للاحتلال منذ 1830م ببعيد عنا.

ثم يقرر أن الجزائر التي يعتقدون أنها ماتت، وأنها غير موجودة، وأنها ذابت في فرنسا، هي ليست فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، وهي لا يستطيع أن تكون فرنسا حتى ولو أرادت ذلك، بل هي بعيدة كل البعد في لغتها وفي أخلاقها، وفي عنصرها وفي دينها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري، وهي لا ولن تندمج مع فرنسا.

"ولقد كانت قضية الاندماج مع فرنسا في الأعوام التي سبقت الحرب العالمية الثانية بل منذ الحرب العالمية الأولى قائمة على أشدها، فكان مجموعة كبيرة من أولى الميول الفرنسية وممن انقطعوا عن الثقافة العربية، وممن لم يكونوا– فيما يبدوا– يعرفون من الإسلام إلا اسمه ينضحون عن فكرة الإدماج، ويرونها فرصة عظيمة لأن يذوب الشعب الجزائري في الكيان الفرنسي، وينتهي من الوجود بالتلاشي، غير أن الوطنيين المخلصين

[1]- المرجع السابق - ص 132.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

رفضوا هذه المؤامرة الدنيئة الخبيثة، بل أفتى بعض العلماء بتكفير المتجنس بالجنسية الفرنسية يومئذ– فيما يقال– فقيس على المرتد عن دينه"[1].

و لهذا نجد الشيخ عبد الحميد بن باديس يركز في هذه المقالة على مسألة الخصوصية الوطنية ومقومات الهوية الوطنية للجزائر وشعبها ويعددها بالذكر والتنبيه حتى يتأثر المخاطَب الذي يتلقى هذا الخطاب من الجزائريين وغيرهم.

كل ذلك أخرجه الشيخ في أسلوب سهل ومعنى واضح وتعبير سليم بعيد كل البعد عن الزخرف اللفظي و التفنن البلاغي ، لأنه يخاطب الجماهير و يناقش آراء الخصوم و يفندها بأسلوبه المنطقي المقنع السهل ، الذي ينأى عن الإغراق في الخيال وشدة الانفعال، على الرغم من حساسية الموضوع وأهمية القضية المتعلقة بالهوية الوطنية والشخصية القومية.

ومن هنا كانت مقالته هذه نموذجا للمقالة السياسية في زمنها فجاءت "معبرة عن حقيقة تستمد منها قيمتها الإنسانية المعنوية، كما جاءت في تعبير جميل، وهنا تستمد قيمتها الفنية الجمالية ،أي أنها قطعة أدبية تتميز بسلامة بنائها وقوة ديباجتها وسبكها "[2].

ذلك لأن " الكتابة تعني خدمة الحقيقة، إذ أن القيمة الفنية للعمل الأدبي تعتمد كلية على ما يقدمه للمتلقي، والحقيقة الفنية ليست هي فحسب إعادة إنتاج الواقع في صورة لغوية؛ إنها أخصب وأكثر تعقيدا وتتضمن تعبيرا عن المشاعر والأذواق و الأفكار والقناعات"[3].

فقد جاءت مرتكزة على العقل مبنية على أفكار و معان عميقة غير سطحية، لكنها واضحة وغير معقدة ولا مبهمة، كما أنها صادرة عن وجدان صادق فياض بالإحساس العميق بخطورة القضية وحساسيتها لأنها تتعلق بكينونة أمة وهويتها، فلم يكن هناك بد من القوة والوضوح معا دون إهمال للقالب الفني الجمالي الذي صيغت ضمنه.

---

[1]- المرجع السابق- ص 132- بتصرف.

[2]-جورج زكي الحاج- دروس و موضوعات في أدب اللغة العربية- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان- ط1- 1403 هـ- 1983م- ج1- ص 15- بتصرف.

[3]- رمضان الصباغ- الفن و الايديولوجيا- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية- مصر- ط1- 2005م- ص 112- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

- **حول كلمتنا الصريحة:**

هو عنوان مقالة نشرها الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد المقالة السابقة في الجزء الثالث من المجلد الثاني عشر من مجلة الشهاب ، الصادر غرة ربيع الأول 1355 هـ الموافق لجوان 1936م.

فقد أثارت المقالة السياسية الحارة التي تحدث فيها عن الاندماج والارتباط بفرنسا وعن الوطن الجزائري والهوية الوطنية والبعد العربي الإسلامي للجزائر ردود فعل عنيفة وشديدة، ومتعددة أيضا لدى خصومه، وخصوصا في الصحافة فرنسية اللسان التي كانت تصدر بالجزائر في ذلك العهد.

أحدثت تلك المقالة "كلمتنا الصريحة" أثرا طيبا جدا في نفس فرحات عباس الذي اعترف بخطئه، و زار الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقر مجلة "الشهاب" بقسنطينة، وأبدى للشيخ من اللطف و الحس الوطني المتحضر ما حمل الشيخ على أن يغير رأيه فيه.كما نوه بروح فرحات عباس العالية وذلك في مقالته "حول كلمتنا الصريحة"[1].

وذلك في قوله: "إن كلمتنا الصريحة وضعت الكثير من الرجال على المحك، فمنهم من ظهرت نفسه من در مكنون، ومنهم من انطوت جانبه على حمإ مسنون.

وإنا لنشهد أن من أكبر الرجال الذين رأينا فيهم بهذه المناسبة، الهمة العالية، وشرف النفس، وطهارة الضمير، الأستاذ فرحات عباس الصيدلـــي والعضـــو البلـدي والعمالي بسطيف.

كان هذا الرجل الأبي من أهدافنا في مقالتنا "كلمة صريحة" وهو الذي آخذناه عن مقالة: "فرنسا هي أنا" و قلنا له ولمن معه: إنكم عندما تسمعون لسياسة الاندماج، وتحبذون التجنس، وترضون بضياع حقوقنا الإسلامية مقابل حق الانتخاب، وتريدون – خلافا للطبيعة–أن يصير جمهور المسلمين بهذه البلاد جمهورا فرنسيا بحتا، إنكم عندما

[1]- الشهاب- المجلد: 12- الجزء: 03- الصادر غرة ربيع الأول 1355 هـ الموافق لجوان 1936م- ص 173-178.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

تسمعون وتحبذون هذا: لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا، و إنكم في واد و الأمة في واد آخر "[1].

فعلى الرغم من أن الشيخ عبد الحميد بن باديس قد نوه تنويها كبيرا بأخلاقه العالية، وأنه من أكمل الرجال، وأنه كان طاهر الضمير، شريف النفس ، إلا أن المبادئ التي بني عليها الشيخ مواقفه لا زالت قائمة، فموقفه في القضايا الجوهرية يظل ثابتا راسخا لا يتغير، فهو بعد إشادته بفرحات عباس يظل يذكر – مع ذلك–بأن الاندماج والتجنيس مرفوضان وسيظلان مرفوضين إلى أن ينال الجزائريون حقوقهم ويسترجعوا كيانهم.

ثم يتحدث عن بعض الخصوم الذي يسعون لتأليب الإدارة الفرنسية عليه وعلى مجلة "الشهاب" فيقول: "لكن خصومنا ... أرادوا أن يفهموا من كلامنا (في كلمة صريحة) أننا نريد الاستقلال، ورأوا أنهم يحرجوننا إذا رأوا البحث على بساط الاستقلال، حتى إذا زل بنا القدم فوق هذا البساط الأملس، استنزلوا علينا نقمة الحكومة، وطلبوا أن نعامل معاملة الثائرين المهيجين... لكن خابت آمالهم فنحن قوم لا نتأخر عن الخوض في هذه الميادين، و أنهم لا يزعجوننا إن جرونا للبحث في مسألة الاستقلال، إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا. وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة. ولسنا ممن يَدَّعُون علم الغيب مع الله ويقولون: إن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد، فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ، فمن الممكن أنها تزداد تقلبا مع التاريخ... وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر "[2].

فهذا النص يرينا كيف كان الكتاب الجزائريون لا يهابون أن يطالبوا بنوع من الحرية السياسية، بالرغم مما كانوا يصطنعونه من تقية وحيطة وتحفظ، لسطوة الاستعمار وعتوه وطغيانه وجبروته. " فابن باديس هنا يطالب بالاستقلال، ولكنها مطالبة مشوبة بالحذر الشديد، من أجل ذلك نراه لا يستبعد أن تصبح الجزائر مستقلة استقلال واسعا... إنما ليس ينبغي أن ننسى أن الشيخ كان داهية، وكان يصطنع هذه التقية للمحافظة على مصالح

[1]- المصدر السابق - ص 174.
[2]- المصدر نفسه - ص 177-178.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

جمعية العلماء المسلمين السياسية. كما يأتي ذلك لجس نبض الفرنسيين لمعرفة مدى استعدادهم لتقبل هذه الكلمات الجديدة التي أخذت تنتشر في الجزائر خلال هذه الفترة انتشارا شديدا، ومنها الحرية والاستقلال"[1].

ففي تلك الفترة لم تكن موازين القوى في الجزائر في صالح الوطنيين ولا الإصلاحيين، بل كانت لصالح الإدارة الفرنسية و دعاة الاندماج والتجنيس وكذا الطرقيين الذين كانوا يخدمون المشروع الفرنسي من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

"إن أنماط الوعي (الانهزامي) السائدة في ذلك الزمان (فترة الاستعمار) والمكان (الجزائر المحتلة) كانت تحكمها شروط ومعطيات وسياقات لا يمكن تجاوزها بل أخذت في أغلبها طابع العائق الذي يحول دون تبلور أو ممارسة أشكال أخرى من الوعي المضاد (إصلاحي، وطني، تحرري، قومي...) إذ أن هيمنة النمط الانهزامي تعود إلى رجحان موازين القوى لفائدتها"[2].وذلك بسبب ولائها للإدارة الاستعمارية.

غير أن هذا لم يثن من عزيمة رواد الحركة الإصلاحية، فكما رأينا الشيخ عبد الحميد بن باديس، يواجه جبهة الجهل في المجتمع و جبهة الخونة الانهزاميين من السياسيين، وجبهة رجال الطرق والتصوف، وجبهة الإدارة الاستعمارية، كما أنه لم يكن يكتب من فراغ ولا في فراغ ، بل كان يكتب لمجتمع في أمس الحاجة لذلك من خلال ما يرجو من نتائج إيجابية وتأثير مفيد لكتاباته.

يقول مالك بن نبي: " لا ينبغي لمن يكتب أن يكون مجرد آلة كاتبة تنقل لنا نسخة دون أن تقدر للكلمات التي تكتبها أية نتيجة اجتماعية. إن على من يكتب واجبا إزاء الكلمات التي يكتبها، يجب عليه أن يتبعها... في معركة الحياة والصراع الفكري، أن يتتبعها في عملها في المجتمع"[3].

فمن التاريخ يستخلص الشيخ عبد الحميد بن باديس عبرا ونتائج أهمها أن الحالة الحاضرة التي تعيشها الجزائر–أي وقوعها تحت وطأة الاستعمار الفرنسي منذ سنة

---

[1]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931م- 1954م- ص 132.

[2]- سعيد يقطين- الأدب والمؤسسة والسلطة- نحو ممارسة أدبية جديدة- المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب- بيروت- لبنان- ط1- 2002م- ص 41- بتصرف.

[3]- مالك بن نبي - في مهب المعركة- دار الفكر- دمشق- سوريا- 1405 هـ- 1985م- ص 137.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

1830م- لن تدوم إلى الأبد، وأن دوام تلك الحال من المحال، وأن الأحداث التي اعتورتها و الخطوب التي مرت بها في ماضيها أفضت إلى تغيير دول وراء دول، وأدت إلى تبدل أطوار بعد أطوار. فما يمنع الجزائر أن تتعرض في المستقبل لتغيير سعيد يقع لها؟ ولن يكون ذلك التغيير سوى استقلال الجزائر عن فرنسا الذي هو أمر آت لا ريب فيه، فبعد الشقاء سعادة وبعد الاستعباد حرية.

- **الحرية:**

حملت الشهاب في أعلى واجهتها شعار الحرية الذي هو أول أربع كلمات مسجلة على الأركان الأربعة وهي: الحرية والعدالة والأخوة والسلام، وما كان احتفاء الشيخ عبد الحميد بن باديس بالحرية إلا لفقدها رغم مالها من قيمة وأهمية.

" فقد كان الإمام رحمه الله يتلهف ظمأ إلى الحرية ويتغنى بها، ويناجيها ويتقطع ألما وحسرة كلما فكر في شعبه المحروم منها، وهي الضرورية للإنسان ضرورة الماء والشمس والهواء"[1].

وتحسره هذا ليس غريبا ولا عجيبا، فهو المفكر الأديب المصلح الذي يسعى لرقي أمته و ازدهارها وسعادتها.

" وقد كانت قضية الحرية الشغل الشاغل للفكر الإنساني منذ فجر الوعي الحضاري، وبالرغم من كل مظاهر الكبت والإرهاب والاضطهاد التي واجهتها الحرية على مر العصور، فقد استطاعت الصمود، والاستمرار...لدرجة أن الحرية والإنسانية أصبحتا وجهين لعملة واحدة هي: الكيان الإنساني الحق، وفي الفلسفة والأدب أصبح صراع الإنسان صراعا من أجل الحرية"[2].

و هو صراع أكثر ما تتجلى وقائعه في الأعمال الأدبية ، "فالأديب يتأثر بالحياة الخارجية السائدة في بيئته، القائمة في مجتمعه، وهو يستمد أدبه من حياة هذا المجتمع،

[1]- محمد الصالح الصديق- الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه و مواقفه- ص 60.
[2]- نبيل راغب- موسوعة الفكر الأدبي- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر- 2002م- ص 172.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وهو حين يتأثر بالمجتمع إنما يعكس فهمه هو على هذا المجتمع، والأدب تصوير لهذا الفهم ونقل له"[1].

و الحرية مطلبٌ سامٍ في كل الأمم والشعوب وفي كل الملل والحضارات، وقد حُرِم منها الشعب الجزائري أكثر من قرن من الزمن . فكانت هاجسا له، ومطمحا نبيلا يسعى إليه.

و لعل أروع ما كتب عن الحرية خلال هذه الفترة كلها في الجزائر، مقالة نشرها الشيخ ابن باديس في افتتاحية أحد أجزاء الشهاب بعنوان مثير هو: "عيد الحرية"، ومما يقول فيها: "حق كل إنسان في الحرية كحقه في الحياة، و مقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده من حرية. المتعدي عليه في شيء من حريته كالمتعدي عليه في شيء من حياته، وكما جعل الله للحياة أسبابها و آفاتها،جعل للحرية أسبابها و آفاتها ، ومن سنة الله الماضية أنه لا ينعم بواحدة منهما إلا من تمسك بمالها من أسباب. وتجنب وقاوم مالها من آفات. وما أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما أنزل عليهم الكتب، وما شرع لهم الشرع، إلا ليعرف بني آدم كيف يحيون أحرارا وكيف يأخذون بأسباب الحياة والحرية، وكيف يعالجون آفاتهما، وكيف ينظمون تلك الحياة وتلك الحرية، حتى لا يعدو بعضهم على بعض وحتى يستثمروا تلك الحياة وتلك الحرية، إلى أقصى حدود الاستثمار النافع المحمود المفضي بهم إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة"[2].

فالحرية إذن في فكر الإمام عبد الحميد بن باديس هي "حرية مثالية وليست حرية أقوال وخيال، إنها روح تسري في كل شيء... فالحرية لا يبصرها كل الناس، إنها روح لا يصل إليها إلا من اكتحل بإثمد الحقيقة... فهي مثل عليا في الحياة ونور يستضاء به في غفلة العالم"[3].

إن النص المقتطف من مقالة الشيخ عبد الحميد بن باديس يرينا كيف كان الكتاب الجزائريون يهيمون بالحرية و يقرنونها بالحياة، و الوجود والكينونة، فلا حياة بلا حرية ولا

---

[1]- عز الدين إسماعيل- الأدب وفنونه- دراسة ونقد- دار الفكر العربي- القاهرة- مصر- ط8- 1983م- ص 32- بتصرف.

[2]- الشهاب - المجلد: 11- الجزء: 10- شوال 1354 هـ الموافق لجانفي 1935م- ص 613-615.

[3]- محمد زغينة– المقالة الوجدانية في نثر أدباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع- عين مليلة- الجزائر- 2005م- ص 53-54.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وجود تحت وطأة الاستعباد، ولا كيان مع الذل والهوان، وإن الشيخ لا يكتم ما في نفسه من حب شديد للحرية لأنها حياة وعز، وقرنها بالرسالات السماوية.

كما يرينا هذا النص أيضا " كيف كان كتاب المقالة السياسية لا يترددون في خوض القيل في الحرية السياسية وشرح محاسنها وتبيين صفاتها، وربطها ربطا عضويا بالحياة نفسها. كما نجد ابن باديس هنا يربط بين الحرية والحياة، وأن الحياة ليست شيئا، بل لا يمكن أن تكون حياة حقيقية كريمة ما لم تك حرة. كما أن لا حرية على الأرض بدون حياة.فالحرية هي الحياة، والحياة هي الحرية؛ كلتاهما لا تقوم إلا بالأخرى.[1].

وهكذا تصبح الحرية " سرا ولغزا تسحر الناس لكنهم لا ينالونها، لأن كل هذه المظاهر ما هي إلا استهلاك لعواطف الناس،وسَرَحان في عوالم لم تمت إلى الحقيقة بشيء ،وذلك لأن الإمام عبد الحميد بن باديس وعى حقيقة الحرية بأنها روح خفية تسري في الحياة وهي هدف للخلق أجمعين"[2].

وقد عبر عن هذه المعاني في لغة أدبية راقية عبرت حق تعبير عن أن "الأدب قرين للحياة وهو سهل طالما لا يزال قادرا على أن يبعث في عوالمه الخاصة حيوية فائقة تعطي الناس الشعور نفسه بالحياة الذي يحسونه في حياتهم، وقد صفاه ومزجه بنوع من الأمل في تحصيل هذه الأمنية المنشودة"[3]، والتي ليست سوى الحرية.

و أرجع الدارسون رداءة الإنتاج الأدبي والفني في عهد الاستعمار للبلاد العربية لغياب الحرية، واستشراء القمع و البطش، إذ أن حرية الأديب من حرية مجتمعه"ومرد ذلك فقدان الأديب العربي لحريته، ومن يفقد حريته يفقد شخصيته، و تخمد جذوة موهبته وملكاته، بل يعيش آلة تدور دون حس ودون تفكير، فالحرية غذاء الأديب، وقلما ازدهر أدب في عصر الظلمات والمظالم. قد يعبر الأديب في تلك الفترات العصيبة، عن ألمه، عن هواجسه، وقد يصف البؤس الذي يهد كيان مجتمعه وينهك قوى أمته، وقد يرمز إلى الطغيان خشية بطش الطغاة إذا ما أفصح جهرا عن طوايا صدره، ولكن يظل أدبه

[1]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر- 1931م-1954م- ص 134.
[2]- محمد زغينة- الوجدانية في النثر الجزائري الحديث- مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية- جامعة باتنة- الجزائر- العدد 06 - جوان 2002م- ص 17- بتصرف.
[3]- مجدي توفيق- الأدب والحياة- من الرسالة إلى الصمت- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية- مصر- 2002م- ص 181- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

مغمورا بضباب كثيف من الكبت، وتنزع نفسه دائما إلى جو حر منطلق، فالحرية ليست زاد الأديب وغذاؤه فقط، بل هي في ميدان الكفاح القومي والإنساني حياته، و من هنا كان أدبنا العربي خلال عصور الانحطاط والاستعمار، أدبا ضحلا ، بمحتواه وشكله، ولا يتميز بإبداع الأدباء الذين عاشوا في أجواء الحرية"[1].

فالحرية إذن ليست فضولا من القول و " لا قضية من قبيل الترف الفكري ولكنها نشأت عن دواعٍ جوهرية تضمنها المعنى الصميمي للحرية التي أخذت تتجلى في أبعادها الحقيقية ومستوياتها الصحيحة ، التي تتمثل في المستوى الديني والمستوى السياسي والمستوى الثقافي والفكري، إضافة إلى المستوى الاجتماعي"[2].

وهذا ما جعل الحريــة موضوعـا خصبا ثريا تناوله كثير من المفكرين والأدباء وحتى الفلاسفة بالبحث والدراسة، ولئن كانت حرية الأديب من حرية مجتمعه فإن إنتاجه الأدبي لا بد أن يكون موجها لتحصيل الحرية والسعي إليها والمحافظة على أسبابها ومقوماتها عند نيلها.

" فالكلمة ما زالت مسؤولة والحرية ليست مجانية، ومسؤولية الكلمة ذات ثمن باهض يجب أن يُدْفع، وبدون هذا الثمن تفقد المسؤولية محتواها والحرية قيمتها، وتتحول من نضال في قلب الواقع إلى استسلام له، وفي أزمنة التحديات الكبرى وعلى رأسها التحرير واسترجاع السيادة والحرية ، فإنه يجدر بالكتاب والأدباء والمفكرين أن يكونوا على مستوى التحدي"[3].

و في هذا المعنى يرى توفيق الحكيم أن مهمة الكاتب ليست سهلة ولا بسيطة بالمرة ولا سطحية، بل هي عميقة وجوهرية فيقول: "إن مهمة الكاتب ليست في مجرد إقناع القارئ بل في التفكير معه... إن الأدب طريق إلى إيقاظ الرأي... لا أريد من

---

[1]- سامي الكيالي- مستقبل الأدب العربي- مجلة المجمع العلمي العربي- دمشق- سوريا- الجزء : 03- المجلد : 39- صفر 1384 هـ- جويلية 1964 م- ص 436.

[2]- محمد أحمد عبد القادر- قضايا الفكر الإسلامي الحديث بين الأصالة والمعاصرة- دار المعرفة الجامعية – القاهرة- مصر – 1997م- ص 201 - بتصرف.

[3]- جلال فاروق الشريف- إن الأدب كان مسؤولا - منشورات اتحاد الكتاب العرب- مطبعة الكاتب العربي- دمشق- سوريا- 1978م- ص 08- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الكتاب أن يريح قارئه ويلهيه، و إنما أريد أن يطوي القارئ الكتاب فتبدأ متاعبه... الكاتب مفتاح للذهن، يعين الناس على اكتشاف الحقائق والمعارف"[1].

ويستمر في بيان مهمة الكاتب النبيلة ورسالته السامية تجاه مجتمعه فيقول: "إن مهمة الكاتب في نظري هي تربية الرأي، وكل كاتب لا يثير في الناس رأيا أو فكـــرا أو مغزى يدفعهم إلى التطور أو النهوض أو السمو على أنفسهم، ولا يحرك فيهم غير المشاعر السطحية العابثة، ولا يُقِرُّ فيهم غير الاطمئنان الرخيص، ولا يوحي إليهم إلا بالإحساس المبتذل، ولا يمنحهم غير الراحة الفارغة، ولا يغمرهم إلا في التسلية والملذات السخيفة التي لا تُكَوِّن فيهم شخصية، ولا تُثَقِّف فيهم ذهنا، ولا تُرَبِّي فيهم رأيا، لهو كاتب يقضي على نمو الشعب وتطور المجتمع. إن واجب الكاتب يحتم عليه أن يحدث أثرا سامي الهدف في الناس، وخير أثر يمكن أن يحدثه عمل في الناس هو أن يجعلهم يفكرون تفكيرا حرا"[2].

فالحريـــة غاية كل رسالـــة و هـــدف كل مهمة و مطمـح كل إصـــــلاح دينـــي أو اجتماعـــي أو سياسي.

[1]- توفيق الحكيم- فن الأدب – دار الكتاب اللبناني- بيروت- لبنان- ط2- 1393 هـ- 1973 م- ص 181.
[2]- المرجع نفسه - ص 181.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

3-ملامح فنية في مقالات الشيخ عبد الحميد بن باديس :

لقد ذكر النقاد أن بنية المقالة تتكون من ثلاثة أقســـام: مقدمة وعرض وخاتمة، ويشترطون أن تكون هذه الأجزاء الثلاثة واضحة المعالم في جميع أنواع المقالة، وبخاصة الموضوعية منها، وقد كانت معظم مقالات الشيخ عبد الحميد بن باديس على اختلاف أنواعها وموضوعاتها تلتزم في هيكلها بصرامة البناء ودقة التصميم، وحسن التنظيم، فجاءت بذلك على قدر من التماسك والترابط بين أجزائها.

"فالمقدمة مميزة تأتي في الغالب قصيرة شديدة الصلة بالغرض ممهدة لما يتخلله من أفكار ومشاعر. أما العرض فقد تميز في معظم مقالاته بوحدة الغرض، ويكاد يقتصر على معالجة موضوع معين تتساوق في نسقه مجموعة الجزئيات وتتكامل فيما بينها لتنتهي إلى رسم تصور كامل عن الموضوع المعالج ، فيظهر ذلك في مختلف أنواع مقالاته الإصلاحية ، تصحيحا للعقيدة الإسلامية و غيرة عنها، ودفاعا عن اللغة العربية وتمكينا لها، وفي مقالاته السياسية ذودا عن المقومات والحقوق، وفي مقالاته الاجتماعية تشخيصا للأدواء ووصفا للدواء، وقد يقوم أحيانا بتناول أكثر من معنى ويعرض أكثر من قضية في مقالة واحدة. أما الخاتمة فتأتي في كثير من الأحيان موجزة ملخصة للمعاني المطروقة في صلب العرض، ملوحة بالأهداف المتوخاة منها[1].

و كان الشيخ عبد الحميد بن باديس في بعض الأحيان لا يحفل كثيرا بالمقدمة فيجئ بها موجزة إيجازا شديدا، لا تكاد تميز عن العرض إلا بالملاحظة الدقيقة.

و أغلب مقالاته جاءت" متوسطة أو قصيرة، فاتسمت بصغر الحجم، ووحدة الموضوع، ودقة التصميم، وقصر المقدمات، وموضوعية التحليل ووضوح الأفكار، والقصد في التعبير، والبعد عن الخيال، والعزوف عن التأنق اللفظي، والميل إلى الوضوح و اليسر والسهولة، والقرب في معظم ما تقوم عليه صورة التعبير من ألفاظ وتراكيب، وصور وأساليب"[2].

[1]- محمد بن سمينة- في الأدب العربي الحديث بالجزائر- الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس - ص 85- بتصرف.
[2]- المرجع نفسه - ص 86.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و المتصفح لمقالات الشيخ عبد الحميد بن باديس يدرك أن أسلوبه في الصحافة غير أسلوبه في التفسير و شرح الحديث النبوي الشريف، و الموضوعـــات الأدبيـــة ، إذ أن " أسلوب ابن باديس في الصحـــافة يختلف اختلافا كبيرا عن أسلوبه في كتابة التفسيـــر والحديث والموضوعـات الأدبية، و يمتاز بأنه أسلوب مباشر وقوي، وقصير الجمـل، ومركز ومفحم للخصم، وطافح بالسخرية اللاذعة، خصوصا عندما يكون الأمر متعلقـــا بمناقشة المتهجمين على الشخصيـــة القوميـــة ســـواء كانـــوا جزائريين أو أجانب"[1].

وهو كغيره من كتاب المقال الإصلاحي والسياسي، كان يغلب عليه الطابع الذهني والروح الدينية الواضحة، وقليل من العناية بالجانب الفني الأدبي، فهو كان يتصدى للقضايا الدينية و الوطنية، و كان شديد الاهتمام بالفكرة وتوصيلها بأسلوب صريح ومباشر واهتمامه باللغة من حيث مفرداتها و أصالتها وقدرتها على تبليغ الأفكـــار، والعناية ببعض أســـاليب البيـــان العربي دون اهتمام كبير بجمال التعبير وصياغته صياغة يقصد من ورائها اللذة الأدبية.

"وحيث يؤدي العمل الأدبي وظيفته تأدية ناجحة، فإن نعمتي الفائدة والمتعة لا يجوز أن تتعايشا فقط، بل يجب أن تندمجا... إن نفع الأدب–جديته وتعليمته– هو نفع مفعم بالإمتاع... وجديته هي جدية الإدراك الحسي، جدية الإحساس بالجمال"[2].

وقد توفر في أسلوب الشيخ عبد الحميد بن باديس عنصري القوة والحق – وهما من أهم عناصر الأدب – لأنه كان رجل دعوة آمن بالمبدإ الإصلاحي ، فأخلص له، فكانت القوة صادرة عن حماسة وسمو العاطفة، والحق صادر عن صدق الدعوة و هما ما أكسباه عاطفة وإرادة تجلت واضحة في أسلوبه.

"والمتتبع لمقالات الشيخ عبد الحميد بن باديس يستشعر قوة في الكلمة وروحا في المقال، وعذوبة في العرض و سلاسة في الأسلوب و عمقا في المعاني وبعدا في النظر،

---

[1]- تركي رابح - الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- ط3- 1981م- ص 192.

[2]- رينيه ويليك و أوستن وارين- نظرية الأدب- ترجمة: محي الدين صبحي- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- لبنان- ط2- 1982م- ص 31.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ودقة في التفكير وسدادا في الفهم، و نصاعة في الاستدلال وقوة في الحجة"[1].

و إن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن الشيخ عبد الحميد بن باديس قد استكمل أدوات الكتابة في فنون كثيرة، وأهمها فن المقالة، وذلك بفضل تكوينه العلمي، وما يتصف به من صفات خُلُقية ونفسية رفيعة، وهمة عالية، وتفاعله التام مع الواقع الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري بخاصة، والعالم الإسلامي بعامة.

[1]- الزبير بن رحال- الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية- دار الهدى- عين مليلة- الجزائر- 1997م- ص 87.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ب – مقالة للشيخ محمد البشير الإبراهيمي:الإنسانية– آلامها واستغاثتها.

"الإنسانية تلك الأم الرؤوم التي لا تحابي واحدا من أبنائها دون آخر، و لا تميز بين بار منهم و فاجر، ولا تفرق بين مؤمن منهم وكافر، تلك الأم المعذبة بالويلات والمحن، من ويلات الحروب التي أتلفت الملايين، إلى ويلات الأمراض و الطواعين ، إلى ويلات الزلازل والبراكين، الإنسانية التي لو تمثلت بشرا لتمثلت بقول الشاعر العربي:

فَلَوْ كَانَ رُمْحًا وَاحِدًا لَاتَّقَيْتُهُ وَ لَكِنَّهُ رُمْحٌ وَثَانٍ وَ ثَالِثٌ[1].

عجب لهذه الإنسانية ! ما كفاها من مصائب الدهر تقاطع أبنائها وتدابرهم، ونصب الحبائل وبث المكائد لبعضهم بعضا. ما كفاها من مصائب الدهر أن يكون في أبنائها قوي يستعبد ضعيفا، و شريفا يستخدم مشروفا، ما كفاها أن تنقلب الحقائق على أبنائها المارقين العاقين، فيركبون مطايا الخير للشر، ويستعملون سلاح النفع للضر، ويتوسلون بالدين لجمع الدنيا. ما كفتها هذه المصائب المجتاحة، حتى ظاهرتها الطبيعة الجبارة على هذه الإنسانية المسكينة. بالله !أما كفتها الأرض حتى تظاهرها مصائب السماء؟

ألا فليرحم الإنسانيةَ من في قلبه رحمة، ألا وإن الإنسانية تستغيث، فهل من مغيث؟ وتستنجد، فهل من منجد؟

استغاثت الإنسانية قديما بأبنائها الصادقين على أبنائها المارقين. استغاثت من المفسدين لنظام الفطرة والعاملين على تفريق هذه الأسرة، فأغاثها الأنبياء والمرسلون والعباد الصالحون. و استغاثت من عباد المادة الحائدين عن الجادة ، فأغاثها أنصار الروح و المقدسون للروح والقائلون بخلود الروح. واستغاثت من أعداء العقل المفكر، وعباد الحس والمحسوس، فأغاثها الحكماء الربانيون والفلاسفة الإشراقيون . و استغاثت من طواغيت الاستبداد و قياصرة الاستعباد ، فأغاثها دعاة الديمقراطية و أنصار المساواة و الإنصاف، فما كاد المتنبي –واضع شريعة التمايز بين السادة و العبيد – يجف ثراه، حتى قيض الله له فيلسوف المعرة ، ناسخا لتلك الشريعة الجائرة و مبشرا بشريعة الأخوة السمحاء.

---

[1]- البيت للقاضي أبي بكر بن العربي- وهما بيتان لا ثالث لهما:
يهز علي الرمح ضبي مهفهف لعوب بألباب البرية عابث
فلو كان رمحا واحدا لاتقيته ولكنه رمح وثان وثالث
أورده: علي بن سعيد المغربي- المُغْرِب في حُلى المَغْرِب- تحقيق : شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة- مصر- ط4- 1993م- ج1- ص 255.
و صدر البيت الثاني : فلو أنه رمح إذا لا تقيته.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

واستغاثت من المشعوذين المحتالين، والممخرقين المبتدعين، والضالين المضلين، الذين يستغلون جهل الجهلاء، ويمتصون دماء البسطاء، البائعين للشفاعة، العابدين للوهم، المغترِّين بالأسماء و الألقاب وشهرة الأنساب، الوارثين لما لا يورث من التسلط على العباد بعظمة الآباء والأجداد، فأغاثها العلماء المصلحون وحزب الله المفلحون.

وهي الآن تستغيث من داهيتين وتستجير من غائلتين. ولا ندري متى تغاث؟ ولا في أي وقت تجاب ؟ هي تستغيث من داهية الحرب وتحكيم السيف في مواقع الخلاف. فمتى يقف عقلاء الأمم بين الصَّفَّين، موقف دعاة التحكيم يوم صِفِّين؟ لا ندري، ولا ندري لماذا لا ندري؟

وهي تستغيث من غائلة الفقر وشروره، وجيوشه التي يجرها من خراب العالم، لتخريـب معمـوره. فمتى يفقه أغنياء الأمم هذا السر فيعملون على اتقاء الشر؟ لا ندري، ولا ندري لماذا لا ندري؟

إنما الذي ندريه. ونقوله ولا نخفيه. هو أنه لو تساند أغنياء الأمم و مدوا أيديهم متعاضدين، وعرفوا كيف يحاربون الفقر باستجلاب الفقير والأخذ بيده ، لأحسنوا لأنفسهم وللعالم. ولو فعلوا ذلك لدفعوا عن العالم غارة شعواء تلتهم الأخضر و اليابس،

وشرا مستطيرا يستأصل. بل لو بذل أغنياء المسلمين ما أوجبه عليهم الإسلام من الزكاة. و عرف عقلاؤهم كيف يستخدمونها ،لقاموا ببعضٍ من هذا الواجب الاجتماعي.

هـذه نفثـة مصدور. وللنفوس ثورة ثم تسكن" [1].

[1]- الشهاب- المجلد: 06- الجزء: 01- الصادر غرة رمضان 1348 هـ الموافق لفيفري 1930م- ص 12-13.
و نشرت هذه المقالة أيضا في: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- جمع و تقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان- ط1- 1997م- ج1- ص 62-63.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

- **السمات العامة :**

كان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من المكثرين في فن المقالة، بل قد طغت المقالة على آثاره الأدبية أكثر من أي جنس أدبي آخر.

"وقد تعرض الإبراهيمي إلى كل ميادين المقالة الاجتماعية والسياسية والأدبية، التي تدخل في نطاق الحركة الإصلاحية في الجزائر، وكان الإصلاح آنذاك في الجزائر يعد ثورة ضد مشروعات الاستعمار الفرنسي، التي تهدف إلى جعل الفرنسية هي لغة الشارع، والبيت والمدرسة والإدارة"[1].

غير أن المتتبع لمقالاته في مجلة "الشهاب" يجدها قليلة جدا بل معدودة على الأصابع، و هذا راجع لكون الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كان ينشر بكثرة في مجلات وجرائد جمعية العلماء المسلمين بالدرجة الأولى، وبخاصة منها جريدة البصائر .

فالمتصفح لآثار الشيخ الإبراهيمي التي جمعها نجله: أحمد طالب الإبراهيمي يجد أن أغلبها هو مقالات في شتى المجالات والميادين ،في الأدب والسياسة والدين والاجتماع والتربية وغيرها.

وقد قال عنه عبد الله حمادي إنه " متن اللغة، وبحر العلوم، و غذي لبن العربية ، حيث العقول التي فطرت على القول السليم والإلهام الذي هو ابن البديهة وهو علم الأعلام، وناهيك به ذكرا في مجالس العلم والأدب"[2].

وأما عن سبب طغيان فن المقالة في أدب الإبراهيمي طغيانا بارزا على ما سواه من الفنون الأدبية ، فمرده إلى ما كانت تمثله الصحافة في زمنه من أهمية وما تؤديه من دور، لأنها كانت آنذاك الوسيلة الوحيدة لنشر الإنتاج الأدبي على نطاق واسع ويطالعها جمهور عريض، وكانت المقالة هي الفن الأنسب لأداء رسالة الإصلاح ، والأصلح للتعبير عن العواطف المتأججة وتفجير الطاقات الكامنة واستقطاب الملكات المبدعة.خاصة وأن اللغة العربية كانت تصارع لأجل البقاء ضد محاولة طمسها والقضاء عليها من طرف المستعمر،

[1]- أحمد دوغان- في الأدب الجزائري الحديث- مطبعة اتحاد الكتاب العرب- دمشق- سوريا- 1996م- ص 349.
[2]- عبد الله حمادي- مساءلات في الفكر و الأدب- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1994م - ص 144.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

باعتبارها أحد أهم مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية.

" و كان الإبراهيمي من أوسع أهل زمانه علما ومـن أشد الناس غيرة علــى اللغــة العربية ... وكتابة الإبراهيمي كتابة الأديب والمفكر الذي يمتاز أسلوبه بالرصانة ومتانة التعبير وصراحة اللهجة، وسداد المنطق وقوة الحجة"[1].

وقد كان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حريصا فيما يكتبه للنأي عن أفق الأشخاص إلى آفاق القضايا التي يعالجها ، وبخاصة حين يتعلق الأمر بالأفكار الكبرى التي تتصل بذاتية الجزائر، وتأصيل هذه الذاتية، ومقارعة المستعمر والتمكين لهذه المقارعة في نفوس الجزائريين.

"فمهمة الإبراهيمي لم تكن مهمة أدبية...ولكنه كان يضطلع بهدف أسمى وأعمق وغاية أبعد و أسمى، هي مهمة الرؤية الواضحة للإنسان الجزائري خلال كل هذه المعاناة التي عاناها...والتبشير بهذه الرؤية، والدعوة لها، وهي رؤية مركبة، لذلك كان لا بد لها من توضيح وتحليل ولا بد من رد اللون الواحد فيها إلى أطيافه الأولى، وتمييز أصولها وفروعها، ومعرفة ما هو أصيل فيها وما هو دخيل عليها، ما هو أوّلي وما هو ثانوي... ثم تقديم ذلك مقرونا بالحجة القوية والوضوح الفكري، معروضا في روائع من البيان إلى هذا الشعب، يجد فيه جذوره ونفسه، وتاريخه ومقوماته، ويتعرف إلى ذاتيته"[2].

إن الجزائري غيور على وطنه وحريته ومقدساته، يدافع عن كيانه بما لديه من وسائل، ورجال الأدب كانوا دوما خير قادة للشعب في السلم ومنافحين عنه في الحرب، فقد أيقظوا وعيه ووقفوا في تحديات مختلفة ضد المستعمر، وفضحوا أعماله الشنيعة. فأدبهم كان تحريضا وتحريكا للمواطنين وتأجيجا لجذوة سخطهم عليه.

"فالإبراهيمي إذن لم يكن يكتب مقالاته لغرض الكتابة والإمتاع، بل كان ملتزما بواقع مجتمعه، مهتما بقضاياه، حاملا رسالة الإعلام والإصلاح، والتربية والإرشاد، وتنوير البصائر وإيقاظ الهمم، جاعلا من أدبه عامة ومقالاته خاصة وسيلة فعالة للقيام بهذه الرسالة، فكان يستقي موضوعاته من واقع المجتمع الجزائري بصفة خاصة والمجتمع

[1]-حنا الفاخوري- تاريخ الأدب في المغرب العربي- دار الجيل- بيروت- لبنان- ط1- 1417 هـ - 1996م- ص 657.
[2]- شكري فيصل- قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي- مجلة الثقافة - وزارة الثقافة والسياحة - الجزائر- السنة 15 - العدد 87 - شعبان / رمضان 1405 هـ - ماي/ جوان 1985م - ص 170- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الإسلامي والعربي بصفة عامة، ويتخذ من الأحداث الجارية، والمشكلات القائمة كبيرة كانت أم صغيرة، قضايا للعرض والدراسة والتحليل بأسلوب أدبي يوازن بين العقل والعاطفة"[1].

و كان الأدب أحد الأسلحة التي اعتمدها الاستعمار، فكان يحاول من خلاله طمس معالم الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية المتميزة والميل بها عن جادة الصواب ، من خلال محاربة القيم النبيلة والتشكيك في الثوابت ، وتكريس الانهزامية لدى الجزائري المسلم، وقد كان أثر سلاح الأدب والكلمة أكثر فتكا بالنفوس و أشد خطرا من ذلك الذي تحدثه الأسلحة في الأجسام، فقد كانت الحرب الأدبية جزء من المعركة الحضارية الكبرى لكون الأدب خير معبر عن هموم الأمة وآمالها وآلامها، وأصدق ناطق بلسانها في فترات القوة والوهن على السواء.

"فالعمليات الأدبيــة إذن هي عمليات اجتماعيــة في مفهومها ووسيلتها، أو في موضوعها أو في جوهرها الذي هو محاولة يبذلها بعض الأفراد المتميزين، وذوي القدرات الخاصة من أجل فهم عالمهم الاجتماعي، وذلك من خلال صياغة العلاقة بين الإنسان وعالمه الطبيعي والاجتماعي أي واقعه بالمعنى الشامل"[2].

وهذا ما عبر عنه عباس محمود العقاد بقوله: "فالحياة شعور تتملاه في نفسك وتتأمل آثاره في الكون وفي نفوس غيرك. والأدب هو ذلك الشعور ممثلا في القالب الذي يلائمه من الكلام... فإنه لكل حياة أدب، ولكل أدب حياة، والمقياس الذي يقاس به كلاهما واحد لا يختلف في دلائله، وإن كان يختلف في وسائله"[3].

فالمسألة إذن تكمن في طرق التعبير ووسائل الصياغة الفنية لهذه الاهتمامات التي تتعدى الإنسان الفرد إلى المجتمع ، وقد تتعدى أحيانا هذا المجتمع إلى الإنسانية جمعاء، "فلا يتعرض الأدب لناحية دون أخرى من مهام الحياة الإنسانية، إنما يندرج تحت الأمور التي تتصل بالفرد الإنساني متكيفا مع نفسه و مع ما يحيط به من كائنات اجتماعية و بيئة

[1]- عبد الملك بومنجل- النثر الفني عند البشير الإبراهيمي- بيت الحكمة للنشر والتوزيع- العلمة- الجزائر- ط1- 2009م- ص 39.
[2]-كمال الدين حسين- المسرح والتغيير الاجتماعي في مصر- الدار المصرية اللبنانية- القاهرة- مصر- ط1- 1412 هـ- 1992م- ص 27.
[3]-عباس محمود العقاد- مطالعات في الكتب والحياة- المجموعة الكاملة- المجلد 25- الأدب والنقد-2 - دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة - بيروت- لبنان - ط1- 1403هـ - 1983م- ص 21.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

جامدة ومتحركة، حتى تطمئن النفس الإنسانية وتستقر الحياة الاجتماعية"[1].

و لا تتحقق هذه الأهداف إلا إذا طغت إنسانية الإنسان على أنانيته، وطغت روحانيته على ماديته.

و قد كان لمقالات الشيخ الإبراهيمي قيمة تاريخية وأدبية على قدر كبير من الأهمية لأنها أثبتت "أن الصحافة لا تعني العزوف عن رصانة الأدب ونصاعته، كما أثبتت أن في اللغة الأدبية العالية طريقا سويا للإعراب عن المشكلات السياسية والاجتماعية، وأن ما يحزب الناس في معاشهم وما يدور في مجالسهم مما يتصل بمصايرهم يمكن أن يؤدى بلغة عالية، وأن أصالة العربية شيء من هذا"[2].

ولا يمكن القول بأن أي عمل أدبي يحمل بين جوانحه قضية إنسانية إلا إذا عرف صاحبه أن الأدب ليس تعبير عن الحياة فقط ، ولكنه إبداع لها كذلك، فهو إضافة مؤثرة فيها، إضافة رؤيا، وإضافة اكتشاف تفضيان إلى تغيير فيها.

"ويكاد الأدب العربي الحديث في أغلبه يحمل أبعادا إنسانية تحررية، وذلك مرجعه إلى الظروف التاريخية الصعبة التي مرت بها الأمة العربية والتي تركت بصماتها واضحة على هذا الأدب"[3].

وقد عرف الأدباء العرب هذه الأهمية للأدب وغايته ،فأسهموا حقيقة في التعبير عن حياة المجتمع العربي خاصة، والإنسانية عامة، وحاولوا أن يوظفوا طاقاتهم الفنية في التغيير الفعلي والعملي للواقع إلى ما هو أفضل.

إن اهتمام الأدباء الجزائريين بقضايا وطنهم المحتل وشخصيتهم المهددة وحريتهم المسلوبة ، لم يثنهم أبدا عن الخوض في القضايا الإنسانية العالمية، ومن ذلك هذه المقالة التي أفردها الشيخ البشير الإبراهيمي للإنسانية وحالها التي آلت إليها، وكيف كان يجب أن تكون؟

---

[1]-محمد بركات حمدي أبو علي- في الأدب والبيان- دار الفكر والنشر والتوزيع- عمان- الأردن- 1984م- ص 25- بتصرف-

[2]- إبراهيم السامرائي- أصالة العربية في عيون البصائر- مجلة الثقافة- وزارة الثقافة والسياحة – الجزائر - السنة 15 - العدد 87 - ماي / جوان 1985م- ص 217-218.

[3]-نور الدين السد- القضية الجزائرية عند بعض الشعراء العرب- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1986م- ص 18- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و قد اختلف مضمون الأدب عن الرؤية التي حاولت حصره في جانب واحد من جوانب الوجود و مساحة ضيقة من القضايا الشخصية أو المحلية ، " وغدا في لبه إنسانيا رحبا، يقدم الحياة بطريقة واقعية، ويقدم نماذج تحضى بالإعجاب وتثير الخيال وتحقق الاتصال وجدانيا... فالنزعة الإنسانية ليست وليدة ظروف معينة، أو لتجديدٍ مقصودٍ ومتعمدٍ في أدبنا العربي، لأنها انبثقت من صميم الواقع الذي أخذ أدباؤنا يعانون فيه مشكلات الحياة والإنسان، فطرحوا جانبا شؤونهم الخاصة وأحلامهم الذاتية وأمزجتهم التي تملي عليهم ما شاؤوا من صور وتخيلات وأحاسيس ، واتجهوا ناحية الإنسانية يصورون بأقلامهم أماكن ومواطن التخلف والتقهقر والجهل والقهر ، التي تركت فيها شروخا عميقة"[1].

كان أدباؤنا على تفتح كبير في القضايا العالمية التي تعني الإنسانية جميعا ولا تعني شعبا دون شعب ، أو أمة دون أمة ، أو قومية دون غيرها من القوميات ، "و ليس سيئا أن يحس الأديب نفسه ملتحما بجميع الناس فيساهم في تحسين أحوال الإنسانية حين يرى ذلك ضروريا–وذلك دائما ضروري– فثمة أدب كبير هو أدب الصراع ورفض السيئات والتجاوزات، أدب ثورة وجدال، أدب يغير مجريات أمور عديدة"[2].

فالشيخ البشير الإبراهيمي في هذه المقالة الاجتماعية يتخذ من البعد الإنساني الذي يجيش في صدره محورا لها ، فهو لا يعالج ظاهرة تتعلق بالمجتمع الجزائري، بل ظاهرة تعم وتشمل الإنسانية كلها فيتناولها بالدراسة والتحليل، لأنه يجد حريته في التعبير والتصوير، فتتسع عنده ملامح الرؤية الاجتماعية إلى بني الإنسانية، وتتجلى التجربة الشعورية في المعاناة الذاتية حين يحاول الكاتب الإحاطة بالفكرة رغم اتساعها المطلق الذي لا يتقيد بقيود الزمان والمكان.

و " يحاول الكاتب أن يلتمس تعريفا لمعنى الإنسانية في مقدمة مقالته ويميل إلى أسلوب التجسيد والتشخيص، فيصورها أُمًّا عطوفا معذبة بأسباب شتى، تكابد كرب

[1]- مفيد محمد قميحة- الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر- دار الآفاق الجديدة- بيروت- لبنان- ط1- 1401 هـ- 1981- ص 40-41- بتصرف.
[2]- كلود روى - دفاعا عن الأدب- ترجمة: هنري زغيب- منشورات عويدات- بيروت- لبنان- ط1- 1983م- ص 43- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الحرب والمرض والجائحات المختلفة، كما يصورها تدافع وتقاوم، وتطلب أسباب المناعة في خضم الأحداث والمصائب."[1]

و هو يعرض كل هذا في أسلوب بسيط لكنه متين السبك غني بالصور الفنية والبديعية والبيانية، حيث يغترف من معين البلاغة، فيتبع تقاسيم السجع، وأساليب الطباق، وهو لا يلفق ذلك تلفيقا غير متآلف بل إنه ينحته نحتا من مذهب فطرته العربية، ومن تضلعه في فنون العربية حيث ينسجم التركيب ويطرد السياق، ومما لا يغفل هو استشهاده في مواضع كثيرة بالقرآن الكريم أو بالحديث النبوي الشريف أو بأشعار العرب، سواء ذلك بإيرادها مباشرة في النص أو بالاقتباس والتضمين والتلميح أحيانا.

وتأتي أفكار الكاتب في فقرات مقالته مترابطة مقسمة تقسيما دقيقا، تتخذ من أسلوب التعجب والاستفهام أدوات لضبط هذا البناء وجمع أقسامه.

ثم إنه يتحدث عن المصائب التي اعترت الإنسانية ، و كيف أنها تستغيث و تستنجد ، فهي دائما تستنجد وتستغيث بأبنائها البررة الصالحين لحمايتها من أبنائها الفجرة المارقين.

و في تدرج منطقي يسير الكاتب مع أفكاره في نسق منظم فيخلص من فكرة إلى فكرة أخرى في غير خلل ولا نشاز، وهو يعمد إلى تكرار ألفاظ بعينها مثل (استغاث)، وهو تكرار مقصود يتعمده الكاتب، لأنها تعتبر اللفظة الدالة على الفكرة المحورية للمقالة ، و هي استغاثة الإنسانية التي تؤدي إلى تجسيد الصراع الطبيعي بين الخير والشر والصلاح والفساد.

و على بساطة الأسلوب، فإنها لا تخلو من تصوير جمالي أضفى عليها مسحة من الخيال الفني وما تؤدي إليه من إيحاء وتلميح رغم وجود بعض المباشرة والتصريح، والمتمثل في إيراد حقائق تاريخية حول ما عانته وتعانيه الإنسانية من ويلات.

[1]- محمد عباس- البشير الإبراهيمي أديبا- ص 154.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ثم إنه يناقش مراحل سير الإنسانية في ضوء الماضي والحاضر، فيصف الإنسانية مثقلة بعبأين كبيرين هما الحرب والفقر، "وقد يدرك الدارس عنصرا مهما في الأسلوب، قوي الدلالة في هذه الفكرة، ويجليه في قوله وهي الآن تستغيث... ولا ندري متى تغاث؟ و ضمير المتكلم، يعني من الوجهة النقدية الأدبية حضور الشخصية في المشاركة الانفعالية، ولعل هذه المشاركة الانفعالية تبدو في التساؤلات التي يطرحها الكاتب من حين إلى آخر، في استفهامات متكررة: " متى؟ ولماذا؟ كما تظهر جملة تتكرر عن قصد بفعلها المنفي: (لا ندري، ولا ندري لماذا لا ندري)، وكأن هذه الجملة تمثل اللازمة في المقالة، شأنها في ذلك شأن اللازمة الشعرية ، أو أنها اللغز الذي حير الكاتب".[1]

ثم إن الكاتب يفك هذا اللغز في خاتمة مقالته، من خلال وضع الحلول التي يراها ناجعة لهذه الغوائل والدواهي التي ألمت بالإنسانية، وهي المعضلات التي تعصف بها وتكاد تقصم ظهرها، وقد اكتفى بمعالجة مشكلة الفقر دون الحرب، وذلك ربما راجع لاهتمام الكاتب بالجانب الاجتماعي أكثر من غيره، فقد كان يسعى إلى طرح مشكلة الإنسان بين الغنى والفقر وفي صراعه مع الحياة، كما أنه قد تناول مشكلة الحرب منفردة في كثير من مقالاته السياسية.

"وقد حافظ الكاتب في مقالته على وحدة الموضوع وسلك مسلك التنقل المنظم المنسق بين كل فكرة وفكرة، بطريقة يعتمد فيها على عملية طرح الأسئلة، وتتبعها بالأجوبة الملائمة، وتظهر عناية الكاتب بالتحليل الاجتماعي للفكرة العامة التي طرحها على بساط المناقشة وجَزَّأَها إلى وحدات فكرية، حيث أنه ينتقل في تحليله للأفكار من العام إلى الخاص، فهو يتناول مشكلة الإنسانية بإسهاب عبر مراحل التاريخ إنساني وينتزع لها الشواهد منه، وما واجهها في الماضي من تصدعات مضنية وتضحيات مفدية، ومن حرب شنعاء وفقر مدقع في الحاضر"[2].

كما حرص الكاتب على تقوية المعنى الذي يسعى إليه،و عمد إلى الاسترسال أحيانا ، لكنه استرسال لا يزعج السياق الأدبي و لا يؤثر على وضوح المعنى و يحاول دائما المواءمة قدر الطاقة بين مقتضيات التعبير الفني وبين التزامه الاجتماعي.

---

[1]- المرجع السابق - ص 158-159.

[2]- المرجع نفسه - ص 159-160- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

" فهو بخاصة في مقدمة مقالته يسلك سبيل علماء الاجتماع في تنظيرهم للظاهرة الاجتماعية، ولكنه يصبغ على الظاهرة مسحة أدبية، تجعله يختلف مع هؤلاء العلماء في الأداء الفني للفكرة، وبهذا الأداء يخرج موضوعه عن دائرة المقال العلمي المحض إلى المقال الأدبي الذي يهتم فيه صاحبه بالصقل... وتكمن صعوبة هذه الكتابة في ناحيتين، في الناحية التي يحاول فيها صاحب المقال أن يجعل الحقائق التي يتناولها قابلة للتصديق، وفي الناحية التي يتوجب عليه أن يراعي ذوق القراء... ومن هذا المنطلق استطاع الإبراهيمي أن يجمع في مقالاته بين شخصية الأديب وشخصية الصحفي".[1]

و لهذا فهو يقدم الحقائق المجردة في صورة فنية وأدبية جميلة وأسلوب أدبي راق، مما يُكَوِّن وحدة فنية تكون فيها علاقة التحام بين الشكل والمضمون، فيُخْرِج لنا أدبا ذا قيمة نفعية بغاية هادفة في أسلوب قوامه الألفاظ المنتقاة والتراكيب المنسجمة والفقرات المتسقة.

"و في هذا الإطار نجد نصوص الإبراهيمي المقالية زاخرة بالكثير من المقومات الجمالية بدءا بالبناء العام، وانتهاء بالعناصر الأسلوبية البسيطة، مرورا بالتراكيب الجميلة".[2]

و لا بد ألا يثير هذا علاقة الشكل بالمضمون، التي كانت علاقة جدلية على مر العصور ، حيث جعلت من المادة الأدبية و أشكالها المجردة موضوعا للتقاليد الأدبية المتمثلة في دور التراث الأدبي ضمن العملية الإبداعية، "فالأديب وسيلته هي اللغة، ومن ثم لا بد أن يخضع لقواعدها وأصولها وما تقتضيه ملكتها، هكذا يولد النص الأدبي الذي تنتظم التراكيب فيه... على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي"[3].

وإن الدراسات الأدبية خلال تاريخها " كانت ولا زالت تتأثر بالدراسات اللغوية إذ تستعين بها على الدوام من خلال مقارباتها النقدية التي تتطور بتطور هذه الدراسات اللغوية"[4].

---

[1]-المرجع السابق - ص 162-163.

[2]-عبد الحميد بوزوينة- بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي - دراسة وصفية تحليلية فنية - ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1988م- ص 07.

[3]- عبد الحميد بواريو- منطق السرد- دراسات في القصة الجزائرية الحديثة- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1994م- ص 07.

[4]- أحمد يوسف- القراءة النسقية- سلطة البنية ووهم المحايثة- منشورات الاختلاف- الجزائر- ط1- 2003م- ج1- ص 69- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ولعل أول خاصية تبرز في مقالات الإبراهيمي هي خاصية الجمع بين الجمال الأدبي في الصياغة والتعبير عن الأفكار والحقائق.

"حيث لم يكن الإبراهيمي يعنى بتصوير الواقع ومعالجته كما هو بأسلوب مباشر تتغلب فيه الأفكار والحقائق على العاطفة والشعور، وإنما كان يجمع بين التعبير عن الواقع ومعالجة قضاياه وبين الجمال الأدبي في الصياغة، فتأتي المقالة مفيدة وممتعة في آن واحد، وغالبا ما لا تتضح الفكرة إلا من خلال النص كاملا، مما يشد القارئ ويجعله يتلهف إلى معرفة ما يريده الكاتب... وهو في ذلك يوائم بين الموضوعية والذاتية ويطابق بين المعنى والمبنى، وهذه الميزة عند الإبراهيمي تتعدى المقالات إلى غيرها من كتاباته نثرا وشعرا "[1].

وفي هذا المعنى يقول عبد الله الركيبي: "فهو يجمع بين العناية بالصياغة وبين التعبير عن العاطفة والشعور المتقد، كما يجمع بين الفكرة الإصلاحية في مضمونه وبين الجمال الأدبي في تعبيره، كما يعنى بالصور البيانية بشكل جلي، وتظهر الثقافة العربية بمختلف فروعها وتنوع منابعها في لغته وأسلوبه، وهو من الكتاب الذي يحتفلون بالقالب اللغوي، ويصبون فيه خواطرهم وأفكارهم، فاللغة عنده ليست فقط وسيلة ولكنها هدف أيضا"[2].

ثم يضيف متحدثا عن أثر هذا الاهتمام البالغ باللغة في أسلوب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: "ومن ثم فإن أسلوبه يمتاز بهذه الصياغة الخاصة التي تراعي التوليد في المعاني والصيغ، وتهتم بالاستعارة اهتماما شديدا، وبالمجاز بصورة تجعل من أسلوبه ميزة خُصَّ بها، كما أن المقابلة بين المعاني والجمل من خواصه التي تَفَرَّد بها بين كتاب النثر الجزائريين، وقد ساعده على ذلك، اطلاع واسع على عيون الأدب العربي وأمهاته، كما ساعدته حافظة نادرة تختزن ما تقرأ وتلتقط ما تسمع"[3].

غير أن عبدالله الركيبي يعيب على الشيــخ الإبراهيمي نقص الخيال في نثــره، وأنه

[1]-محمد مهداوي - البشير الإبراهيمي- نضاله وأدبه- دار الفكر- دمشق- سوريا- ط1- 1408هـ- 1988م- ص 132- بتصرف.
[2]- عبد الله الركيبي- تطور النثر الجزائري الحديث- 1830م- 1974م- ص 149.
[3]-المرجع نفسه - ص 149.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

لو كان له خيال واسع لصار من نوادر كتاب النثر الجزائري الحديث، فيقول:

"ولو أنه أوتي خيالا قويا، لكان من نوادر كتاب النثر الجزائري الحديث، إنك تقرأ له المقال، فيسيطر عليك بلغته و أسلوبه وحضور بديهته وقدرته على تصريف الكلام، ولكنك تحس بأن هذا الأسلوب ينقصه قدر من الخيال، لا الخيال الذي يحلق في اللانهاية، ولكن ذلك الذي يساعد على تركيب الصورة الأدبية غير اللفظية، فالصورة اللفظية بنت اللغة والحفظ، والصورة الأدبية الخيالية بنت التركيب والتأليف بين الجزئيات، وهذه الصورة هي التي تسحر وتبهر وتدهش"[1].

و هو لا يتناقض مع ما قاله سابقا بأن أسلوب الإبراهيمي يمتاز بجودة الصياغة والاهتمام بالصور البيانية والمحسنات البديعية في مقالاته، ولكنه يرى أنه يفتقد للعمق في تلك الصور مما يجعلها حبيسة الألفاظ ولا تتعداها إلى التراكيب.

"صحيح أن الإبراهيمي، يدهشنا بصوره البيانية ولكنه لا يدهشنا بصوره الخيالية التركيبة إن جاز التعبير، وصحيح أنه يدهشنا بإلمامه الواسع بالقضايا التي يعالجها في مقالاته. ولكنه لا يدهشنا بالفكرة التي تدفعنا إلى التأمل الطويل، فهو من نوع الكتاب الذين ينفسون عن غيظنا وعن عصبنا، ولكنه لا ينفس عما في أعماقنا من صراع وصدام بين قوى النفس المختلفة، فهو لا يفجر فينا هذا الصراع ولكنه يضيف إليه صراعا آخر، وهذا لون من ألوان الكتابة، ونوع من الأساليب التي تلعب فيها الملكة دورا كبيرا، وكذلك الثقافة والبيئة والظروف المختلفة"[2].

فعبد الله الركيبي يرى أن الإبراهيمي في أسلوبه يهتم بالصياغة البيانية لا بالفكرة العميقة، وهذا رأيه وله فيه حجج.

أما محمد مهداوي فيرى أن الأمر متوازن عند الشيخ الإبراهيمي بين الفكرة والأسلوب فيقول: "إذا كان البيان هو أبرز ناحية من نواحي عبقرية الشيخ في كتاباته عامة، إذ يلبس خواطره ألوانا قشيبة من البيان، فإنه لم يكن يترك العنان لقلمه يكتب ما يشاء، في ثورته وهيجانه وانفعالاته، وإنما كان يكسو تلك الخواطر بقواعد الفكر والمنطق، فتجئ

[1]-المرجع السابق - ص 149.
[2]- المرجع نفسه- ص 150.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

مقالاته منظمة مرتبة، فلا تطغى فكرة على أخرى، إذ نجد لكل مقالة عنوانا يتناسب ومحتواها، تعرض عرضا فنيا متسلسلا، من المقدمة إلى العرض فالخاتمة، فضلا عن تقسيم الموضوع إلى فقرات تيسر على القارئ متابعة الفكرة والإحاطة بأجزائها."[1]

وكثيرا ما يلجأ الإبراهيمي إلى موازنة الشيء بما يقابله لتوصيل أفكاره إلى القراء، كما كان للسخرية حيز بارز في مقالاته وبخاصة النقدية منها حيث يعمد إلى التهكم والسخرية في نقده للقضايا الاجتماعية والمظاهر التي كان يحاربها.

[1]-محمد مهداوي- البشير الإبراهيمي- نضاله وأدبه- ص 139- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ج- مقالات البشير العلوي (طولقة):

1-المقالة الأولى:نظرة في جمال الكون (النفس الشاعرة) .

"إن للناس في هذا الوجود، ميولا وغرائز، وكل تذهب نفسه إلى ما قدر لها في هذا الكون إلى غاية لا تدرك، وتسير بفطرتها طبق النواميس الطبيعية، بؤسا وشقاء، سعادة وهناء.

هذه مادية؛ لا ترى لذة العيش الناضر والسعادة الحقة إلا فيما تحصل عليه أثاث ورياش، وما تنطوي عليه من الزخرفة الواسعة والترف المتناهي.

وتلك، شاعرة نورانية. قد أضناها التفكر وأنحلها النظر، فكانت كالريشة في مهاب الرياح العاصفة، تقذفها عوامل الوجدانات في أجواء الخيال الرائع فتغدو في رياضه البديعة، وتتغلغل بين أزهاره و جداويله طربا و مرحا فترجع وهي بحلة أرجوانية، وغلالة بنفسجية يتألق بجانبها وِسَامٌ وَرَسي، يأخذ نوره بالأبصار.

هذه النفس اللطيفة- وإن أرسلت نحوها الأيام نظرة شزراء، وسدد إليها الدهر سهامه- فلا تبرح تفسح لها، صدرا رحبا، وتستقبل وجهه العبوس بثغر باسم، وقلب هاديء، لا تضعضعه طوارق الدهر، ولا تفله عوامل الأيام.

وإن أعظم وسيلة تمت بها إلى قلبها. أن ترى منظرا طبيعيا، تتلألأ أزهاره، وتتدفق أنهاره، وتصدح حمائمه على أعواد الزنبق، فتحدث أنغاما بديعة، وألحانا مطربة، تتردد نبراتها في آذان المستهام فيتخيلها زفرات الفراق المتصاعدة، أو عبارات الأشواق المتبادلة.

ثم يندفع بها النظر، فترى الشمس تنحدر رويدا رويدا إلى الغروب، حيث هي مكتسية ثوبها الأخير، ومختفية تحت ردائها العسجدي. كأنما شعرت بطلائع الليل قد أقبلت، ومواكب الظلام جاءت يتلوا بعضها بعضا.

وترى الأصيل يرسل أشعته العقيقية على قمم الجبال الشماء. كأنها بنود الأفراح الخافقة على قرون المنشآت، ويمد آخر خيوط منه على سطح ماء النهر الرجراج؛ كأن الطبيعة آخذة في تحليل أجزاء كيماوية لترسم على صفحات الكون منظرا شعريا، وتذكارا جميلا.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ثم تأخذ تلك الأشعة الساطعة تتكسر شيئا فشيئا وتضمحل قليلا قليلا، ريثما تبيت طلعة الشمس المشرقة رهينة عينها الحمئة.

فعندئذ يسود السكون، فيصبح الجو قاتما، والطبيعة مكفهرة، و الليل سادلا حجبه الغدافية على جنبات الفضاء كأنما يحمل بين أطوائه سرا مكنونا لا تدركها الأبصار، ولا تحيط به الأنظار.

فكانت تلك النفس حينما تمر عليها مثل هذه المناظر الطبيعية، والمآثر الكونية، تظهر بوارق السرور تلمع على محياها، ويأخذ شعاع الأمل يتسرب إلى قلبها، فيملأ فضاءه نورا، ووحشته أنسا، وهمومه أفراحا.

ويهيجها مرآى البحر، فتضطرب لاصطخاب الأمواج الثائرة، وحفيف الشجار الملتفة، وتناثر الأوراق من أغصانها، فترى في ذلك حكمة بديعة، ومعنى دقيقا تتوقف عن معرفة كنهه العقول.

وكثيرا ما يجف قلبها، وتخفق مشاعرها بمرور النسيم العليل، فتستنشق في أريجه، نفحات الغرام، فتخاله بريد المحبوب يحمل رسائل الأشواق.

فهنيئا لك أيتها النفس الشاعرة، والروح النورانية الطاهرة، ومريئا لك هذا الحب الشريف، الذي أشرق في قلبك، وتغلغل في أحشائك.

فسيري في كل أرض، وطيري في كل سماء، وحلقي في كل جو، وغردي على أفنان الجمال حيثما طاب لك التغريد، فكفاك بالطبيعة حسنا، و بالحب شرفا وبالخيال عزاء.

واسلكي ذلك السبيل البين؛ سبيل السعادة الحقة والحياة الخالدة، سبيل الحب والغرام؛ تَفَيَّئِي ظلاله وعيشي في كنفه، فهو الذي يرتقي بصاحبه إلى درجات الكمال، ويعلو به أسمى مراتب الإنسانية.

واسألي ربك، و ارفعي إليه أكف الدعاء، عسى أن يبدلنا من هذه المشاعر الحساسة والقلوب الخفاقة، أفكارا جامدة وآذنا صماء. نستطيع بها العيش في هذا العالم المظلم.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الذي عمت فيه المفاسد و الشرور، والرذائل والآثام. أو يرسل السمـــاء، فيسقط علينـا حجارة. فإننا في حاجة إلى النعيم المقيـم، أو العـذاب الأليـم"[1].

- **السمات العامة:**

وردت هذه المقالة في باب: صفحة الأدب، وقد كان عنوانها نظرة في جمال الكون (النفس الشاعرة) – للكاتب الفنان ، ومن المعلوم أن مجلة "الشهاب" كانت ملكا لابن باديس، و لهذا كـــان كثير الكتابـــة فيها ، و كذا التعليق على ما ينشر فيها مما يرد إليهـا أو تنقله عن غيرها من المجلات والجرائد أو الكتب، فهو هنا يصف الكاتب: البشير العلوي، بالكاتب الفنان، وهذا تنويه منه على شاعريته وتمكنه من الكتابة حتى صار يتفنن فيها تفننا.

و تندرج ضمن المقالة التأملية التي تشمل الكون والحياة والنفس الإنسانية وما يحيط بالإنسان ، وذلك من وجهة نظر الكاتب، وهي تتطلب من الكاتب نظرات عميقة تتحرر من قيود المادة، لتنطلق في عالم روحي، وتسبح في جو مشرق، لتتلمس الحقيقة في واقعها ، مجردة من زخارف المادة وعلى هيئتها الصرفة ، ليتعرف على أبعادها و يسبر أغوارها في أسلوب موحي ونظرة موغلة في العمق.

" ولعله مما يعرفنا بنفس هذا الأديب المرهفة، وما فطرت عليه من نزعة تأملية، هو هذا المقال الذي يحدثنا فيه عن الفرق بين النفس الشاعرة والنفس المادية، وكأنه يحدثنا في ذلك عن نفسه"[2].

ويمضي الكاتب في وصف أحاسيس النفس الشاعرة أمام كل خاطرة من خواطر الطبيعة ، إلى أن يصل إلى مرحلة يملأها الأسى والحسرة ، عندما يقول معرضا بمأساة الجزائر التي لا تزال تحت وطأة الاستعمار القاسي، وويلاته: "اسألي ربك، وارفعي إليه أكف الدعاء، عسى أن يبدلنا من هذه المشاعر الحساسة والقلوب الخفاقة، أفكارا جامدة وآذانا صماء نستطيع بها العيش في هذا العالم المظلم، الذي عمت فيه المفاسد والشرور والرذائل والآثام...".

[1]-الشهاب- المجلد: 06- الجزء: 08 - الصادر غرة ربيع الثاني 1349 هـ الموافق لسبتمبر 1930م- ص 555-557.
[2]- محمد ناصر- المقالة الصحفية الجزائرية- نشأتها- تطورها- أعلامها من 1903م إلى 1931م- ج2- ص 180- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

إنها ظلمة وظلم الاستعمار ، والنفس كلما كانت مرهفة الإحساس كان عذابها أشد ومعاناتها أكبر، فكيف إذا كانت ترزأ تحت بطش و اضطهاد و قمع استعمار وحشي ليس لأي شعور إنساني مكانا عنده.

كل ذلك في لغة رقيقة وأسلوب مؤثر، فهو يرسم لنا تأثير الخارجي على الداخلي في نفس الإنسان ، واختلاف هذا التأثير تبعا لطبيعة النفس ، فإن كانت مادية فهي جامدة لا تستجيب إلا للمؤثرات المادية، أما إن كانت شاعرية فإن أبسط النسمات تثير فيها أحاسيسا من الحب والشوق والجمال، وتنتقل من ملاحظة ومشاهدة هذه المناظر والظواهر الكونية الطبيعية إلى الامتزاج بها و التماهي فيها ومناجاتها.

ويصدق فيه قول محمد مزالي: "الكتابة إذن إبراز للوجود وتحقيق للممكن وكشف عما كان مجهولا ، و دعوة للعقل حتى يفكر فيما لم يفكر فيه من قبل، ويدرك من الأشياء ما لم يدركه ، ولم يخطر له أن يدركه"[1].

وما من نظرية تستطيع أن تستنفد كل المعاني والقيم الكامنة حتى في عمل أدبي واحد، " فالعمل الأدبي لا يكف عن إدهاشنا بما لا نتوقعه منه، وإلا كف عن كونه عملا أدبيا"[2].

وهذه المقالة التي بين أيدينا تتبدى كأنها عصية عن الإحاطة بكل ما فيها من شحنات وجدانية وإشراقات شعورية ، بل الأمر لا يعدو كونه مقاربات تسعى باستمرار لسبر الأغوار والوقوف على المكنونات، وذلك لأن تفسير النص أو تحليله هو عملية "سبر حياة النص الأدبي... أي عملية فهم الحياة من خلال منظور أدبي... أي إعادة قراءة الحياة والوجود من خلال اللبنات اللغوية التي تشكل النص من رؤية الكاتب"[3].

فكل قارئ إذا تأثر بالنص الأدبي و تفاعل معه ، لـه أن يفهمـه وفـق معطيـات بيئتـه و عصره و مشاكل زمنه ، لأن " النص الأدبي يأخذ استقلاله مباشرة بعد ولادته، وتبقى كل

[1]- محمد مزالي- دراسات- الشركة التونسية للتوزيع- تونس- ط2- 1984م- ص 103.
[2]-جابر عصفور- نظريات معاصرة- دار المدى للثقافة والنشر- دمشق- سوريا- ط1- 1998م- ص 310.
[3]-شايف عكاشة - مدخل إلى عالم القصة القصيرة الجزائرية- قراءة مفتاحية - منهج تطبيقي - ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1988م- ص 01- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

القراءات التي تفحصه مجرد نظرات عابرة ذات مفاهيم نسبية"[1]، وعليه لا يمكن الجزم بأن النص معناه كذا أو كذا، أو أن الكاتب يقصد كذا دون غيره.

فالمقالة التأملية السابقة لها دلالات خصبة تتوالد مع الأحداث وتتناسخ عبر تواتر الأزمنة، فكما كانت صالحة في زمن الاستعمار فإنها لا تزال صالحة في أزمنة أخرى شهدت وتشهد ظروف مماثلة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا.

2-المقالة الثانية: نسمات الخريف .

"الآن أستطيع أن أنام نوما هادئا، لذيذا تذهب فيه نفسي إلى ما وراء عوالم الحقيقة، وتطير طيرانا في أسراب من حمائم الأحلام إلى سماء الخيال، فتهيم ما شاءت أن تهيم، فتخترق في صعودها أديم السماء، وحجاب الهواء، فتشرف على ما يكنه الغيب في أحشائه، ويضمره الكون بين أكنافه فتحضى بمرآى تلك المشاهد الكونية العظيمة، والمناظر الجذابة الساحرة ،وتشعر بجمال ما غمرها من تلك المحاسن، وبهجة ما حفها من تلك المظاهر، بسرور عميق و ارتياح شديد وغبطة نادرة.

و إن كل ما تستطيع أن تراه نفسي، وتغتبط به في فضاء هذا الخيال الفسيح البعيد الأطراف المترامي الجهات، تعجز أن تناله في مخادع (الحقيقة) الضيقة، ذات الأبخرة المختنقة والجراثيم الفتاكة. فترجع نفسي من سياحتها الليلية، فرحة مرحة، لا ينبعث في جوها غيم، ولا يتلبد في سمائها سحاب، ولا تزعجها تلك اللواعج الصيفية، و اللوافح الجهنمية، والسهام السعيرية المحرقة التي اعتاد الصيف إرسالها من كبد قوسه الناري، فتصبح نفسي في نسيم فاتر، وهواء طلق، وهبوب عليل، يفيض فيوضا ويتدفق دفوقا، وعليها مسحة من جمال ذلك الموقف الرائع والمشهد البديع.

وما ذلك إلا نسمة من نسمات الخريف اللذيذة، التي يرسلها الخريف عنوانا صادقا على ما ينطوي عليه من رحمة وحنان، وشفقة وإحسان؛ ويشعرنا أنه لا يقل عن أخيه الربيع، نسيما و ظلالا ، و لا ينقص عنه ثمارا و اعتدالا .

---

[1]-شايف عكاشة - مدخل إلى عالم الشعر المعاصر في الجزائر- قراءة مفتاحية - منهج تطبيقي - ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1988م- ص 03 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

عرفتك أيها الخريف

إنك ذلك الفصل الجميل، الذي امتاز بين الفصول بأياديه البيضاء، وما أسديته من خيراتك ونعائمك، وما بعثته من الأمل والرجاء في قلوب البؤساء المحرومين.

وعرفتك: إنك المزدهر برياضك وأزهارك، والمتبهرج بخرير جداولك، وهدير أنهارك.

ولكن يزعجني ما أره من تجرد أغصانك، وذبول أوراقك وغياب أطيارك، فكأنما حالتك هذه تشعرنا بشقاء مقبل، وويل عظيم.

أيها الخريف الجميل !

ما لي أرى وجهك ترهقه فتـرة وانقباض؟ ومالي أرى جسمك كل يوم يزداد ضعفا ونحولا؟ ومالي أرى ابتسامتك العذبة التي كانت تلمع أنوارها على محياك الأزهر في وجوم وجمود؟ ومالي أرى نواصي غصونك، وهامات فروعك التي كانت تتلألأ، تلألأ النجوم بين أشكال الغيوم، حاسرة الرؤوس خائرة القوى مضعضعة الجانب، منهوكة الأوصال؟ فكأنما تندب من قضى، أو تتحسر على شيء مضى !

يعز علي أيها الخريف الجميل، أن أراك على هذه الحالة المحزنة، بعد ذلك الظلال الوارف الظليل، ويؤلمني جدا، أن انظر إلى أعاليك وهي تتهافت تحت ضربات الطبيعة القاسية، وأنت واجم مستسلم لا تحرك ساكنا، ولا ترد عنك نائبات العوادي. فكأنما شعرت أنك أمام قصاص مقدس، لا مناص من الرضوخ لنوازله، والإخلاص لنوائبه.

أملي فيك أيها الفصل الجميل، أن تلبث بيننا طويلا. لأستطيع أن أبثك ما تنطوي عليه سرائري من جراحات وكُلُوم، وما تحويه ضمائري من أوضار وهموم، وأحدثك بكل ما أضن به عن كل أحد سواك.

لأنني:

أَرَى فِيك مُتَّسَعًـــا لِخَيَالِـي وَمَبْعَثَ وَحْيٍ رَفِيق الشُّعُـــور

وَفِيكَ أَرَى صَبْوَتِي وَغَرَامِي وَفِيـكَ يَنَابِيـعُ شِعْرِي تَفُـــور

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وأرى فيك من جمال الكون، ومآثر الطبيعة ومظاهر آيات الصانع وحكمته، ما يجعلني أطلق للروح زمامها، فتطير إلى عوالم من التصورات، فهناك أشعر بلذة عظيمة لا يستطيع قلبي أن يرسم صورتها على صفحات القرطاس، فأتمنى لو أنني أبقى على ذلك ، ويكون خيرا من العالم وما فيه؛ لولا ما يكدرني في بعض الأحيان من صوت الإنسان.

ولقد كنت أشبه شيء بأولئك الروحيين الذين ينعمون بتلك السعادة الوهمية المنبعثة لهم من خواطر التصورات، وتذهب بهم التمارين الرياضية إلى ما وراء عقولهم، فيشاهدون ويرون مالا وجود له في سوانح الخيال، وإن كانوا بعيدين عن مهيع الحقيقة بأميال.

وهنا يظهر الفرق بيننا جليا؛ كظهور الغزالة بعد الضحى، لأنهم تفكروا في ذات الله؛ فهلكوا. وتفكرت في خلقه ، فكنت من الناجين.

أيها الفصل الكريم !

دمت بهجة للناظر، ووحيا لشعور الشاعر، ومتنفسا لآلام كل بائس، ورجاء لكل قانط ويائس؛ و لا تذهب نفسك حسرات على ما ذهب من عزيز أيامك، لأن الأيام دول تدول، وحال تحول، ولست بأول فصل أذاقه الدهر من العيش مرارته، ومن الحياة بؤسها وشقاءها، فعما قليل تنقشع تلك السحب المربدة، وتتبدد تلك الغيوم المتكاثفة على ذلك الجو القاتم، ويتنفس فجر الأمل الصادق في ظلام اليأس والقنوط، فيرجع لك سالف مجدك الغابر، وتعود لك تلك الأيام الجميلة، وعهودك الزاهرة.

فَتَضْحَى كُؤُوسُ اللِّقَا صَافيَّات وَمِنْ سَلْسَبِيل الهَنَاء مُتْرَعَات

هُنَالِكَ تَحْضَى بِعَيْشٍ رَغِيـــد وَتُصْبِـحُ أَنْجُمُنَـا لَامِعَـــات" [1]

[1]-الشهاب- المجلد: 09- الجزء: 12 - الصادر غرة رجب 1352 هـ الموافق لنوفمبر 1933م- ص 536-538.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

- **السمات العامة:**

نُشرت هذه المقالة أيضا ضمن باب "صفحة أدب" ، وقد سمى الشيخ عبد الحميد ابن باديس كاتبها البشير العلوي بكاتب الطبيعة اللطيف، بعدما وصفه في المقالة السابقة بالكاتب الفنان.

و هي مقالة وصفية تأملية ، فالكاتب يلجأ إلى مظاهر الطبيعة – وهي هنا فصل الخريف – فيصفها وصفا ظاهريا يكسوه بحياة خاصة تتعلق غالبا بهموم الكاتب أو مجتمعه أو وطنه، وهو وصف غير عادي و لا مألوف بل هو رؤية الكاتب لهذه الطبيعة ، وهي غير رؤية المشاهد العادي الذي لا يقف على الطبيعة إلا عند ظواهرها السطحية.

"فالأدب له طريقته الخاصة التي يرتاد بها التجربة الإنسانية ويعيد تكوينها، ويبحث فيها عن معنى وهو يرتاد هذه التجربة بتعقيدها وغرابتها... تجربة الأفراد، والأفراد في جماعات، والفرد في صلته بالعالم الطبيعي، ثم يعيد تكوين نسيج هذه التجربة، لينظر الناس من خلاله (الأدب) إلى الحياة بكل ما يملكونه من ضعف وأمانة وتعمق ويضعون فيه رؤاهم، فالأدب يرتاد التجربة الإنسانية ويعيد تكوينها وتنظيمها على نحو فريد مميز"[1].

فلا بد أن يكون الأديب وليد عصره وبيئته، وبغير ذلك يكون تصويره للحياة والطبيعة الإنسانية ضعيف الأثر ضئيل القدر، بعيدا عن قضايا العصر، ومنعزلا عن مصائر البشر، بل عليه أن يهتم بالجوهر الثابت والمبدأ العام المستخلص مما يجري في الزمان والمكان بعيدا عن المناسبات والمتغيرات الطارئة، وهذا من خلال شعور صادق ينتج أدبا مثمرا، و" الصدق أو الشخصية الأدبية هما معياران وجهان لعملة واحدة كما يقولون، فكلاهما يفضي إلى صاحبه، ذلك بأن الشخصية الأدبية لا يظهرها إلا الصدق

[1]- جورج ستينير و آخرون- حاضر النقد الأدبي- مقالات في طبيعة الأدب- ترجمة: محمود الربيعي- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر- 1998م- ص 49- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

في التعبير عنها، والصدق في التعبير لا يَعْتَد به إلا أديب بذاته الفنية، ويريد لها أن تفرض على الناس رؤاها الخاصة أو أن تشركهم فيها"[1].

و الكاتب في هذه المقالة يقدم لنا رؤية هي في مجملها حصيلة تجاوبه مع الحياة ورؤيته للطبيعة وظواهرها، فوعيه لهذه الرؤية يشكل جزءا لا يتجزأ منها، بل يمكن القول أنه يحكمها كلها، فهو هنا يصدر عن تطور ملحوظ في نمط التفكير والتعبير.فلا الطبيعة عنده هي التي عند الناس ولا الخريف عنده هو خريف الناس، وإن رؤيته الواعية هذه كانت شاملة، فاستطاع أن يقدم عملا متماسكا معبرا بصدق عن تجربته في الحياة ورؤيته للطبيعة والكون.

وهذا الأمر لا يختص به هذا الأديب دون غيره من الأدباء، ولا ينفرد به الأدب العربي عن غيره من الآداب ، بل " الأمر برمته لا يختص به فرد دون آخر، ولا جيل من الناس دون الأجيال الأخرى، بل الأكثر طرافة من ذلك و الأبلغ هو أن هذه الظاهرة شائعة بين الأمم، تشترك فيها الجماعات وإن اختلفت ألسنتها، وتتماثل فيها الحضارات وإن تباينت شعوبها، وتباعدت حقبها"[2].

غيـــر أن هذا لا ينفي التمايز الذي يكون بين آداب الأجيـال داخل الأمة الواحـــدة أو بين الأمم والحضارات ذلك لأنه " لما كان الأدب جزءا لا يتجزأ من الثقافة فإنه يتحتم أن يكون لكل أمة أدب خاص، كما لها ثقافة خاصة تميزها عن غيرها، لأنه لا يمكن القول بأن أمة من الأمم ليس لها أدب، وهي لها مميزات خاصة، ومثل هذا القول إما نكران للواقع أو إجحاف بحق تلك الأمة، والنكران و الإجحاف كلاهما لا يغيران شيئا من الحقيقة"[3].

و الكاتب بإحساسه المرهف النبيل، ينم عن قوة إحساس طاغية جارفة، وملكة تعبير رقيقة، فصور لنا ذلك الشعور اتجاه الطبيعة وتلك التجربة في الحياة في صورة بليغة ، فنلفيه يكاد يلمس بأصابعه روحانية ذلك الإحساس الرقيق النبيل ليصل إلى

---

[1]- حلمي مرزوق- تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية- مصر- ط1- 2004م- ص 181.

[2]-عبد السلام المسدي- ما وراء اللغة- بحث في الخلفيات المعرفية- مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع- تونس- 1994م- ص 153.

[3]- الحبيب بناسي- صرخة قلب- ص 139-140- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

القاري فيجده متجاوبا منتشيا بروحه وقلبه قبل عقله، مع أنه لا يستثني من ذلك شيئا، لأن "الأدب يغطي الحياة بجانبيها المادي والروحي معا، ويصور الإنسان في حال ارتفاعه وسقوطه ونصره وهزيمته، قوته وضعفه... وهو مبني على ركنين لا يستغني عن أحدهما: العقل والعاطفة، العقل يمثل جانب المادة التي بها يعمر الكون، والعاطفة ترسخ قوى الترابط بين بني الإنسان، فلا تستبد بهم المادة "[1].

على أن الاهتمام بالطبيعة وتصويرها ليس تصويرا سطحيا ساذجا، بل الكاتب ينطلق منها إلى التعبير عن أحزانه وهمومه التي هي أحزان أمة وهموم وطن، فيتجه إلى الطبيعة بوصفها أُمّ الجميع، عسى أن تنقذه وقومه مما هم فيه من بؤس وظلم واضطهاد، ثم إنه يثور على واقعه الذي لا يجد فيه ما يسر أو يريح النفس، ولا يفوته أن يشيد بالطبيعة وينوه بالخيال الذي يجعله يسبح في عالم من الأحلام والآمال والإشراقات، غير أنه عندما يعود للواقع والحقيقة فإنه يرفضهما لأنهما لا يقدمان له شيئا، بل سعادته ومتعته لا تكون إلا فيما وراء عوالم الحقيقة.

وبعدما يبين الكاتب عزمه على القيام برحلة إلى الطبيعة ليتحرر من عالم الحقيقة، ويسعد بمشاهدة الكون وجماله، فإنه يصرح بأن الخيال قدم له ما عجزت عنه الحقيقة فيقول: "وإن كل ما تستطيع أن تراه نفسي وتغتبط به في فضاء هذا الخيال الفسيح البعيد الأطراف المترامي الجهات تعجز أن تناله في مخادع الحقيقة الضيقة ذات الأبخرة المختنقة والجراثيم الفتاكة" ، فهو يرى بأن الحقيقة صارت تخنقه وتفتك به.

" إن وصف الحقيقة بأنها شيء قاتل، يدل على مدى ما يشعر به الكاتب تجاه الحياة وعلى موقفه منها، و أكد شعوره بالضيق والنفور مما يجري في بيئته ومجتمعه، لذلك فهو يتجه إلى الطبيعة ويختار نسمات الخريف اللطيفة اللذيذة يلوذ بها من لفح الحياة، ثم إنه يرى في هذه النسمات أو يجد عندها الحنان والرحمة حين افتقدها في زحمة الحياة"[2].

وذلك حين يقول: " و ما ذلك إلا نسمة من نسمات الخريف اللذيذة التي يرسلها الخريف عنوانا صادقا على ما ينطوي عليه من رحمة، وحنان وشفقة وإحسان".

---

[1]- صديق بكر علي عيطه - حقيقة الأدب الإسلامي- مجلة الأدب الإسلامي- رابطة الأدب الإسلامي العالمية- الرياض- المملكة العربية السعودية- المجلد 07- العدد 25- 1421 هـ/ 2001م- ص 46.

[2]- عبد الله الركيبي- تطور النثر الجزائري الحديث- 1830 م – 1974م - المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- ط2- 1983م- ص 144.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ويستمر الكاتب في وصف جمال الطبيعة في الخريف، وذلك على الرغم من حزنه على تلك الأغصان و الأفنان التي بدأت تفارقها أوراقها التي ذبلت واصفرت، كما يحس بالأسى لأن الطيور لا تغرد كما اعتادت ذلك دائما، ويجعل بين هذا وبين المستقبل وشيجة قوية تمثل عمق شعوره وإحساسه بما سيأتي، فيقول: "فكأنما حالتك هذه تشعر بشقاء مقبل وويل عظيم".

"فالكاتب هنا يُسقط ما بنفسه على الخريف وعلى الطبيعة ويتشاءم من المستقبل حين يصف فصل الخريف فيمثله شخصا أرهقته أعباء الحياة، و أثقلت كاهله السنون، وكأنه يتحدث عن أعماقه هو، لا عن مظاهر الطبيعة في الخريف، ويسوق ذلك في تساؤلات كثيـــرة واستفسارات عديـــدة حـــول الإرهـاق والانقباض والضعف والنحول والوجوم والجمود وفقدان الابتسامة"[1].

ثم إن هذه الأوصاف وهذه الحالة التي صار إليها الخريف والطبيعة إنما ترمز له ولمجتمعه، ثم إنه يستنهض هذا الفصل، ليتحول وينفض عنه غبار الكسل وأن لا يرضى بحاله المزرية، ويدفعه للثورة.

" فهو يعتمد لغة لا تنقل المعاني نقلا، بل توحي بها إيحاء، من خلال الطاقات التصويرية التي يمنحها الكاتب الموهوب لألفاظه، وهذا ما هو إلا انعكاس لتجربته، حيث استسلم لحلم شاسع جعله يعرض علينا تجربته في صورة مكثفة غنية بالرموز"[2]. يكون الإيحاء فيها أبلغَ تعبيرا من التصريح.

"فالأدب – كسائر الفنون– هو تعبير موح عن قيم حية وهواجس إنسانية، ينفعل بها الأديب صاحب الروح الشاعرة... ليقدم تعبيرا متكاملا عن الحياة في شتى لحظاتها وحالاتها المختلفة، ويعيد تصوير انفعالاته بمختلف الظواهر والحالات الإنسانية والنفسية..." .[3]

و الكاتب قد ضمَّن مقالته أبياتا شعرية من نظمه حتى يزيد الصورة وضوحا.

---

[1]- المرجع السابق - ص 145- بتصرف.

[2]-شلتاغ عبود شراد- حركة الشعر الحرفي في الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1985م- ص 139- بتصرف.

[3]-إبراهيم نويري- رؤية في التصور الإسلامي للأدب- مجلة الأدب الإسلامي- رابطة الأدب الإسلامي العالمية- الرياض- المملكة العربية السعودية- المجلد 08- العدد: 31- 1422 هـ/ 2002م- ص 62- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

"وعلى الرغم من أهمية الشكل الخارجي للنص الأدبي، إلا أنه يبقى بلا قيمة عندما لا تسعفه المكونات الأخرى من الصور والأخيلة الأدبية، التي تمثل جمالية التعبير الأدبي الذي ينبعث تلقائيا من الصور الإطارية والشكلية للنص، معبرا عن انفعالات صاحبه النفسية وتجاوبه مع مضمون النص". [1]

فالأديب لا يمكنه أن ينطلق في عملية البناء الحضاري والتأسيس الاجتماعي، إلا إذا كان واعيا ومدركا لدوره الحقيقي، مع استيعابه الشامل للواقع الذي يتحرك فيه، وتَبَصُّرِه وفهمه العميق لطبيعة وخلفيات الصراع الحضاري والفكري الذي تخوضه أمته.

" و بعد أن يعرض الكاتب أفكاره أثناء المقال، يختمه بأنه ما زال يأمل في بقاء الخريف وجماله، وفي الوقت نفسه يعترف أنه غير قادر على أن يعبر عما في نفسه من شعور جارف بالألم، وإحساس شديد لما يعاني من هموم وأحزان". [2]

غير أنه لا يستطيع البوح بهذه الهموم والأحزان لغير الخريف، فهو يبخل بها عن غيره، فيقول: "أملي فيك أيها الفصل الجميل، أن تلبث بيننا طويلا لأستطيع أن أبثك ما تنطوي عليه سرائري من جراحات وكلوم، وأحدثك بما أضن به عن كل أحد سواك".

فالكاتب في هذا المقال، لم يعن بالظاهر فقط من وصف الخريف، وإنما سعى إلى الربط بين الطبيعة و واقع الحياة، و واقع الكاتب نفسه، من خلال إحساسه بالألم وشوقه إلى الطبيعة في صدق تعبير وسلامة فكرة وانفعال عاطفة، و متانة أسلوب ، في جمال بعيد عن الصنعة والتعقيد والتكلف؛ فقد كانت عنايته بالفكرة واضحة جلية، دونما إهمال للتعبيـــر والتصويـــر الفنـــي من خلال نقاء اللغـــة وصفائهـــا ومرونتهـــا وإيحائها، إضافة إلى رونق الأسلوب ومراعاة الصور البيانية.

[1]- عبد المفتاح الديدي- الأسس المعنوية للأدب- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- مصر- ط2 – 1994م - ص 15 - بتصرف.
[2]- عبد الله الركيبي- تطور النثر الجزائري الحديث- 1830م-1974م- ص 145.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الفصل الثالث

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الخطابة

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

1- مفهوم الخطابة

2- أجزاء الخطبة

3- أنواع الخطابة

4- عدة الخطيب

5- الخطابة في مجلة الشهاب

6- نماذج من خطب الشهاب

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

1-مفهوم الخطابة :

أ- لغة:

أصل الخطابة مادة الخاء والطاء والباء (خطب)، والخَطْب هو الشأن أو الأمر جليلا كان أو حقيرا.

و "الخَطْب: هو الكلام بين اثنين، والخُطبة من ذلك، والخُطبة: الكلام المخطوب به، ويقال اختَطَب القوم فلانا، إذا دعوه إلى تزوُّج صاحبتهم"[1].

وجاء في القاموس المحيط: "وخَطَب الخَاطِب على المنبر خَطَابة بالفتح وخُطْبَة بالضم وذلك الكلام خُطْبَة أيضا، أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خَطِيب حَسَنُ الخُطْبَة"[2].

أما ابن منظور فيقول " وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطابا، وهما يتخاطبان والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة ، واسم الكلام: الخُطبة والخِطبة، مثل الرسالة التي لها أول وآخر... ورجل خطيب: حسن الخطبة، وجمع الخطيب: خُطَباء. وخَطُب : صار خطيبا ..."[3].

فهو يجعل الخطبة بين اثنين أي متكلم وسامع أو مرسل ومرسل إليه، وهما يتخاطبان أي يتفاعلان أثناء الكلام.

وفي ذلك يقول قدامة بن جعفر: "إن الخطابة مأخوذة من خطبت أخطب، خطابة، كما يقال: كتبت أكتب كتابة، واشتق ذلك من الخطب، وهو الأمر الجليل، لأنه إنما يقام بالخُطب في الأمور التي تجل وتعظم، و الاسم منها خاطِب مثل راحِم، وإذا جعل وَصْفًا لازمًا قيل

[1]- أحمد بن فارس- معجم مقاييس اللغة- ج2- ص 198- مادة : خطب
[2]- الفيروز أبادي- القاموس المحيط- ج1- ص 63- مادة : خطب.
[3]- ابن منظور- لسان العرب- ج4- ص 130- مادة : خطب.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

خطيب، كما قيل في راحم رحيم، وجُعل رحيم أبلغ في الوصف و أبين في الرحمة، وكذلك لا يسمى خطيبا إلا من غلب ذلك عليه وعلى وصفه، وصار صناعة له"[1].

فمشتقات الأصل (خطب) تدور حول الكلام الذي يكون أثناء عملية التواصل بين القائل الذي هو الخطيب وهو المرسل ،والسامع الذي هو المتلقي أو المرسل إليه.

وجوهر الخطبة يكمن في حضور السامع لحظة إلقاء الخطيب خطبتَه.

ب-اصطلاحا:

الخطـــابة من الفنون الأدبية النثرية التي عرفـت منذ أقــدم العصور بكونهــا فــن "التأثير بالبيان"[2].

و كانت الخطابة " حاضرة لـدى كل الأمم قديما وحديثا ، فمن الآشوريين إلى الفراعنة ، إلى اليونان والرومان والهنود، و بها كان الأنبياء يدعون إلى رسالاتهم"[3].

و الحضارة العربية كان لها نصيب وافر من الخطابة ، فهي "من الفنون الأدبية التي عرفها المجتمع العربي في عهد مبكر من حياته كشعوب الدنيا ،وعرفت ازدهارا كبيرا في العهد الإسلامي لوجود أسباب وعوامل داعية إلى انتشارها وسيادتها"[4].

وقد كانت الخطابة من مميزات العرب لكونها مضمار القدرة على الارتجال التي امتاز بها العرب، كما أنها ميدان فصاحتهم وبلاغتهم.

" ففـن الخطابة يعتمد بالدرجة الأولى على الارتجال وسرعة البديهة، والانفعال بالموقف ، وبهذا تختلف الخطبة عن الرسالة المكتوبـــة... فقد كان العرب يعولون في الارتجـــال

---

[1]- قدامة بن جعفر- نقد النثر- تحقيق : عبد الحميد العبادي - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- 1402 هـ- 1982 م- ص 94-95.
[2]- محمد علي التهانوي- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم- ترجمة : عبد الله الخالدي - لبنان ناشرون- بيروت – لبنان - ط1- 1996م- ج1- ص 750.
[3]- ديل كارنيجي- فن الخطابة- الأهلية للنشر و التوزيع- عمان- الأردن- ط1- 2001- ص 07- بتصرف.
[4]- العربي دحو- مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم- دار الشهاب- باتنة- الجزائر- 1406 هـ- 1986م- ص 92.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

والإبداع فيها على البديهة دون إعداد... فيأتون بالعجب من كل بليغ ناصع البيان"[1].

و عرفت الخطابة بتعريفات كثيرة، متقاربة في معظمها، ولا تختلف في مجملها إلا في الصياغة.

يعرفها أرسطو بقوله: "فالريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"[2].

و الريطورية " هي الخطابة باللغة اللاتينية (Ars Oratoria) و بالفرنسية (Art Oratoire) "[3].

فأرسطو يعرف الخطابة انطلاقا من دورها أو وظيفتها أو الهدف منها، والذي لا يعدو السعي – اعتمادا على سلسلة من الأدلة والحجج والبراهين – إلى إثبات صحة الفكرة التي يدعو إليها وإقناع السامعين بصوابها.

و شَرَحَ ابن رشد تعريف أرسطو طاليس للخطابة فقال : "ويعني بالقوة: الصناعة التي تفعل في المتقابلين، وليس يتبع غايتها فعلها ضرورة، ويعني بتتكلف: أن تبذل مجهودها في استقصاء فعل الإقناع الممكن الذي فيه القول، وذلك يكون بغاية ما يمكن فيه"[4].

وقد تنوعت تعريفات النقاد العرب للخطابة أيضا، "وأوضح وأدق ما عرفت

به الخطابة أنها : فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة"[5].

---

[1]- محمد زغلول سلام- الأدب في العصر المملوكي- منشأة المعارف- الإسكندرية- مصر- 1995م- ج2- ص 11- بتصرف.

[2]- أرسطو طاليس- الخطابة- الترجمة العربية القديمة- تحقيق: عبد الرحمن بدوي- دار القلم- بيروت- لبنان- وكالة المطبوعات - الكويت- 1979م- ص 15.

[3]- فاروق سعد - فن الإلقاء العربي- الخطابي و القضائي و التمثيلي- شركة الحلبي للطباعة و النشر و التوزيع- بيروت - لبنان- ط2- 1999م - ص 46.

[4]- محمد ابن رشد أبو الوليد- تلخيص الخطابة- تحقيق: عبد الرحمن بدوي- دار القلم- بيروت - لبنان- وكالة المطبوعات - الكويت- 1979م- ص 15.

[5]- عبد الجليل عبده شلبي- الخطابة و إعداد الخطيب- دار الشروق- القاهرة- مصر- بيروت- لبنان- ط2- 1407 هـ- 1986م- ص 13.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و يعرفها نبيل راغب بأنها:"الفن والعلم الذي يدرس وسائل توظيف الألفاظ والمفردات والكلمات في تراكيب لغوية وبلاغية ونحوية، قادرة على توصيل المعنى والإحساس في أشد صوره جلاء ونصاعة ووضوحا"[1].

فهو هنا يثبت للخطابة الفكر والعاطفة ولا يخصها بدور نقل المعنى والإقناع بالأفكار والرؤى فقط، بل يوسعها لتشمل الأحاسيس والوجدان أيضا.

و كان من الشائع اعتبار "أن النثر عموما – ومنه الخطابة – يتوجه إلى العقل ويهدف إلى الإقناع، في حين أن الشعر يتوجه إلى الوهم والتخييل، والإنسان– فيما يقولون– أطوع للوهم منه للعقل، ومن هذه الوجهة يستعمل الخطيب الشعر أحيانا، ليعضد الإقناع بالتخييل"[2].

وبهذا تمتاز الخطابة بأسلوبها الذي يخرجها عن ما شاكلها من الأجناس الأدبية "فالجنس الأدبي يشكل في جنسٍ ما تردد الخصائص الخطابية على أساس معيار قبلي شكَّله المجتمع حسب نظام ووفق رؤية معينة"[3].

فهي رغم اهتمامها بالفكرة والإقناع إلا أنها لا تهمل الجانب الفني الشكلي إهمالا تاما ، ولا تكون خالية من كل أنواع التصوير الفني ، "وتعد الخطابة الإطار المثالي الذي تتجلى فيه البلاغة النثرية، فهي تعتمد على الفكرة من خلال الإقناع والبراهين، وكذا على الأسلوب من حيث التنظيم وترتيب أجزاء القول، فهي إذن عرض الأفكار بأسلوب مقنع، ولا يكون ذلك إلا بموافقة المقال للمقام"[4].

---

[1]- نبيل راغب- دليل الناقد الأدبي- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر- 1998م- ص 75.

[2]- إبراهيم السعافين و آخرون- أساليب التعبير الأدبي- ص 96- بتصرف.

[3]- الميلود عثماني- شعرية تودورف- دار قرطبة- الدار البيضاء- المغرب- ط1- 1990م- ص 21- بتصرف.

[4]- عبد القادر شرشار- تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص- منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق- سوريا- 2006م- ص 10- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

أما أحمد محمد الحوفي فيرى أنها " فن مشافهة الجمهور و إقناعه و استمالته ... إذن فأسس الخطابة : مشافهة و جمهور و إقناع و استمالة " [1]

و هذا التعريف قد جمع كل ما في التعاريف السابقة ، من خلال إحاطته بكل العناصر المشكلة للخطبة ، شكلا و مضمونا ، من خلال :

- اشتراط المشافهة ، مما يخرج الكتابة .
- وجود جمهور يستمع ، و إلا كان الكلام حديثا أو وصية أو رسالة .
- أن يكون بطريقة إلقائية و اعتماد أسلوبٍ و لهجةٍ خَطابيين ، و انفعال الخطيب مع المعاني التي تتضمنها الخطبة.
- و لابد من الإقناع من خلال توضيح رأي الخطيب للسامعين ، و تأييده بالحجج حتى يعتقدوه كما اعتقده ، و في حال خلو الخطبة من وسائل الإقناع ، فإنها لا تزيد على أن تكون مجرد إبداءٍ للرأي.
- ثم لابد من استمالة السامعين و السعي لتأجيج عواطفهم و كسب تعاطفهم ، حتى تنقاد له نفوسهم ، فيقبض على زمامها و يتصرف بها كيف شاء، سارا أو محزنا ، مضحكا أو مبكيا ، داعيا إلى الثورة أو إلى السكينة، و هذا العنصر من أهم عناصر الخطبة، لأنه مدار تحقيق الغرض المرجو منها.

فالخطـابة إذن فـن من فنـون القول النثريـة، تلقى مشافهة على مستمعين، بغرض استمالتهم وإقناعهم بـرأي من الآراء أو فكـرة من الأفكـــار، ويكـون هذا الإقنـاع والتأثير بالاعتماد على جملــة من الحجج والبراهين والأدلـــة، وعلـــى إثـارة العواطــف و المشاعر، في أسلوب مشوق ومنطق صادق.

[1]- أحمد محمد الحوفي– فن الخطابة – دار نهضة مصر – القاهرة – مصر – 2003 م – ص 05 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

2-أجزاء الخطبة :

تتكون الخطبة في العادة من ثلاثة أجزاء متسلسلة متكاملة هي: المقدمة والعرض والخاتمة، شأنها في ذلك شأن المقالة و الرسالة، غير أن بعض الدارسين يرى أنها تتكون من أكثر من ذلك ، فقسم "أرسطو الخطبة إلى أربعة أجزاء : المقدمة و العرض و التدليـل و الخاتمة ، وزاد بعضهم على هذه الأقسام التفنيد، وقصرها آخرون على ثلاثة: المقدمة والعرض (وتنطوي فيه الأدلة والتفنيد) والخاتمة"[1].

والواقع أن هذه الأجزاء ليست حتمية في كل خطبة، وأن عدم وجودها بهذا الشكل لا يعني اختلال الخطبة أو نقصانها أو فقدانها لسمات الخطبة، وإنما الأمر لا يعدو كونه مقاربة فنية يراد بها جعل الخطبة أقرب إلى الدقة والكمال، كما يراد بها إرشاد الخطيب إلى ما يسمو بخطبته ويرفعها ويجعل السامعين يستفيدون منها أكثر، وقد تكون هذه الأجزاء من الأهمية بمكان في الخطب الطويلة ذات الموضوعات الهامة.

" و الخطبة تتكون من المقدمة وهي عملية تمهيدية ضرورية، والموضوع وهو ما يراد تقديمه، والخاتمة وهي إيجاز سريع للموضوع، و يراعى في الخطبة تحديد الموضوع الرئيسي، واستخدام الجمل القصيرة السهلة الواضحة والتي تسير بتسلسل، واستخدام أسلوب النداء والاهتمام بالإشارة والتنويه، مع الاستشهاد بالمواقف أو التجارب أو التراث حسب نوع الخطبة"[2].

و فيما يلي بعض البسط في هذه الأجزاء:

أ- **المقدمة:** هي بداية الخطبة، وهي كالمطلع من القصيدة، لأنها تُعِدُّ السامعين للإصغاء وتشد انتباههم، وتهيئهم للإقبال على الخطيب والإنصات لما سيقوله لهم، وقد يستغني

[1]- المرجع السابق- ص 117.
[2]- عبد العاطي شلبي- فن الإبداع الأدبي- المكتب الجامعي الحديث- الإسكندرية- مصر- ص 28.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

عنها الخطيب أحيانا، وبخاصة في الخطب القصيرة، غير أنها في كل الأحوال على درجة كبيرة من الأهمية، لأنها أول ما يطرق السماع من الخطبة، "فإذا كانت جيدة، أصغى السامعون، وتأهبوا لما بعدها، وتفتحت نفوسهم للخطيب، وإلا كانت نذيرا بفشله، وتفاهة أثره، وكثيرا ما تتخذ المقدمة وسيلة لأن يسود الصمت، بعد هرج حدث إثر خطبة سابقـــة ، أو مـن جـراء مناقشـة في موضـوع الخطبة قبـل سماع الـرأي فيهـا، أو اضطراب لسبب من الأسباب"[1].

ومن المواقف الداعية لوجود المقدمة والاهتمام بها، أن يكون السامعون معارضين لفكرة الخطيب، وهم في هذه الحالة ليسوا على استعداد لسماعه، وربما قاطعـــوه، أوتعمدوا عمل ما يصرف الناس عنه، فتكون المقدمة أدعى إلى جذبهم وإبهارهم حتى ينقادوا له ويسمعوه.

ب –العرض :ونعني به صلب الموضوع أو جوهر ولب الخطبة، فإذا أمكن الخطيب الاستغناء عن المقدمة، فليس بالإمكان الاستغناء عن عرض الموضوع ، لأنه الخطبة نفسها أيا كان نوعها وموضوعها ، " فهو يشمل الفكرة التي يدعو إليها الخطيب والتدليل عليها ودفع ما عسى أن تُقَابَل به من نقد واعتراضات، وهذا الجزء– كما هو واضح– أهم أجزاء الخطبة، أو عمودها الفقري و كيانها ، فالأجزاء الأخرى يمكن الاستغناء عنها ،

أمـــا هذا الجزء فهو الأســـاس وبقية الأجـــزاء جـــيء بها من اجله، ومهمتها هي إنجاحه وتثبيت آثاره"[2].

فهذا الجزء يتضمن عرض رأي الخطيب أو موقفه من المسألة أو الموضوع المطروح ، ثم يحشد له الأدلة والبراهين والحجج ، العقلية منها و النقلية، ثم ينتقل إلى

[1]- أحمد محمد الحوفي - فن الخطابة- ص 117.
[2]- عبد الجليل عبده شلبي- الخطابة وإعداد الخطيب- ص 49.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

مناقشة آراء الخصم وأدلته لإبطالها، وتفنيد أقوال خصمه وآرائه و النتائج التي توصل لها و يدعو الناس إليها.

و يشترط في هذا الجزء لكي يكون على مستوى الجودة المطلوبة أن يتميز بوحدة الموضوع ، بحيث يركز على أمر واحـــد يـــدور الكلام حولـــه وتتجمـــع الأدلة لتأييـــده وتقويته، كما يشترط فيه ترتيب الكلام الذي تترتب وفقه الأفكار وتتسلسل من البسيطة إلى المعقدة ومن السهلة إلى الصعبة ومن الفرعية إلى الأساسية ، وهكذا حتى يكون بناء الخطبة صلبا متماسكا متينا.

ج- الخاتمة:

تأتي كنتيجة منطقية و تلقائية عن العرض، فبعد ما يعرض الخطيب موضوعه ويسوق له أدلته عليه، وحججه وبراهينه، ثم يفند حجج خصمه ويرد رأيه و موقفه، فإنه ينتهي إلى الغرض الذي لأجله أعد الخطبة.

و هي "آخر ما يبقى في آذان السامعين وأذهانهم من الخطبة، وبعدها يجني الخطيب الثمرة المرتجـاة، فتصدر المحكمـة بالبراءة أو الإدانة، أو يصوت البرلمان مع الحكومة أو ضدها، ويخشع السامعون لخطبة الوعظ ويتقون، أولا يتأثرون، ويشارك السامعون الخطيبَ شعوره نحو المحتفل به أولا يشاركون. وفي الخاتمة يتجلى نجاح الخطيب في تأثيره على عواطف الجمهور واستمالته"[1].

ويشترط في الخاتمة ألا تكون بعيدة عن الموضوع ، و لا مجددة لأدلةٍ وآراء جديدة فتصير جزءا من العرض، وأن تكون قصيرة لأنها عصارة الخطبة، كما يشترط فيهـا قـوة العبارة وحماسة الإلقاء لتهز المشاعر، لكونها آخر ما يطرق سمع الجمهور ويبقى في

[1]- أحمد محمد الحوفي- فن الخطابة- ص 137- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

أذانهم، فإلقاؤها بحماس واقتناع وثقة، يُشْعِر المستمعين أن الخطيب انتهى إلى رأي لا يحتمل جدلا ، ولا يحسن التغاضي عنه .

3 -أنواع الخطابة:

لما كانت الخطبة تهدف إلى إقناع السامعين واستمالتهم من خلال التأثير في عقولهم وسلوكهم وعواطفهم، فإنها تتعرض لموضوعات مختلفة يتناولها الخطيب تبعا لما يقتضيه الحال وتتطلبه شؤون الحياة السياسية والدينية والاجتماعية.

ولهذا "لم يعرف الجاهليون من ضروب الخطابة إلا ما اقتضته بيئتهم وحياتهم العامة، فكل هذه الضروب تتصل بالحياة القبلية التي كانت سائدة إذ ذاك ، و تلائم حياة العرب العقلية والسياسية والاجتماعية في ذلك العصر"[1].

وجل خطبهم كانت في المفاخرات والمنافرات، و التحريض على القتال أو الأخذ بالثأر، فضلا عن خطب الإملاك والتزويج وإصلاح ذات البين، إضافة إلى خطب المحافل والوفود، وعلى الرغم من هذه الشؤون المتنوعة والأغراض المتعددة، فقد كانت الخطبة لا تتناول منها إلا موضوعا واحدا يكون غالبا يتصل اتصالا وثيقا بالحياة الاجتماعية للعرب.

وبمجيء الإسلام شهدت الخطابة زوال بعض الضروب التي كانت سائدة في الجاهلية، وهي "المتصلة بحياة العرب الجاهليين القائمة على العصبية والحمية والتفاخر بالأحساب والأنساب، كما شهد صدر الإسلام ظهورا لأنواع جديدة اقتضتها البيئة الإسلامية ومستجداتها الدينية و الفكرية والاجتماعية والسياسية"[2].

وقد أعلى الإسلام من شأن الخطابة و جعلها عمدة في صلاة الجمعة، إضافة إلى جعلها شعارا في شتى المناسبات كالحج و االعيدين والاستسقاء وغيرها.

---

[1]- إحسان النص- الخطابة العربية في عصرها الذهبي- دار المعارف- القاهرة- مصر- ط2- 1969م- ص 09.
[2]- منذر معاليقي- دراسات نقدية في الأدب الإسلامي- المؤسسة الحديثة للكتاب- طرابلس- لبنان- ط1- 2000م- ص 87.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

كما أدخل الإسلام "على الخطابة تطورا جديدا، فابتعد بها عن الإثارة والمبالغة في الأخذ بالسجع والشعر، وخاطبت العقل والعاطفة الدينية، فبدأت باسم الله، و الصلاة على نبيـــه ، و اقتبست من القرآن الكريـــم و الحديث النبـــوي الشريـــف ، وكـــلام الصحـــابـــة و التابعين، والشعر القديـم، وجمعـــت المعرفة بأمور الدولـــة وبالشـــؤون العامـــة، وتجـــارب الحياة، والوعـــظ والإرشاد."[1]

واستمرت الخطبة تؤدي دورهـــا "كوسيلة مـــن وســـائل التأثير في الجمـــاهير وتوجيهها... خاصة و أن العقلية الجماعية السائدة عند الجماهير العريضة هي أقرب إلى الانسياق العاطفي والتأثر دون تمحيصٍ منها أو إعمالٍ للعقل أو التفكير العميق"[2].

فكانت الخطابة تزدهر في ضرب من ضروبها دون غيره حسب متطلبات كل عصر واهتمامات كل مرحلة اجتماعيا وسياسيا ودينيا، وتركز حينا على الإقناع العقلي من خلال مخاطبة العقل والتفكير، وحينا آخر على الإثارة العاطفية من خلال مخاطبة المشاعر والوجدان.

"وحين انبلج فجر العصر الحديث امتدت قرائح الكتاب إلى عالم الفكر الحديث، وتخلصوا شيئا فشيئا من قيود السجع والزخارف اللفظية، ومن ثم بهرهم المعنى بعد أن كانوا راضخين للزخارف اللفظية والصور الشكلية آمادا طويلة"[3].

و قطعت الخطابة شوطا طويلا في طريق التعبير المرسل الحر وكانت دليلا على نهضة هذا الفن وتطوره في أسلوبه ، "فقد امتازت الخطابة الحديثة بتعدد أغراضها وتنوع موضوعاتها، كما اتسم أسلوبها بالحرية والانطلاق والجنوح إلى الطبع والتغلب على الصناعة، كذلك بريء هذا الأسلوب من التكلف الذي يشينه والإسفاف الذي يهجنه"[4].

---

[1]- محمد زغلول سلام- النقد الأدبي الحديث- أصوله واتجاهات رواده- منشأة المعارف- الإسكندرية- مصر- 1981م- ص 104- بتصرف.
[2]- محمد مندور- الأدب وفنونه- دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع- القاهرة- مصر- 2000م- ص 155.
[3]- حامد حفني داود- تاريخ الأدب الحديث- تطوره- معالمه- الكبرى- مدارسه- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1983م- ص 82- بتصرف.
[4]- محروس منشاوي الجالي- تطور النثر الفني في مصر في القرن التاسع عشر- دار الفكر العربي- القاهرة- مصر- ط1- 1406 هـ- 1986م- ص 126.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و قد قسم النقاد و الدارسون الخطبة حسب موضوعها إلى أنواع متعددة ،يعالج كل منها شأنا من شؤون الحياة المختلفة وأهمها ما يلي:

أ- الخطبة الدينية:

لقيت هذه الخطبة عند العرب اهتماما كبيرا في العصر الإسلامي و ذاعت بينهم، وكان " لها الحظ الأوفر من أمر الدين، لأن الخطبة شطر الصلاة التي هي عماد الدين في الأعياد و الجمعات والجماعات، وتشتمل على ذكر المواعظ التي يجب أن يتعهد بها الإمامُ رعيتَه ، لِئَلَّا تدرس من قلوبهم آثار ما أنزل الله عز و جل من ذلك في كتابه، إلى غير ذلك من منافع الخطب"[1].

بالإضافة لكون الخطبة من شعائر الإسلام ، فإنها تلقى في شتى الأوقات كالمواعظ والخطب التي تلقى على الجموع في عديد المناسبات ، وهي " تستوحي عمقها وصدقها من الالتزام الفكري الحقيقي، إذ كانت في بداية العهد النبوي مصارعة للشرك، وصارت في نهايته ترسيخا للتوحيد"[2].

وتعتبر خطبة الجمعة أهمها ،وذلك لتكررها ولكونها فرض عين ، لا تصح الصلاة إلا بها.

وأهم ما تتميز به الخطبة الدينية الوعظ الديني الذي يشمل " الأمر بالمعروف في الدين والنهي عن المنكر فيه، وقد أجمعت عليه الشرائع واتفقت على وجوبه الأديان فعليه قد قامت الدعوة إليها"[3].

---

[1]- الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري- كتاب الصناعتين- الكتابة والشعر- تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية- بيروت- لبنان- 1406 هـ- 1986م- ص 136.

[2]- غازي طليمات و عرفان الأشقر- النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة – دار الفكر- دمشق- سوريا- ط1- 1428 هـ- 2007م- ص 263.

[3]- محمد أبو زهرة- الخطابة- أصولها- تاريخها في أزهر عصورها عند العرب- دار الفكر العربي- القاهرة- مصر- ط1- ص 152.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وتعمد الخطبة الدينية إلى إثارة العواطف لتحبب إليها الخير، وتنفرها من الشر كما توجهها إلى تقوى الله عز و جل وحبه وخشيته، و ذلك بتبصير المستمعين بما ينفعهم في معاشهم ومعادهم.

ب-الخطبة السياسية:

تتناول الخطبة السياسية كل ما له صلة بالأحوال العامة للدولة وشؤونها المختلفة، داخلية كانت أو خارجية، فمدارها الأول هو الحكم والسلطان، فتشمل خطب التولية والعزل، والخطب البرلمانية، وخطب المؤتمرات السياسية، وكل ما تعلق بشؤون السياسة سواء تعلق الأمر بشؤونٍ داخلية كالتشريع ونظام الحكم والاقتصاد أو بشؤونٍ خارجية كالمعاهدات والتحالفات وغيرها.

"والعصر الحديث عصر الخطابة السياسية، لكثرة الأحزاب المختلفة في وسائلها وغاياتها، المعتمدة على الخطابة في إقناع الجماهير بصواب الحزب وابتغائه الخير للأمة، وفي استمالتها إلى نصرة الحزب و تأييده، وفي تفنيد برامج الأحزاب الأخرى و انتقاص أعمالها، إضافة إلى نضج الوعي القومي عند الأمم ، مما أيقظ الناس إلى حقوقهم فازدهرت الخطابة"[1].

وقد انتشرت الخطابة السياسية بشكل واسع خلال فترة الحركات التحررية في الوطن العربي، حيث يقدم أهل السياسة ورواد الحركات الوطنية و القومية آراءهم " التي يعرضونها على الشعوب في شكل خطبة يقرعون بها الأسماع ويجذبون القلوب"[2].

فالخطبة السياسية إذن هي لون من الخطابة يتمكن فيها الخطيب من إقناع الجماهير التي تستمع إليه بصواب رأيه وصحته في السياسة ونظام الحكم و إدارة شؤونه، وأنّ رأيه هذا هو الأنفع، وتعد الخطبة السياسية أحفل أنواع الخطبة وأشدها التزاما بمقومات الفن

[1]- أحمد محمد الحوفي- فن الخطابة- ص 65.
[2]- شوقي ضيف- الفن و مذاهبة في النثر العربي- دار المعارف- القاهرة- مصر- ط7- 1974م- ص 70- بتصرف

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الخطابي، لما تتضمنه من حجاج وجدال ومناقشة حارة، وحشد للأدلة والبراهين، إضافة إلى اعتمادها على الخطيب المفوه، والشخصية المهيمنة الراغبة في الزعامة.

ج- الخطبة الحربية:

لقد احتاج العرب في الجاهلية خلال حروبهم و نزاعاتهم إلى خطب تحض أفراد القبيلة وفرسانها على الاستبسال في مقاتلة أعدائها، والاستماتة في الدفاع عنها، والتحلي بالشجاعة والبسالة وترغيبهم عن الجبن والفرار والإدبار.

و" لطالما استمد السيف إلى مضائه قوة من الخطابة تزيده مضاء، وكثيرا ما لجأ القادة إلى الكلمة ، يشعلون بها الجنود حماسة إلى الاستبسال ، وكثيرا ما كان الخطباء يشدون أزر الجيش المقاتل بما يلقون من خطب ، و يوقدون حماسة الشعب ليجود بالدماء والأموال"[1].

وبظهور الإسلام ازدهر هذا الضرب من الخطبة من خلال قيام الخطباء بحض المسلمين على الجهاد في سبيل الله ، يحثونهم على الشجاعة والتضحية؛ وكانت هذه الخطب ترافق الفتوحات داعية إلى المضي في نشر الدين الإسلامي، والتشرف برفع لوائه.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم على رأس الخطباء في هذا المجال، وتبعه على سنته خلفاؤه من بعده، وكان ذلك منهجا سلكه قادة المسلمين حين استخدموا الخطابة في مجاهدة أعداء الإسلام في كل فتوحاتهم ومعاركهم.

" و لئن كانت الخطب السابقة مجالا للتحضير والتنقيح والتروي فإن الخطبة الحربية كثيرا ما تستهل لوقتها، إذ يفجأ الزمن القائد أو الخطيب، فينتزع من بديهته المسعفة خطبة

[1]- أحمد محمد الحوفي- فن الخطابة- ص 112.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

مرتجلة، على أنه أحيانا يعدها لظرف يتوقعه، ومهمته شاقة لأنه لا يستطيع أن يسمع الجيش كله، ولذلك جرت العادة أحيانا أن تكتب الخطبة، وتوزع على الجند"[1].

وتهدف الخطبة الحربية إلى بث الثقة والعزيمة في نفوس المحاربين، وإذكاء حماسهم، وتبشيرهم بالنصر إن هم ثبتوا وأقدموا وتهوين الموت.

د- الخطبة القضائية:

هي الخطبة التي تلقى في المحاكم ومجالس فض المنازعات ،طلبا للحكم في أمر ما أو الدفاع عن متهم بجرم أو غيره.

"وهذا النوع من الخطابة قديم ترجع قواعده وأهم أصوله إلى اليونان ثم إلى الرومان، وكان موجودا عند العرب قبل الإسلام، نجده في مجتمعاتهم التي يقررون فيها شؤون الديات والقصاص و المغارم"[2].

وتختلف هذه الخطبة باختلاف طبيعة ونوع المحاكم التي تلقى فيها، فقد تكون في أمر جناية أو أمر مدني أو أمر يتعلق بالأحوال الشخصية، إضافة إلى موقف الخطيب من القضية، فقد يكون محاميا، أو ممثلا للحق العام، وكذا نوعية القضية وأهميتها ومدى تأثيرها، والأحداث التي بنيت عليها.

وهي تعتمد على دراسة القضية دراسة شاملة عميقة ودقيقة، وترتكز المنطق والتسلسل، إضافة إلى الاستشهاد بالقانون، وتسعى إلى إحقاق الحق ورد الباطل من خلال الدفاع عن الأبرياء، وإدانة المعتدين بالعقوبة، وهذا يؤدي حتما إلى حماية المجتمع.

---

[1]- المرجع السابق - ص 112- بتصرف.
[2]- عبد الجليل عبده شلبي- الخطابة وإعداد الخطيب- ص 86.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

هـ- أنواع أخرى من الخطب:

إن الأنواع المذكورة سابقا من الخطبة ليست حصرا لها، بل هناك أنواع أخرى ،يعتبرها بعض النقاد مستقلة بذاتها وخصائصها ووظائفها، كخطبة الإملاك والنكاح، وخطب المحافل والوفود والأحلاف والصلح، وخطب التهنئة، وخطب التكريم، وخطب التأبين، والخطب الاجتماعية وغيرها.

فضلا عن ذلك فإن بعض الدارسين يعتبرون المقدمات التي يدبجها المؤلفون لمؤلفاتهم خطبا ،ويسمونها بهذا الاسم "خطبة الكتاب".

" ثم إن خطبة المنابر غير خطبة الدفاتر، لأن خطبة المنابر تشتمل على الوصية بالتقوى والوعظ والتذكر ونحو ذلك... اعلم أن خطبة الكتب إن ألحقت بها بعد تصنيفها وتأليفها بأن ألف المؤلف كتابه أولا ثم ألحقه بالخطبة تسمى خطبة إلحاقية، وإن كتب أولا ثم ألف الكتاب تسمى خطبة ابتدائية"[1].

فمن الجلي إذن أنه يصعب حصر كل أنواع الخطب لتداخلها فيما بينها، وكذا لتعدد موضوعاتها وتشعب أغراضها، وتنوع أسبابها ودواعيها.

[1]- محمد علي التهانوي- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم- ص 752- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

4- عدة الخطيب:

إن الخطابة شأنها شأن الفنون الأدبية الأخرى تعتبر موهبة لدى صاحبها ثم يصقلها بوسائل شتى حتى يمتلك ناصيتها ويصير خطيبا مفوها كما يقال.

ومما يشترط توفره في الخطيب حتى يملك زمام فن الخطابة ما يلي:

- الاستعداد الطبيعي ، بأن يكون في فطرته استعدادا لهذا الفن البليغ، والناس متفاوتون في ميولهم واستعداداتهم، والخطيب منهم تجيش نفسه بالأحاسيس فيعبر عن ذلك بكلمات مصورة لما يحس به ، يقول أبو هلال العسكري : "رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ"[1].
- الفصاحة والإلمام باللغة، فيشترط للخطيب أن يكون فصيح اللسان، سليما من العيوب النطقية التي تعيق سهولة المخارج وسلامة الحروف واستوائها، وملما بالدرس اللغوي الذي يحول بينه وبين الخطأ واللحن.
- سعة الثقافة ، من خلال كثرة المحفوظات من الشعر والنثر ومأثور كلام العرب من الحكم والأمثال والوصايا، هذا دون الحديث عن حفظ القرآن الكريم والكثير من الأحاديث النبوية الشريفة لأنه أساس الفصاحة والبلاغة ، وكون الخطابة من فنون النثر قد فتح لها في مجال الحرية سعة أكثر ، "وكانت هذه الحرية هي السبب في تعدد الصور والأشكال التي يستعملها الكتاب والخطباء ويتفننون فيها منذ القدم، حسب تقاليد يختار منها كل خطيب ما يلائم ذوقه، وما يراه يتسع لبث أفكاره ومعانيه، ليكون مظهر فنيته وقدرته على الإبداع... وصار لكل خطيب وأديب من كبار الأدباء في الأزمنة المتعاقبة طريقته الفنية الخاصة التي تنسب إليه"[2].وعلى الخطيب أيضا أن يكون مطلعا على شؤون عصره وقضاياه ومشاكله وصراعاته حتى يكون على بينة مما يقول.

[1]- الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري- كتاب الصناعتين- الكتابة والشعر- ص 58.
[2]- بدوي طبانة- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة- مصر- ط1- 1382 هـ- 1963م- ص 268- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

- معرفة أحوال المخاطبين ، وذلك من خلال الإلمام بجوانبهم النفسية والسلوكية، فإذا كان هدف الخطيب هو أن يتغلغل في نفوس سامعيه، ليؤثر في نفوسهم، فيصرفها كما يشاء، معتمدا على إثارة عواطفهم، وإلهاب مشاعرهم، فإن أقرب وسيلة يتخذها لذلك هي إلمامه بعلم النفس وعلم الاجتماع " ليعرف روح المجتمع وعقليته، ويطلع على طبائع النفوس وعواطفها، ويعلم ما يثير هذا المجتمع، أو يهدئه وما يرضيه أويغضبه، وأي الأساليب ملائم له؟ أهو أسلوب البسط والإطناب؟ أم أسلوب الإيجاز والإشارة والاقتضاب؟ والخطيب الناجح من امتزجت بروح السامعين روحُه... والسامعون من طبقات شتى وبيئات عدة... فعليه أن يمهد الطريق إلى إقناع هذا الجمهور المتباين وإلى التأثير فيه"[1].
- حضور البديهة وسرعة الخاطر، إذ كثيرا ما يتعرض الخطيب إلى مقاطعة أواعتراض أو سؤال، فيغير مجرى حديثه ليسمعهم كلاما أروع، ولهذا ينبغي أن يكون سريع البديهة حاضر الذهن، لا يتلعثم في دفع اعتراض، ولا يتردد في جواب سؤال.

وقد يكون صوابه في الرد على مقاطع أو معارض أو إجابته عل سؤال أقوى تأثيرا في نفوس السامعين من الخطبة كلها.

" على أنه إن لم تسعفه بديهته بجملة قوية مؤثرة مسكتة، فالخير له ألا يرد، لأن سكوته حينئذ خير من كلامه؛ وإذا كان الباعث على المقاطعة والمعارضة إنما هو التهريج والتعويق والتشفي، كان السكوت ترفعا وقلة مبالاة"[2]. فإن عودته إلى خطبته في هدوء تام وروية وثبات أنفع وأبلغ تأثير.

- الجرأة والشجاعة والثقة بما يقول، من أهم مقومات الخطيب ، وهذه صفات لكل منها مفهومه، وليست مجرد مترادفات؛ "فالجرأة تعني عدم التهيب والتردد فيما يتحدث عنه الخطيب؛ فهناك مواقف يتعرض لها الخطيب قد توهن قوته وتجعله يغير مجرى

[1]- أحمد محمد الحوفي- فن الخطابة- ص 19.
[2]- المرجع نفسه- ص 22.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

خطبته أو يوجزها أو يحذف بعض عناصرها، ولكن الخطيب الجريء لا يتأثر بها. ويراد بالشجاعة قوة الخطيب على فرض رأيه على سامعيه خصوصا حين يكونوا على غير رأيه. وأما ثقة الخطيب بكلامه فتعني إيمانه بالمبادئ التي يدعو إليها؛ هذه الثقة تدفعه تلقائيا إلى تكييف صوته وانفعاله وتلهمه الحجج والبراهين، وتجعل الآخرين يتأثرون به"[1]. و إن " علامة سكون نفس الخطيب ورباطه جأشه، هدوءه في كلامه وتمهله في منطقة ."[2]

- إضافة إلى ما سبق فإن من عدة الخطيب صلاحه وسمو خلقه وإخلاصه لله تعالى وحرصه على الاستقامة، إضافة إلى منظر وهيئة مقبولة، وبعد عن الدنايا وكثرة المزاح، و الوقوف مشرفا على من يخاطبهم، وأن يكون حسن الإشارة يمتاز بجهارة الصوت و حلاوته، كما أن التدريب العملي على الخطبة، وإعداد الخطيب نفسه لمواجهة الجماهير هي وسيلة تجعله من الخطباء المتفوقين الممتازين.

[1]- عبد الجليل عبده شلبي- الخطابة وإعداد الخطيب- ص 36-37- بتصرف.
[2]- الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري- كتاب الصناعتين- الكتابة والشعر- ص 22.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

5- الخطابة في مجلة الشهاب :

لقد كان ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر و دعوتها إلى النهضة الفكرية والثقافية والاجتماعية، أهم الحوادث في الجزائر في بدايات القرن العشرين، "ولما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أي أمة، إما دعوة دينية وإما دعوة سياسية، كانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من أهلها لتأييدها ونشرها ، وألسنة من أعدائها و خصومها لدحضها والصد عنها، وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات لشرح الحقائق وقرع الأسماع بالحجج العقلية منها والوجدانية"[1].

كان على الأدب أن يلعب دوره المنوط به في بث الوعي وشحذ الهمم وفضح فضائع الاستعمار، وكان الأدب العربي منذ عصوره الأولى يتحمل هذه الرسالة التي أصبحت في العصر الحديث أكثر إلحاحا، نظرا للتحديات الحضارية التي وجدت الأمة العربية نفسها تواجهها، بل وتدفع اللغة العربية ذاتها أخطارها ومطامعها.

"ولم يكن الأدب العربي الحديث في الجزائر ذا حظ قليل في هذا الباب، وإنما كانت له مساهمته فيما شهده الأدب العربي في سائر ديار العروبة؛ فكان له بذلك دوره الرائد في معايشة الواقع الوطني، وتصوير تطلعات الأمة وتوجيهها نحو غاياتها ومراميها"[2].

فهذا التطور الذي عرفه الفكر الإصلاحي قد خطا بالفكر الجزائري خطوة هائلة، كانت تمثل وثبة عظيمة في الأدب والثقافة، وقد كان لهذا الفكر سمات ثلاث جعلته متميزا ومثمرا ، "السمة الأولى لهذا الفكر أنه أحدث نوعا من التوازن بين الماضي والحاضر فيأخذ من التاريخ العبرة التي يستمد منها القدرة على الاستمرار ويستوحيها فيما

[1]- السيد أحمد الهاشمي- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب- دار الجيل- بيروت- لبنان- طبعة جديدة ومنقحة- ج2- ص 481- بتصرف.
[2]- محمد الطاهر يحياوي- أحاديث في الأدب والنقد- شركة الشهاب- باتنة- الجزائر- 1990م- ص 294.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

يقول ويفعل، وفيما يكتب أو يهدف، ولكن في الوقت نفسه لا يرفض التطور ولا يرفض الحياة، فهو فكر وسطي"[1].

وهذا الفكر هو الذي أنشأ ثقافة وطنية قومية من خلال تبنيه لأسسها المتمثلة في عملية إحياء اللغة العربية وإحياء التراث، وقبل كل شيء، صقل العقيدة، ثم التمكين لهذه الثقافة في هذا الوطن وتغذيتها بأفكاره ونشرها بين أفراد الشعب على أوسع نطاق وبشتى الوسائل المتاحة والممكنة.

"أما السمة الثانية لهذا الفكر فهي الملاءمة بين العقل والدين، وهذه الملاءمة تندرج ضمن منطق الإصلاح وموقفه من قضايا العصر، ومن مشاكل المجتمع... فهو يؤمن بالاجتهاد وبإعمال النظر في القضايا التي تستجد بسبب التطور في عصور تختلف أوضاع الناس فيها اختلافا بينا عن أولئك الذين عاشوا ظروفا أخرى لها معطياتها ومشاكلها. و السمة الثالثة له هي أنه قرن القول بالفعل، لذلك اعتمد مناهج خاصة في بلورة أفكاره لم تكن معهودة من قبل"[2].

ولكون هذا الفكر يمتاز بهذه النظرة الجديدة للحياة وللإنسان فإنه تعرض للحرب بشتى الوسائل ولقي أنواعا من الاضطهاد والتضييق من قبل المستعمر، خاصة وأنه كان يسعى لأن يغرس في الناس حب الوطن والاعتزاز به وبأمجاد أبطاله عبر التاريخ.

عاش رجال الإصلاح علماء وأدباء ودعاة في مساس مع الشعب بمختلف شرائحه ولم يكونوا بمعزل عنه، بل عاشوا آماله وآلامه وطموحاته ونكباته، وكانوا في تحاور واتصال دائم معه، وسخروا لتوعيته وإيقاظه وإصلاح أحواله كل إمكانياتهم وقدراتهم الأدبية وفي شتى فنون الأدب، وإذا كانت المقالة قد نالت حصة الأسد من اهتمامهم من خلال تدبيجها و نشرها في الصحف الإصلاحية وعلى رأسها الشهاب، فإن الخطابة

[1]- عبد الله الركيبي- عروبة الفكر والثقافة أولا- دراسات ووثائق- دار الكتاب العربي- الجزائر- 2009- ص 57.
[2]- المرجع نفسه - ص 58-59- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

أيضا قد كان لها شأن عظيم في تواصل المصلحين مع شعبهم وأمتهم، وذلك راجع لإدراكهم لما للخطابة من أهمية وأثر في نفوس الناس، وأيضا لإدراكهم لمدى وقْع الأسلوب الخطابي في نفوس المتلقين، لأن الخطابة مذ كانت تمثل سلاح المجتمع الإنساني في سلمه وحربه ، وفي ترقيته والمضي به نحو المثل العليا والأهداف النبيلة والسامية التي يسعى إليها.

وقد حوت مجلة الشهاب عددا معتبرا من الخطب المتنوعة في موضوعاتها وضروبها، غير أنها مقارنة بالمقالة تُعَد يسيرة، ولم يخل جزء من أجزائـــها من خطبة أواثنتين ، غير أن الجزء الخاص بختم الشيخ عبد الحميد بن باديس لتفسير القرآن الكريم، وهو الجزء الرابع من المجلد الرابع عشر الصادر في: ربيع الثاني / جمادى الأولى سنة 1357هـ ، الموافق لجوان / جويلية 1938م ، قد حوى من الخطب أكثر مما حوته بقية الأجزاء مجتمعة . إذ ورد فيه أربعة عشرة خطبة ألقيت بمناسبة ختم الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس لتفسير القرآن الكريم على مدار خمس وعشرين سنة .

حيث أقيم حفل بهذه المناسبة ودعي له علماء وأدباء وأعيان وتلاميذ للشيخ عبد الحميد بن باديس، فألقى بعضهم خطبا بهذه المناسبة، وألقى البعض الآخر قصائد شعرية.

وخطب هذا الجزء من مجلة الشهاب هي خطب احتفالية (حفلية) دينية وعلمية أيضا، و إن بعض هذه الخطب لم يلقها أصحابها في هذا الحفل، لأنهم لم يحضروه لتعذر ذلك عليهم، وإنما أرسلوها مكتوبة فقرئت على الحاضرين.

أما بقية الخطب المبثوثة في الأجزاء الأخرى من الشهاب، فأغلبها للشيخ عبد الحميد بن باديس تتعلق بافتتاح دروس التفسير في كل عام، أو تتعلق باجتماعات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعضها للشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، وأغلب خطب الإبراهيمي تتعلق بأعمال ونشاطات واجتماعات جمعية العلماء المسلمين

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الجزائريين، "وقد كان الإبراهيمي ذا قلم جرئ في العمل على نشر الدعوة الإصلاحية ورسوخها، وتخصص بنشر الدعوة في الجماهير، لأنه كان أقدر على إقناعهم، وكانوا أكثر اتصالا به لأسباب اجتماعية خاصة، وهو أقدر الناس على هذا الميدان... وكان يلقي خطبا، ودروسا عامة ومحاضرات، ويغتنم الفرص في كل اجتماع للناس لبث الدعوة، والتشنيع على الضالين بجميع الوسائل"[1].

و كانوا يرتجلون الخطب ارتجالا، ونادرا ما كانوا يكتبونها قبل إلقائها، ولهذا ضاعت معظم خطبهم ولم تصلنا، و أما ما وصلنا منها ونشـر في الشهاب أو في غيرها، فهو ما كتبوه ابتداء، أو كتبه بعض السامعين بعدما يأذنون له، وأحيانا يقوم الخطيب بمحاولة تذكر وتدوين ما قاله في خطبته، وهذا هو الصنف الغالب في الخطب الواردة في الشهاب.

[1]- بشير كاشة الفرحي- محمد البشير الإبراهيمي شيخ العلماء و فارس البيان- دار الآفاق- الجزائر- 2004م- ص 32- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

6- نماذج من خطب الشهاب

أ- خطب الشيخ عبد الحميد ابن باديس

-خطاب الرئيس في الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

المنعقد بنادي الترقي بالجزائر العاصمة صبيحة يوم السبت 29 رجب 1357 هـ الموافق لسبتمبر 1938م.

"الحمد لله الذي قضى بابتلاء عباده ليظهر حقائقهم، فيجازيهم على أعمالهم، والصلاة والسلام على أشرف من قاد الخلق وساقهم إلى سعادتهم وكمالهم، وعلى آله الذين كرم الله أصولهم، وجمل أخلاقهم، وبرهنوا على النسب الشريف بجميل حالهم.

وعلى أصحابه الذين لم يخلق الله من فاقهم، بل ولا من ماثلهم في حالهم ومثالهم وعلى كل من تبع طريقهم.

وتحلى من بعدهم بخلالهم.

أما بعد

فسلام عليكم يا أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أجمعين ، وسلام على مساجينكم في المساجين،وسلام على متهميكم في المتهمين، وسلام على منكوبيكم في المنكوبين؛ سجون واتهامات ونكبات، ثلاث لا تبنى الحياة إلا عليها، ولا تشاد الصروح السامقة للعلم والفضيلة والمدنية الحقة إلا على أسسها، فاليوم- وقد قضى الله للجمعية بهذه الثلاث- أثبتت الجمعية في تاريخ الإسلام وجودها، وسجلت في صحيفة الخلود رسمها، ونقشت في قلوب أبناء المستقبل اسمها، وبرزت في ذلك كله أسماء أولئك المسجونين والمتهمين والمنكوبين- نجوما متألقة تأخذ بالأبصار.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

هذا الأستاذ العقبي، برأته العدالة من التهمة الباطلة، ثم أبت تلك النواحي المظلمة من الحياة الجزائرية، إلا أن تعود به إلى التهمة، ولا نشك أنه إن لم تنتصر مرة أخرى في تبرئته العدالة، فستفتضح تلك النواحي في العالم شر فضيحة.

وهذا الأستاذ الإبراهيمي سيق إلى المحاكمة على حفلة علمية، وقضي عليه بالغرامة، فلم يكتف في حقه بذلك، فرفعت القضية للإعادة وهو ينتظر ما يكون .

وهذا الشيخ عمر دردور سجن في سبيل نشر العلم والفضيلة، ثم أنصفته العدالة، فأطلقت سراحه، فأبت تلك النواحي إلا أن تعود به إلى القضاء، وهو ينتظر إلى اليوم فصله.

وهذا الشيخ عبد الحفيظ جنان عزل من وظيفة قيم بالجامع الأخضر لأنه من جمعية العلماء .

وهؤلاء أهل سوف وقد ذاقوا من التغريم والنفي والسجن ما ذاقوا، وروعوا في ديارهم وأهليهم أفضع ترويع، ثم لم يثبت عليهم شيء مما رموا به إلا رغبتهم في العلم، وطرحهم لسربال الطرقية الوسخ الثقيل.

وهذا الشيخ عبد العزيز الهاشمي، والشيخ علي بن سعد، والشيخ عبد القادر الياجوري، والسيد عبد الكامل، في ظلمات السجن إلى اليوم، وقد رمي الشيخ عبد العزيز بالثورة ضد أمن الدولة و بالصلة الأجنبية ، فلم يثبت لدى البحث النزيه إلا أنه عقد مظاهرة بدون رخصة، طلب الناس فيها حرية التعليم، والإعانة بالخبز، وشكوا من ظلم بعض القادة.

وهؤلاء رجال التعليم في بجاية وباتنة وغيرهما يساقون إلى المحاكمة، المرة بعد الأخرى، ويغرمون من أجل التعليم ويهددون بالسجن.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وهذه مدرسة دار الحديث بتلمسان مغلقة إلى اليوم، وكم أذكر؟ وكم أعدد؟ فلقد هبت الأمة لتعلم دينها ولغة دينها في جد و نشاط فاق السنوات المتقدمة، فعوجلت بهذه البلايا والمحن. حقا لقد كانت سنتنا الماضية سنة عمل وسنة ابتلاء ، وأي عامل صادق في عمله مخلص فيه لا يبتلى؟

وفيم هذا كله؟ على من ثرتم؟ وإلى من أسأتم؟ وأي حدود تعديتم؟ وماذا تبغون؟ لا والله، ما ثرتم إلا على الجهل والرذيلة. وما أسأتم إلا للأثرة والجبرية، وما تخطيتم إلا حدود الجمود والخرافة، ولا تبغون إلا الحق والخير والعدل والإحسان.

ألا في سبيل الله ما لقيتم؟ ألا في سبيل الله ما أنتم لاقون؟

أيها الإخوان، إن جمعيتكم أمينة على حفظ الإسلام، ولغة الإسلام في هذه الديار، فإن قانونها الأساسي ينص على أنها جمعية تهذيبية إرشادية، تحارب الآفات الاجتماعية، وكل ما يحرمه صريح الشرع؛ وتتدرع لغايتها بكل ما تراه صالحا نافعا، غير مخالف للقوانين المعمول بها، وأي وسيلة أقرب إلى تهذيب المسلمين ، وأي دواء أنجع في علاجهم من دينهم الإسلام الكريم؟ وبأي شيء يفهمون هذا الدين، و يصلون منه إلى ما فيه من تربية وتهذيب، إلا بالعربية لغة القرآن العظيم؟ وتعلم الإسلام ولغة الإسلام مباح في أصل القوانين. ولقد صدمت هذه القوانين الأصلية بمعاملات استثنائية رامية في فهم جميع المسلمين إلى مقاومة الإسلام ولغة الإسلام، وذلك هو الشاهد من آثارها في التغليق والتعطيل.

لقد قامت الجمعية بالدفاع إزاء هذا كله، وقامت معها جميع الهيئات أو جلها حتى تبين أن المسألة مسألة أمة لا مسألة جمعية، وأن المسلمين لا يسكتون عن تعلم دينهم ولغة دينهم بحال.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و قد جُيِّشَ على الإسلام من ناحية أخرى، فوضعت الذاتية الإسلامية في المساومة فرفعت الجمعية صوتها بالتحذير والتبيين، ووجدت من ممثلي الأمة أذانا صاغية، ففشلت تلك المساومة، وقبرت المسألة من ذلك اليوم، و المجد والخلود للإسلام.

وهكذا لا تفتأ جمعيتكم إن شاء الله دائبة في سبيل الإسلام والعربية لغة الإسلام في دائرة القانون العام، ولو لحقها في ذلك كل ظلم وعدوان.

أيها الإخوان قد تعاهدنا في مثل هذا العيد من السنة الماضية، تعاهدنا على خدمة مبادئ الجمعية وتوسيع نطاق أعمالها، ونشر هدايتها، ونصر كل عامل من رجالها بصبر وتضحية وثبات.وقد وفينا– والفضل لله– بهذا العهد أو بما استطعنا في السنة الماضية، فهل أنتم على هذا العهد فيما نستقبل من سنتنا؟ (أصوات بإجماع: معاهدون).

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

أيها الإخوان لقد اعتدنا في كل اجتماع عام من اجتماعاتنا أن نرفع شكوانا واحتجاجنا إلى الولاية العامة وإلى الحكومة العليا، ولم يرد لنا جواب مرة واحدة، بل يكون الجواب بزيادة الإرهاق وتضييق الخناق.

فصدر قانون النوادي الذي يرمي إلى إخلائها وحرمان الكبار من التهذيب في نواديهم، بعدما حرموا منه في مساجدهم، وصدر قانون 08 مارس الذي يرمي إلى غلق المدارس، وحرمان المسلمين من تهذيبهم، وتلقين دينهم وآداب دينهم ولغة دينهم؛ وصار من شروط إعطاء الرخصة للقليل الذي أعطيت له، أن يعلم على الكيفية القديمة، الخالية من كل تهذيب ذات العصا والفلقة والحصير، في العصر الذي تتقدم الأمم كل عام في أساليب التعليم، نرد نحن إلى الوراء، فاسمع وتعجب يا عصر المدنية والنور. وصدر أمر الولاية العامة بتحجير القسم الجنوبي من الوطن على كل منتسب للعلماء، بينما

[1]- سورة محمد، الآيتين (30-31).

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

تعطي الإعانات وتمنح التسهيلات للبعثات غير الإسلامية، لتنصير أبناء وبنات المسلمين، وصدرت الإيعازات– وخصوصا في الدوائر الممتزجة– إلى القياد ومن إليهم بالابتعاد عن رجال العلم، مما أحدث تباعدا في كثير من النواحي بين أبناء العرش الواحد، بينما نحن نسعى للتقريب والتأليف بين جميع المتساكنين، هذا هو الجواب العملي عن شكوانا واحتجاجنا.

وكذلك في أكثر اجتماعات المجلس الإداري، كنا نصدر البيان إثر البيان عن خطتنا وغرضنا، وأن غايتنا من أول أمرنا هي تهذيب المسلمين بدينهم ولغة دينهم في دائرة القانون، وأننا نريد من ذلك رفع مستوى المسلمين الجزائريين العقلي والأخلاقي، ليتعاونوا مع من يساكنونهم بكفاءة وتآخ واحترام، وأننا نعمل لذلك بواجب ديننا، ووحي ضمائرنا، وأن كل ما أصابنا هو في سبيل تعليم الدين ولغة الدين، فلم يُرَد علينا بجواب واحد، بل يرد علينا بقلب الحقائق وترويج الأباطيل، وبعث الأراجيف، فيكون ذلك هو الجواب العملي.

أيها الإخوان، فنحن مع بقائنا على جميع ما قلنا وبينا، واستمرارنا في موقفنا كما كنا، لا نريد اليوم أن نرفع شكوانا ولا أن نقدم احتجاجنا. وحسبنا في هذه السنة السكوت. وكفى بالسكوت احتجاجا عند من عرف وأنصف. وحسبنا الله ونعم الوكيل"[1].

-الخطيب الفذ :

إن الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي الذي كانت تمر به الجزائر في عهد الاستعمار، كان عاملا حاسما في توجيه الحياة الأدبية في مختلف مراحلها، وبخاصة عند رجال الحركة الإصلاحية حيث جاء جل إنتاجهم الأدبي يصب في خانة الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي، وقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس رفقه بقية رجال

[1]- الشهاب- المجلد: 14- الجزء: 08- الصادر غرة شعبان 1357هـ الموافق لأكتوبر 1938م ، ص 443-447.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الإصلاح وبخاصة المنضوين تحت لواء جمعية العلماء المسلمين في تحاور واتصال دائم مع الشعب وفي سجال مستمر مع الاستعمار. وهذا ما جعل الخطابة من الوسائل التي توسعوا في استعمالها واللجوء إليها في إيقاظ الوعي وبث الروح الوطنية. يقول مالك بن بني "... حتى إذا ظهرت الفكرة الإصلاحية حوالي سنة 1925م تحركت المشكلة الجزائرية، وقد أوتيت لسانا ينطق وفكرة تنير لها الطريق."[1]

فالنشاط الخطابي كان ذا حيز مهم عند الشيخ عبد الحميد بن باديس وذلك استجابة للدور الذي اختاره لنفسه في الحياة، والمتمثل في التصدي لمهمة الإصلاح والتوجيه والتهذيب ، و كل الظروف التي كانت سائدة في الجزائر وبخاصة فترة ما بين الحربين كانت تدفع إلى انتعاش وازدهار فن الخطابة ، "فالاضطرابات السياسية في الجزائر لم تكن تخطئها ، والصراع الفكري كان حادا عنيفا بين الهيئات الدينية والإصلاحية والصوفية و السياسية جميعا. ينضاف إلى كل ذلك أن المناسبات الدينية كانت تأخذ حيزا كبيرا من اهتمامات الجزائريين، فيتفننون في إحيائها والاحتفاء بها كل تفنن، كما أن هذه الفترة عرفت رجالات كبارا: علما وأدبا وإصلاحا و وطنية وموهبة وتطلعا"[2].

وكان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي جمعت شمل النخبة الإصلاحية في الجزائر دافعا قويا لازدهار الخطابة أيضا، وذلك لضرورة وجود خطباء يدعون إلى أفكارها وينشرون مبادئها بين أفراد الشعب، ويدافعون عنها ويردون شبه وأراجيف المخالفين والمناوئين.

[1]- مالك بن نبي- شروط النهضة- دار الفكر- دمشق- سوريا- 1987م- ص 26.
[2]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر- 1931م-1954م- ص 292.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

" ولقد استطاع فن الخطابة أن يؤدي دوره الأدبي على وجه يكاد يكون حسنا، حيث طرق أهم الموضوعات التي تشغل الناس يومئذ، وعالجها في شجاعة وإقدام، بالرغم من اضطهاد الاستعمار، وتضييقه الشديد على المثقفين باللغة العربية"[1].

و فرضت مكانة الشيخ عبد الحميد بن باديس بصفته رائد النهضة وقائدها، وزعيم الأمة ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن يعمل جاهدا على توطيد العلاقة بينه وبين الأمة، وتقريب المسافة بينه وبين أفرادها، فكانت الخطابة من أهم ما توسل به إلى هذه الأهداف، فكان يخطب في الخاصة في اجتماعات جمعية العلماء وجمعية التربية والتعليم[2] ، وافتتاح مجالس التفسير وحلقات الدروس.ويخطب في العامة في أثناء رحلاته وتنقلاته عبر أرجاء البلاد وفي المناسبات الدينية والاجتماعية، فيقوم بتوعية الأهالي وتوجيههم.

"ولم يكن ابن باديس مصلحا دينيا يعنى بالدين وحده، عازفا عن كل ما عدا ذلك، كما يُخَيَّل لبعض الناس ، بل كان رجلا مثقفا ملتزما إزاء مجتمعه و إزاء وطنه ، يقبل على الكتابات الدينية حينا، ويعزف عنها حينا آخر إلى المواضيع الأخرى المختلفة، وكان يضطره إلى طرق هذه المواضيع المختلفة، ما كان يتمتع به من مكانة اجتماعية كرئيس لجمعية العلماء ، و كمدير لمجلة ذائعة الصيت ، طائرة الذكر، وكزعيم شعبي محبوب."[3]

وقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس من أخطب الناس في الجزائر على عهده– إن لم يكن أخطبهم– وقد شهد له بذلك معاصروه جميعا، أعداؤه، قبل أصدقائه.

---

[1]- المرجع السابق - ص 292.

[2]- جمعية التربية والتعليم الإسلامية: وهي أول جمعية إسلامية تعني بالتربية والتعليم يرخص لها في قسنطينة سنة 1349 هـ- 1930م، واختارت الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيسا لها، وكانت تهدف إلى نشر الأخلاق الفاضلة والمعارف الدينية والعربية، والصنائع والحرف اليدوية. واستعان في سبيل تحقيق ذلك بإنشاء مدرسة للتعليم و ملجإ للأيتام، و ناد للمحاضرات ومشغل لتعليم الحرف، وكانت الجمعية ترسل النابغين من طلابها لاستكمال دراستهم في بعض الدول العربية واعتمدت في تمويل أنشطتها على تبرعات المحسنين ومصروفات القادرين من طلابها، وكانت تعفي البنات من مصروفات التعليم، فيتعلمن بالمجان، أما البنون فلا يُعفى منهم إلا غير القادرين .

[3]- عبد الملك مرتاض- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر- 1925م-1954م- ص 62-63.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

فهو "يتمتع بموهبة خطابية فذة، وله قدرة كبيرة على التأثير في الجماهير وإقناعهم بوجاهة الفكرة التي يدعو إليها ويعمل من أجلها، وقد كان يعتمد على هذه الموهبة الخطابية في نشر دعوته الإصلاحية في مختلف الأوساط الجزائرية وإقناعهم بها"[1].

و خير شاهد على ذلك ما كتبته جريدة فرنسية تصدر في تونس هي جريدة "البتي ماتان" Le petit matin في عددها الصادر بتاريخ 19 ماي سنة 1937م- بمناسبة خطاب ألقاه الشيخ عبد الحميد بن باديس في الذكرى العشرين لوفاة الأستاذ "البشير صفر"، بدعوة من الجمعية الخلدونية- وقد ترجمت مجلة الشهاب، وصف هذه الجريدة لمقدرة ابن باديس الخطابية ونشرته في الجزء الخامس من المجلد الثالث عشر الصادر في جمادى الأولى 1356 هـ- الموافق لجويلية 1937م- وهذه أجزاء منه : " ولقد وقف للمشاركة في هذه الحفلة عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين... والشيخ عبد الحميد بن باديس يمثل حقا الزعيم الخطيب، فهو قد ملك مقاليد الكلام، وبصوته الناري يستفز الجماهير، فيثير الحروب أو ينزل في القلوب سكينة السلام. وهو الرجل الذي وصل في القطر الجزائري إلى درجة التقديس وتسير وراء خطواته تسعة أعشار الأمة.

أما سمعته فقد اخترقت البحار، و أصبح الشرق يعتبره من أكبر رجاله، وكان أثناء خطابه يشير بذراعيه العاريتين إشارات هي في آن واحد، إشارات الذي يبارك، وإشارات الذي يقتل، وتصحب إشاراته نبرات صوت عالية، تخترق أحيانا طبقات الفضاء وتكتسي أحيانا أخرى هدوء العظمة والجلال، وإن نبرات صوته لتنتزع منك الإعجاب انتزاعا، ثم تجتث من صدرك ما أنت مقنع به من رأي، وتجعل منك عبده وملك يمينه، فيكيفك كما يريد حسب فكره النير، ثم يجعلك تحس إحساسه وتفكر بتفكيره، وطالما تكون مقتنعا بعكس أفكاره ، فإذا ما رجعت إلى نفسك وفكرت في الذي سمعت منه وجدت أفكاره حقائق متينة لا تدفعها حجة، وأخيرا إنه لرجل قادر وإنه لمنوم ساحر.

[1]- تركي رابح- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر - ص 187.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

إن عملا يقوم به ابن باديس لا يمكنه أن يتضاءل و لا أن يقف ، بل إنه عمل لا يسير إلا إلى الأمام ، و لابد له أن يتضخم و أن ينتشر وأن يكتسح كالسيل العرم المدن والبادية ويحي الموات ويتلف المعارضة...لقد حرك الشيخ بكلماته أمس أوتار القلوب، فأبدع وأدهش وقطع الأنفاس من شدة التأثير، وابتلت الحناجر وسالت الدموع... لقد يستطيع أن يفعل ما يريده في الجموع التي كانت بالأمس تستمع إلى خطابه ، كان يستطيع أن يجعل منها أسرابا من الطيور الكاسرة أو قطيعا من الخرفان، وهذا ما نستطيع أن نصف به هذا الرجل الخارق للعادة". معرّب عن البتي ماتان: 29 ماي 1937م.

ففي خطبه كان يعمد إلى الاستعمار فيفضح خططه ويكشف عملاءه، ويشخص تعنت وجبروت الإدارة الفرنسية في الجزائر و يبين معاناة الشعب الجزائري ، ثم يصف دائما الدواء بأنه الوعي والاستيقاظ والسعي نحو الحرية ، "وكان قد منحه الله موهبة خطابية فذة، وقدرات ذاتية فائقة، فكان قوي الشخصية، شجاعا جريئا، عميق الإحساس بمعاناة أمته صادق الإيمان بآرائه، دامغ الحجة في تحليلاته... وكان إلى جانب ذلك يملك ناصية الفصاحة والبيان، رائق المنطق، طلق البديهة، ثابت الجنان، جهير الصوت، فصيح اللسان"[1].

وهذا القبول من الجماهير له جاء نتيجة لكون خطبه " تتناسب مع وعي الجماهير التي يخاطبها، كما أن مصداقية الخطيب تعتمد بصورة تكاد تكون تامة، على أخلاقياته الشخصية وإحساسه بالمسؤولية تجاه مستمعيه"[2].

إن من أخص خصائص الجنس الخطابي أنه خارجي في علاقته بنفس الخطيب "وأنه نفعي مباشر، سمته الأساسية هي حرص الخطيب على التوجه إلى جمهوره وتجاوزه نطاق ذاته حتما، إلا في حدود ما يستغله من صفات شخصيته بقصد التأثير في الجمهور، بقدر ما استقر في ذهن جمهوره عنها. ثم إن الخطابة على الرغم مما يجب توافره في عبارتها من

[1]- محمد بن سمينة- في الأدب العربي الحديث بالجزائر- الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس- ص 27.
[2]- خليل الخطيب- فنون الكتابة الأدبية- ص 177- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

سمات فنية، تظـل ذات غاية محددة يقصـد إليـها الخطيـب من سياسيـة أو اجتماعـية أو شخصية، وهذه الغاية مباشرة سافرة، هي محور خواطر الخطيب، وعماد استدلاله"[1].

و أهمية أفكار الشيخ عبد الحميد بن باديس ورؤاه الإصلاحية في شتى الميادين لا تكمن فقط في جرأتها وجدتها وأسلوب السعي لتحقيقها، ولكن تكمن أساسا في وضوح رؤيته لأمة جزائرية عربية إسلامية ، بكل ما يحمله هذان البعدان (العروبة والإسلام) من دلالات.

وما بلغه الشيخ عبد الحميد بن باديس من سمو ورفعة لم يأت من فراغ ولا دون ثمن، بل كان نتيجة طبيعية للجهود الحثيثة التي بذلها في مجال التعلم والتحصيل والاجتهاد والمثابرة لأجل الوصول إلى شخصية ذات صدى واسع في نفوس الناس، وكذا بناء شخصية تشكل هاجسا بالنسبة للاستعمار وعملائه.

[1]- محمد غنيمي هلال- قضايا معاصرة في الأدب والنقد- دار نهضة مصر للطبع والنشر- القاهرة- مصر- ص 157-158- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

- **السمات العامة**

ألقى الشيخ عبد الحميد بن باديس هذه الخطبة في الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لشهر سبتمبر 1938م، الذي كان ينعقد كل سنة لعرض حصيلة السنة الماضية وبرنامج السنة المقبلة.

و جاءت متنوعة في موضوعها، فهي خطبة إصلاحية سياسية وطنية، تتخللها نزعة دينية واضحة ، وهذا من المميزات الخاصة للإنتاج الأدبي للشيخ عبد الحميد بن باديس خصوصا ، ولأدباء الحركة الإصلاحية عموما.

افتتح الخطبة بحمد الله عز وجل والثناء عليه ثم الصلاة والتسليم على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

ثم تبدأ بألفاظ مشوقة تحيط بها ظلال موحية تعتبر مثالا حيا لتمكن الخطيب من ناصية اللغة العربية وفنون بيانها الأصيلة.

فهي بداية هادئة لينة، ساكنة رفيقة، تمهد نفوس السامعين وأذهانهم للإلمام بطلائع الموضوع، و تهيء قلوبهم لما يريد أن يلقيه إليهم، وما يطرقه أمامهم، ثم يشعرهم بأن الأمر لا يقبل هدوءا ولا سكونا ولا لينا ولا رفقا بل يستدعي صخبا، وشدة واضطرابا وعنفا، وذلك بمجرد حديثه عن المساجين والمنكوبين والمتهمين، ثم ذكره لبعض البلايا التي أصابت الأمة في رجالاتها المصلحين وزعمائها العاملين، ويذكرهم بالإشارة إليهم بقوله: " هذا ...".

" وكأن ابن باديس باصطناعه مثل عبارة "هذا" وما يتفرع منها أراد أن يكدس شحنة هائلة من الحماس المضطرم، والغضب المتأجج والحمية الحادة، في قلوب الحاضرين فتثور لذلك ثائرتهم، وتقوم قائمهتم، وتضطرم حمياتهم ليثوروا ثورة أزلية على الاستعمار الذي أهان الجزائريين– على هونه– في كرامتهم، ومسهم في صميم دينهم، واعتدى على معتقداتهم،

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

فأصبحوا يلقون في ذات الله وفي ذات الوطن، وفي ذات الكرامة جميعا من النكال الفضيع، والشر المستطير، والهول العظيم، ما لا تحتمله النفوس ولا تطيقه القلوب"[1].

فالإصلاح والسياسة الوطنية لا حدود فارقة بينها إذا تم جمعها في بوتقة واحدة هي بوتقة الحرية التي أنشأها الشيخ ابن باديس من العروبة والإسلام، البعدان العميقان للجزائر.

" ولا يكاد ابن باديس يأتي على تقديم الخبر مجردا، حتى يثور على الوقائع التي ائتلف منها هذا الخبر المشؤوم، الذي يتمثل في ثالوث لعين: أوله سجن، ووسطه اتهام، وآخره نكبة. والسجن نتيجة حتمية للاتهام، والنكبة نتيجة لهما جميعا، وثورته على هذا الثالوث الخبيث تدل عليها استفهاماته المتلاحقة، واستنكاراته الصارخة، فهو قد ضجر من تعداد النكبات التي ألمت على العلماء، لأنها كثيرة، ولأن مصدرها ظلم مبرح، كما ضجر من تعداد الكوارث التي باتت تفغر فاها القذر للشعب الجزائري الممتحن"[2].

يتحدث بلهجة صادقة وروح ثائرة وتعبير حار يترجم عن النفس والروح الجزائرية الثائرة، فهو يوظف في خطبته الاستفهامات التي جاءت حزينة في أول الأمر لتصير هائجة جامحة في آخره، وهذا إنما يهدف إلى إيقاظ الغافل وتنبيه الساذج، فيكون بذلك بعثا للهمم وتحريكا للنفوس من خلال الانفعال الشديد والغضب المتأجج.

ثم إنه يستعمل الصيغ الإنشائية المتنوعة في التساؤل والتعجب، والاستنكار فإن السامع لمقاطع مثل: "وفيم هذا كله؟ على من ثرتم؟ وإلى من أسأتم؟ وأي حدود تعديتم؟ ... لا والله ما ثرتم إلا على الجهل والرذيلة..."

"فإنه يقتنع بما اقتنع ويدرك من الروعة البيانية ما يدرك، فلقد بلغ ابن باديس في هذه المقاطع القمة البلاغية، واستأثر بعنان الخطابة المتسامية، دقة وحماسا، وجمالا، فهو هنا

[1]- عبد الملك مرتاض- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر – ص 65.
[2]- المرجع نفسه – ص 67.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

يجسد البيان في أعلى نماذجه والبلاغة في أرقى أمثلتها، إنه يشتمل على سحر عجيب وبيان كريم"[1].

ثم يردف بعبارات فيها أسف ممزوج بفرح، ويأس يتخلله الرجاء وهو قوله:"ألا في سبيل الله ما لقيتم، ألا في سبيل الله ما أنتم لاقون؟".

إن الشيخ عبد الحميد بن باديس يعلم يقينـــا بأن الشعب الجزائري كلما زاد تمسكه بدينـــه ولغته وهويته ومقوماته الحضارية، وكلما زاد رغبته في الحرية، وكلما زاد التفافه حول زعمائه وعلمائه، كلما أذاقه المستعمـــر أنواع العذاب والتنكيل و الإهانات والبطش والاضطهاد، ما لم يذقه من قبل، وقد كان الأمر كذلك، فبعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس بخمس سنوات فقط (أي سنة 1945م)، فقد قتل الاستعمار الفرنسي من الجزائريين أكثر من خمسة وأربعين ألفا في أقل من أسبوع واحد.

ثم يتحدث عن التزام الجمعية بخطها وخطتها واستمرارها في أداء رسالتها رغم التضييق الذي يزداد يوما بعد يوم ، خاصة بعد صدور قانون 8 مارس 1938م ، الذي يمنع فتح المدارس الحرة و تعليم العربية و الإسلام ، إلا برخصة من الإدارة الاستعمارية.

وأن الهم ليس هم جمعية بل هو هم أمة، ثم إنهم في كل عام يرفعون شكاوى واحتجاجات للسلطات الفرنسية المحلية والمركزية، ولكن لا يتلقون أي رد، إلا ذلك الإمعان في الاضطهاد و القمع والتضييق عليهم وعلى الشعب الجزائري، وهو رد بلسان الحال لا بلسان المقال، إنه جواب عملي يغني عن كل جواب، فقرر الشيخ أن في هذه السنة عليهم التزام الصمت، والتوكل على الله.

" ونحن لم نجد في أدبنا المعاصر إطلاقا خطبة أحر لهجة، ولا أجمل طريقة، ولا أشرف غاية، ولا أبلغ تعبيرا، من هذه الخطبة لابن باديس، فهي مثال عال من أمثلة البيان

[1]- المرجع السابق - ص 68.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

العربي الأصيل الذي لم تعدمه الجزائر، كتابها وخطباءها وشعراءها، حتى في أحرج الفترات التاريخية من حياتها الحافلة بالحوادث والثورات"[1].

وقد امتاز أسلوب الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذه الخطبة بالوضوح والدقة واختيار الألفاظ، والتفصيل في قوله وحديثه، كما أنه لا يستخدم المحسنات البديعية ولا الصور البيانية إلا في أحيان قليلة ويكون ذلك عفوا دون تكلف ولا يقصد إليه قصدا.

ومما يلاحظ على أسلوبه أيضا الإلحاح على المعنى الواحد بألفاظ كثيرة، رغبة في زيادة التوكيد على ما يهدف إلى التركيز عليه لدى السامع كقوله: "لا والله ما ثرتم إلا على الجهل والرذيلة، وما أسأتم إلا للأثرة والجبرية، وما تخطيتم إلا حدود الجمود والخرافة، ولا تبغون إلا الحق والخير، والعمل والإحسان..."، فهذه صور مكتظة بالمعاني غنية بالشعور الجارف.

أما النزعة الدينية فهي أوضح من أن تخفى من خلال الألفاظ الدينية الكثيرة والافتتاح للخطبة بالحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم، إضافة إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم الذي يعتبر الرافد الأساسي للغة العربية ليليه الحديث النبوي الشريف والتراث العربي قديمه وحديثه، فهو بحكم دعوته الإصلاحي وتكوينه الثقافي العربي الإسلامي فإنه كغيره من الأدباء الإصلاحيين الذي كانت لهم عناية خاصة بالقرآن الكريم " الذي يعد الرافد القوي والمنبع الثري للثقافة العربية، والاهتمام به حفظا وتذوقا، ودراسة و تفسيرا، استجابة لطبيعة هذه الرسالة التي يحملها رجال الإصلاح، وهم يقاومون تيار الثقافات الأجنبية الدخيلة، وقد تركت هذه العناية بالقرآن الكريم بصمات واضحة في أساليب الكتابة لدى الأدباء الإصلاحيين، الشعراء منهم والكتاب على حد سواء، فقد طبعتها بطابع القوة و المتانة وأكسبتها جزالة في التعبير و أسرا في التركيب"[2].

---

[1]- المرجع السابق - 68.

[2]- محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث – اتجاهاته و خصائصه الفنية 1925م– 1975م – ص 43-44 – بتصرف .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

والملاحظ على مضمون هذه الخطبة أنها لم تلتزم موضوعا واحدا على الرغم من التزامها بقضية تضييق الاستعمار على الجزائريين وعلى علمائهم وزعمائهم.

" فابن باديس في خطبه لا يركز على غرض واحد بل نجده حينا يركز على الدين وحينا على الإصلاح والاجتماع، وأحيانا أخرى على السياسة والإصلاح معا، وعلى التربية والأخلاق في أوقات كثيرة ومن سماته في خطبه... أنه يستخدمها ليؤكد أغراضه وأهدافه الإصلاحية والوطنية، لذلك ينتهز الفرصة لتوضيح هذه الأفكار وشرحها ونشرها بين الناس"[1].

وخطبة الشيخ ابن باديس هذه على الرغم من جزالة ألفاظها المنتقاة ومتانة أسلوبها المتماسك، فإنها تكاد تخلو من الأخيلة وأنواع الصور الفنية، وذلك راجع لكون الخطيب ألصق بالواقع لغرض الخطابة التي تعتمد على قول الحق واعتماد الصدق والصراحة والأسلوب التقريري المباشر الذي أغناه عن تزيين الكلام بالصور الفنية والمحسنات البديعية إلا ما جاء عفو الخاطر.

"وهذه الخطبة عظيمة الأهمية من حيث محتواها، لأنها تبين لنا بوضوح اللهجة التي كان يخاطب ابن باديس بها المستعمرين، فهي تمتاز بالصراحة التامة، والجرأة الجريئة، كما تمتاز بالتصوير الدقيق والتحليل الرائع لحالة الاستعمار النفسية، وكيف أنه كان يتصام عن أن يسمع صرخات الوطنيين و المصلحين المدوية... وكأن هذا الاستعمار كان يعاكس الوطنيين معاكسة مقصودة"[2].

فكلما تعالت أصواتهم وتضاعفت نداءاتهم ومطالبهم للتخفيف من آلام الشعب الجزائري وكلما التمسوا منه شيئا أو اشتكوا منه واحتجوا ضده، لأنه تجاهل مطامحهم وأعرض عن نداءاتهم، كلما فعلوا ذلك إلا وضاعف من خبثه ولؤمه وعذابه لهم، وتحطيمه لآمالهم

[1]- عبد الله الركيبي- تطور النثر الجزائري الحديث- ص 24.
[2]- عبد الملك مرتاض- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925م- 1954م- ص 72.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وتضييقه عليهم، وما كان جوابه يوما إلا " بزيادة الإرهاق وتضييق الخناق " كما قال الشيخ عبد الحميد ابن باديس. وإن اللغة الفصيحة لهذه الخطبة إنما تعبر عن أسلوب ابن باديس العملي سعيا إلى صيانتها وحفظها وحمايتها من محاولات الاستعمار طمسها والقضاء عليها في إطار حملته الشعواء للقضاء على مقومات الهوية الوطنية الجزائرية لأن "اللغة مكون أساسي من مكونات الشخصية والحضارة من حيث أنها تجمع بين الحفاظ على التراث الإسلامي والاستفادة من منجزات العصر. ولكون اللغة العربية تمتاز على كثير من اللغات بكونها لغة الدين والدنيا ،وبالتالي فإن مجال انتشارها، حاضرا ومستقبلا، غير محصور في نطاق العالم العربي، بل يمتد إلى سائر الأقطار التي تدين بالإسلام. "[1]

فباللغة العربية كتب الشعب الجزائري ثقافته وأدبه وتاريخه، فدل بذلك على عراقة عروبته وأصالة شخصيته التي سعى ابن باديس وعامة رجال الإصلاح إلى الحفاظ عليها ورد هجمات الاستعمار التي كانت تستهدفها، "وقد كانت الجزائر ذات كيان ثقافي مستقل عميق الأصالة قوي الشخصية، وكانت الثقافة العربية بمثابة السلاح المعنوي القوي الذي ظل يحارب الاستعمار الفرنسي من حيث يشعر، ومن حيث لا يشعر، كما كانت هذه الثقافة بمثابة الحجاب الذي ظل يحصن الشعب الجزائري من طغيان الغزو الثقافي الأجنبي... والاستعمار الفرنسي لم ينجح قط في غزو عقول الجزائريين بثقافته، وهذا النفي ينطبق انطباقا تماما على سكان البوادي بدون استثناء، في حين أنه نجح نجاحا جزئيا آخر الأمر بالقياس إلى المدن"[2].

فالشيخ عبد الحميد بن باديس قد هزه منظر محاربة العروبة والإسلام والفضيلة، فجعل منها أركانا بنى عليها نهضة الجزائر ورغب الشعب الجزائري في الحرية والإسلام في خطبة هي في أصلها خاصة بعرض الحالة الأدبية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي جرت

[1]- حنفي بن عيسى- نشر اللغة والثقافة العربية في الخارج- مجلة الثقافة- وزارة الإعلام والثقافة - الجزائر- السنة 10- العدد 56- ربيع الثاني/ جمادى الأولى 1400 هـ- مارس / أفريل 1980م- ص 06.

[2]- عبد الملك مرتاض- أصالة الشخصية الجزائرية- مجلة الأصالة- وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية- الجزائر- السنة: 02- العدد 08- ربيع الثاني/ جمادى الأولى 1392 هـ- ماي / جوان 1972م- ص 221-222- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

عليها العادة في كل سنة. جاءت هذه الخطبة حافلة بالدين والسياسة والتاريخ، فهو يعرض على السامعين عقله وما عنده من تجربة وسرعة بديهة ومهابة في الوقفة و جودة في الإلقاء فكان من ذلك في أسمى المراتب.

ولهذا فهو قد حصل العُدَّة المطلوبة من جميع جهاتها، الشخصية منها والخطابية والتي شكلت عاملا مهما في نجاحه ونبوغه في هذا الفن حيث قرن جودة الأفكار والرؤى بجودة الأسلوب والخطاب.

"والمتأمل في تراث الإمام الخطابي يلحظ أن نصوصه تختلف اختلافا واضحا من حيث أبنيتها... وإن ما يمكن قوله عن هيكل بناء خطب الإمام أنها امتازت – لانتهاجه فيها منهجا واقعيا جادا– بغير قليل من الإحكام والتماسك بين أجزائها، ذلك أنه لم يكن يهجم على موضوعات خطبه، وإنما كان يستهلها بمقدمة غالبا ما تكون مسجوعة، وقد تقصر حينا وتطول حينا، إلا أنها إلى القصر بوجه عام أقرب ، وما يميز هذه المقدمات في الغالب أنه يعنى باختيار معانيها لتكون أكثر نجاحا في تحقيق الهدف منها بالتمهيد لأفكار موضوعه واستمالة المتلقين لها، وكانت معانيها في معظمها دينية قريبة من الموضوع المعالج"[1].

وهي السمة ذاتها التي اتسمت بها خواتم خطبه إذ كانت ذات طابع تراثي ديني فبعد وصوله للنتيجة المرجوة من عرض الموضوع والحجج والتفنيد فإنه ينهيها بمعان تدل في مجملها على الدعاء بالخير والصلاح لعامة المسلمين وللإنسانية جمعاء، وهو يتأسى في ذلك (المقدمة والخاتمة) بخطب النبي –صلى الله عليه وسلم–وخطب الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

أما من ناحية الحجم، فقد تنوعت خطب الشيخ عبد الحميد بن باديس بين القصر والطول، والتوسط أيضا؛ فالخطب القصار كانت تلك المتعلقة بافتتاح دروس التفسير

[1]- محمد بن سمينة- في الأدب العربي الحديث بالجزائر- الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس- ص 30- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

والخطب المنبرية والعيدية وخطب المولد، وبعض المناسبات الدينية والاجتماعية الأخرى كالهجرة النبوية، بينما خطب بالطوال ارتجالا في اللقاءات السنوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكذا بعض المناسبات الهامة، وكانت المتوسطة خاصة ببقية الشؤون والأحداث.

غير أن ظاهرة القصر هي الغالبة على معظم خطبه التي وصلتنا، لأن جلها لم يصلنا لارتجالها وعدم تدوينها في غالب الأحيان، إضافة إلى غياب وسائل التسجيل كما هو الشأن في زمننا الحاضر.

و عن أنواع خطبه واهتماماته فيها فإن الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس "كان يصدر في خطبه وفي غيرها من فنونه النثرية، عن نزعة دينية واضحة تستهدف أبعادا تهذيبية اجتماعية سياسية، إيمانا منه بأن الإسلام دين ودنيا، وقد ترتب عن هذه القناعة أن جاء الموضوع في خطبه لا يكاد يخرج عن هذه الأغراض الثلاثة التالية: الدينية والاجتماعية والسياسية، وهذه هي أشهر أنواع الخطابة، ومما يلاحظ بهذا الصدد، أن هذه الأفكار لا تأتي منفصلة بعضها عن بعض كأن تكون هذه الخطبة دينية بحتة، وتلك اجتماعية محضة، وثالثة سياسية خالصة، وإنما يعثر الباحث على هذه المعاني متعانقة متساوقة بعضها إلى جانب بعض في صلب الخطبة الواحدة"[1].

فالمعنى الديني والمعنى الاجتماعي والمعنى السياسي تأتي جميعا مترافقة منسجمة لخدمة الغاية المرجوة من الخطبة وهي إصلاح حال الجزائري دينيا واجتماعيا وسياسيا ، وبناء الإنسان والسمو به روحا ومادة، عقلا وسلوكا وقلبا، وذلك كله لغاية أسمى هي الحرية لهذا الوطن.

و لم يكن الشيخ إماما للصلاة فقــط ، بل كان إماما و مصلحا و عالما و أديبا مربيا ومعلما، فقد أشار في خطبته السابقة الذكر أن القضية ليست قضية جمعية العلماء المسلمين

[1]- المرجع السابق، ص 31- بتصرف

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ولكنها قضية أمة ، فكينونة الأمة و سيرورتها وصيرورتها، ماض وحاضرا ومستقبلا ،هي الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله خطبه، وهذا ما جعلها شديدة الصلة بالواقع بعيدة عن الموضوعات المستهلكة الجاهزة في خطب يقرأها الخطباء من باب القيام بالوظيفة وآداء المهمة.

و كان الشيخ في خطبه كثير الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والاقتباس منهما، إضافة إلى توظيفه للتراث العربي شعرا ونثرا أمثالا وحكما ، مستغلا بذلك سعة اطلاعه وتنوع ثقافته.

"وفي هذا كله كان لا يتكلف أو يسعى لإبراز قدراته اللغوية، بل اتخذ الخطابة وسيلة يستخدمها لإظهار مقاصده في التربية والإصلاح... ويستغل الفرص المناسبة لتوضيح أفكاره ونشرها"[1].

واعتماده على الاستشهاد والاقتباس إنما يدل على ثقافته العربية الدينية الواسعة، والتي هدف من خلالها إلى خدمة موضوعات خطبه بما يتفق مع أهدافه الإصلاحية والتربوية "ككل الرجال العظام الذين تركوا بصماتهم الثابتة في تاريخ أمتهم، ولعبوا دورا فعالا في مجرى هذا التاريخ"[2].

وقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس قلما يعمد إلى الانفعالات العاطفية والإثارة الوجدانية كالذي شهدناه في خطبته المدروسة، بل كان يعتمد أساسا على جملة من الأدلة المنطقية والحجج العقلية والبراهين الإيمانية والأدوات التقريرية، أما انفعاله الملحوظ في الخطبة السالفة الذكر، فيرجع كما أورده في كل خطبته وبخاصة في خاتمتها إلى التطورات

[1]- عيسى بن ساعد مدور- الخطابة في النثر الجزائري الحديث- موضوعاتها وخصائصها- 1931م- 1945م- رسالة دكتوراه- إشراف الأستاذ الدكتور: عبد القادر دامخي- قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الجزائر- الجزائر - 1424 هـ/ 1425 هـ- 2004م- 2005م- ص 109.

[2]- أحمد الخطيب- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1985م - ص 122.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الحاصلة في الموقف الفرنسي تجاه الجزائريين وتجاه مصلحيهم وعلمائهم، وإمعانه في اضطهادهم والتضييق عليهم أكثر كلما اشتكوا واحتجوا.

و إلى ذلك فإن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان في خطبه قليل الاهتمام بالجانب التصويري وكان توظيفه للصور الفنية لا يعدو سعيه لإجلاء المعنى وتقريره، رغم ما فيها من ملامح جمالية وبيانية وتعابير تشعرنا بصدقه في كل ما يذهب إليه.

" وكان يميل – فيما يختار لمعانيه من وجوه الصياغة– إلى القيم التبليغية أكثر مما كان يميل إلى القيم البلاغية، ينتقي من طرائق التعبير وألوان التصوير ما يجلي المعنى، ويؤديه تأدية صحيحة محكمة، وكان لا يحفل في خطبه بمظاهر التصوير والتلوين والإيقاع، بقدر ما يعنى بقيم الوضوح والتبليغ والإقناع، ومن ثم كان يغلب على قيمه التعبيرية الأسلوب التقريري الذي يركز فيه على بعض أساليب التوكيد من تكرار وقصر وقسم، وبعض صيغ الطلب من أمر ونهي واستفهام"[1].

ولم يكن يصطنع المحسنات البديعية ولا الزخرف اللفظي، إلا ما جاء منه عفوا في مقدمات معظم خطبة أو في صلب الموضوع في بعضها، فجاء أسلوبه مرسلا متينا غير مقيد بفاصلة ولا بإيقاع، إلا في القليل النادر.

" كما أن الجدية المطلقة تبدو واضحة في خطابته، فهو لا يعمد إلى الفكاهة أوالنكتة أو السخرية اللاذعة، لأن شخصيته لا تميل إلى مثل هذا الأسلوب، وإنما تميل إلى الجد والرزانة والهدوء في التعبير والقصد في القول، والهجوم على الموضوع بلا تزويق أو تنميق أو بهرجة لفظية، فهو من خطباء المعاني لا الألفاظ"[2].

ويمكن القول أن الشيخ عبد الحميد بن باديس "بانتهاجه هذه المنهج في صنعته الأدبية، يفهم الغاية من البلاغة كما يفهمها القدامى، على أنها الإفادة والإفهام مع شرف المعنى

[1]- محمد بن سمينة- في الأدب العربي الحديث بالجزائر- الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس- ص 32.
[2]- عبد الله الركيبي- تطور النثر الجزائري الحديث- ص 28.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وحسن اللفظ، وهذه هي الغاية عينها التي رأينا أنه يركز عليها وينشدها في سائر أعماله، فكان بذلك لتراثه عموما وخطبه خصوصا صدى كبير في حياة الأمة وحظ وافر من الفاعلية على حركة جهادها، وذلك بما تضمنته من قيم وتوجيهات نحو أهدافها الكبرى"[1].

فخطبه من الناحية الفنية تمتاز ببعض سمات الأسلوب الأدبي أكثر منها في بقية فنونه الأخرى، وظهرت عليها سمات أدبية واضحة، ومن الناحية الفكرية فقد حملت قيما تاريخية تتمثل في صور من جهاد ونضال الشعب الجزائري وتضحياته من أجل الحرية، وقيما اجتماعية وطنية تجلت في الحث على التآزر والاتحاد واستنهاض الهمم نحو العلم والعمل والتحرر،و قيما إنسانية قوامها الحق في الحياة والحرية بكل إنسان.

[1]- محمد بن سمينة- في الأدب العربي الحديث بالجزائر- الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس- ص 34.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ب-خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

- **خطبة الأستاذ الإبراهيمي التي ختم بها حفلة التكريم للأستاذ ابن باديس في كلية الشعب:**

"أيها الملأ الكرام:

ما أشرقت الشمس في الجزائر الحديثة على مثل يومكم بالأمس، ولقد مضى بجلاله وروعته، ولم ينطق في وصفه لسان بكلمة، ولا اختلجت في نعته شفتان بحرفٍ، لا زهدا فيه، ولا عدم عرفانا لحقه ولا غبنا لحقيقته، كيوم شوقي الذي قال فيه:

غُبِنَتْ حَقِيقَتُهُ وَفَاتَ جَمَالُهَا بَاعَ الخَيَالِ العَبْقَرِيِّ المُلْهَمِ[1].

وإنما هو كلام لله وبيت الله، عقدا الألسنة بجلالهما، وحبسا النفوس على جمالهما، فجاء اليوم وجاءت كلية الشعب يقضيان من ذلك حقا غير مغفل.

إن يوم أمس من أيام الأمم ، و لأيام الأمم غرر لوامع في تاريخها، ويد صناع في بناء مجدها. وصلة لا تنضب بتكوين أسباب بقائها وعظمتها، كما أنها شهود ناطقة بما في الأمة من معاني العز و العظمة.

لسنا نعني بأيام الأمم، هذه الأيام المتعاقبة التي يجمعها نسق الأسلوب، وتعرف بالأعلام وتمتاز بمراتبها العددية في الشهر، فقد تمر الآلاف منها على الأمم من غير أن تجمعهم جمعها على مأثرة تكسبهم عزا، ومن غير أن توحدهم آحادها على عمل يرفع لهم ذكرا. ثم لا تكون زيادتها إلا نقصا في أعمار الأفراد، وإبلاء للجديد من حياة المجموع.

وإنما نعني هذه الأيام التي هي لمع في الدهور، و شيات في غرر العصور، هذه الأيام التي تعرف بما يقع فيها من الأعمال، لا بما يوضع لها من الأعلام، وتذكر بآثارها في

[1]- أحمد شوقي - ديوان احمد شوقي (الشوقيات) - مراجعة : يوسف الشيخ محمد البقاعي- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- ط1- 2005م- ص 385.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الأمم، لا بمواقعها من الأسبوع أو الشهر، هذه الأيام التي تطول وتتسع حتى تستغرق القرون وتستوعب الأجيال، على حين يبقى غيرها محدودا بمطلع الشمس ومغربها.

إن أحدا من المسلمين لا يجهل يوم بدر، ولا يجهل – وإن كان عاميا– أثره في ظهور التوحيد على الشرك، ولكن قليلا منهم من يعرف أن اسمه يوم كذا، وأن نسبته من الشهر كذا، وقد غربت شمس يوم بدر منذ مئات الآلاف من الأيام، وجر عليه الفلك أذيال عشرات الآلاف من شركائه في الاسم، فلم يعف له رسما ولم يطمس له أثرا ، ومات معناه الزمني المحدود ولكن معناه التاريخي النفسي لم يمت، بل هو باق ما بقي الإسلام، طويل العمر ما طال ، واسع المعنى ما اتسع.

ولقد علمتنا لغة العرب فنا في خصـــائص الأشياء، فقهنا منــه أن من النساء عقائل، وأن في الأموال كرائم وأن في الجواهر فرائد و أن في النجوم درارى، و أن في الشعر عيونا، وأن في الذخائر أعلاقا، إلى آخر ما يجري على هذا النسق، حتى إذا وصلنا إلى الأيام وهذا أشد– من كل شيء– ارتباطا بشؤوننا، لم نجد لخصائصها في اللغة إلا أوصافا يتعاورها اشتراك الموصوفات، ويتجاذبها اختلاف الاعتبارات، ثم يذيلها شيوع الاتصاف، وتبذل الاستعمال حتى تقصر عن التأدية، خصوصا حين يفيض الوصف التاريخي على الوصف اللغوي. وإن من معجزات القرآن تسميته ليوم بدر بيوم الفرقان.

ولكن يسلينا أن ما قصرت فيه اللغة فلم تأت فيه بوصف يليق بجمالها وجلال هذه الأيام، قد وفى به التاريخ ، فلم نحفظ من أيام الأمم الكثيرة إلا أياما قليلة، فكان ذلك منه تعبيرا فصيحا على أن هذه الأيام هي الخوالد من بين الأيام البائدة. وهي الغرر في الكثرة البهيمة، وهي المشهودات وغيرها غفل، وكان ذلك منه وضعا تاريخيا يخصص الأوضاع اللغوية. فإذا قلنا: هذا يوم خالد، ويوم أنحر، ويوم مشهود ، اطمأنت النفوس إلى تمام التأدية بمراعاة الوضعين التاريخي واللغوي.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

أيها الإخوان:

إن يومكم الذي نتحدث عنه، هو اليوم الأغرّ المحجل في تاريخ الجزائر الحديث ، ولا أبعد إذا قلت إنه اليوم الأغر في قرون من تاريخ الإسلام.

هذا هو اليوم الذي يجب أن نؤرخ له في الطور الجديد من أطوار نهضتنا العلمية الدينية، ونؤرخ به لمبدإ ازدهارها وإثمارها ونموها و إبدارها.

هذا هو اليوم الذي التفت فيه الأمة حول دينها ولغتها، فأثبتت أنها أمة مسلمة عربية يأبى لها دينها أن تلين فيه للعاجم، وتأبى لها عربيتها أن تدين فيه للأعاجم.

هذا هو اليوم الذي تعلن فيه هذه الأمة إنابتها إلى ربها، وتكفيرها عن ذنبها، ورجوعها إلى الله رجوع عبد أوبقته جرائره، وافتضحت سرائره، وانقطعت أواصره، وعزّ مغيثه وناصره، وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فرجع على الطريق التي منها هرب، فإن هروب هذه الأمة من الله هو تفلتها من كتابه وبعدها عن هدايته، والتماسها الوصول إليه على غير طريقه، فضلت وتاهت قرونا، وها هي ذي تفيء إلى الله على طريق كتابه، وسنة محمد وأصحابه، وعسى هادي الحائرين أن يعود عليها بعوائد بِرِّه وإحسانه.

هذا هو اليوم الذي يختم فيه إمام سلفي تفسير كتاب الله تفسيرا سلفيا، ليرجع المسلمون إلى فهمه فهما سلفيا، في وقت طغت فيه المادة على الروح، ولعب فيه الهوى بالفكر، وهفت فيه العاطفة بالعقل، ودخلت فيه على المسلم دخائل الزيغ في عقائده وأخلاقه وأفكاره، وفي أمة تقطعت صلاتها بالسلف، وضعف تقديرها للقرآن، فأصبح ملهاة آذان ومشغلة لسان، وأصبح حفاظها يقرأونه للتبرك، أو يتجرون به في المقابر، وعوامها ينزلونه منزلة البصل والكراث، فيستشفون بحروفه من أمراض سببتها الحرارة أو جلبتها البرودة، وعلماؤها يدرسونه بلغة المصطلحات العرفية، ويتناولونه بأذهان حشيت بالأفكار الطائفية، والتعصبات المذهبية، والمحامل الجدلية، والتوجيهات اللفظية، وبكتب ملئت بالإسرائيليات المصنوعة،

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

والآثار الموضوعة والنظريات ، والطلبة– وهم صرعى هذه الفتن– يتلقونه بألسنة جافت البيان العربي، وصرفتها العجمة في منهاج غير منهاج العرب، ففسد الذوق واختل التصور وبأفكار غطى عليها الجمود وشد عليها منافذ التفكير وبنفوس ركبها الملل والسام، فرضيت بسماع ما لا تفهم و ما لا تعقل، وهان الزمان في حسابها فأصبحت تنفق منه جزافا واختل تقدير الأشياء عندها، فأصبح كل مقروء علما وكل قارئ عالما.

وأشهد، لقد كنت ضيفا بتونس منذ سبع عشرة سنة، فقيل لي عن عالم من مشايخ جامع الزيتونة ومن أبعدهم صيتا في عالم التدريس، إنه يقرئ التفسير، فشهدت يوما درسه لأُكوِّن فكرة عن دراسة التفسير في ذلك المعهد الجليل. وكنت معنيا بهذا البحث وجلست إليه أكثر من نصف ساعة، فو الذي نفسي بيده ما سمعت منه كلمة واحدة من الآية التي هي موضوع الدرس، ولا لمحت أمارة ولا إشارة تدل على أن الدرس في التفسير. وما كان كل الذي سمعت إلا حكاية لجدل عنيف وتمثيلا لمعركة لفظية مستعرة بين السيد الجرجاني وعبد الحكيم، حول عبارة لعلها لمفسر من المفسرين الاصطلاحيين، ثم انقضت الحصة وقام الطلبة المساكين يتعثرون تبدو عليهم سيماء التعب والملل والخيبة، وقمت أنا مستيقنا أن هذه الطريقة في التفسير هي أكبر الحجب التي حجبت المسلمين عن فهم كتاب الله، ثم زهدتهم فيه وصدتهم عن موارده.

أيها الإخوان:

إن الأمة الإسلامية التي يقرأ الناس أخبارها في التاريخ، فيقرأون المدهش المعجب، ويرى الناس آثارها في العلم والتشريع والأدب والحكمة، فيرون الطراز العالي البارع، فيستوي المحب والمبغض في الاعتراف بأن أمة هذه أخبارها، وهذه آثارها لهي الأمة حق الأمة، إن تلك الأمة ما كانت أمة بذلك المعنى وتلك الأوصاف إلا بالقرآن.

فالقرآن هو الذي رباها وأدبها وزكى منها النفوس، وصفى القرائح، وأذكى الفطن، وجلا المواهب، وأرهف العزائم، وهذب الأفكار، وأعلى الهمم، واستفز الشواعر، واستثار القوى،

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وصقل الملكات وقوى الإيرادات، ومكن للخير من النفوس، وغرس الإيمان في الأفئدة، وملأ القلوب بالرحمة وحفز الأيدي للعمل النافع، والأرجل للسعي المثمر، ثم ساق هذه القوى على ما في الأرض من شر وباطل وفساد فطهرها منه تطهيرا، وعمرها بالخير والحق والصلاح تعميرا.

أيها الإخوان:

قارنوا بين هذه الأمة الإسلامية المطوية فيبطن الأرض وفي بطون الكتب، وبين هذه الأمة الإسلامية التي تدب على وجه الأرض، تجدوا الفرق بعيدا جدا، ووجوه الشبه مفقودة البتة، مع وجود الاشتراك في الاسم والنسبة. ثم التمسوا السبب تجدوه قريبا منكم، وما هو إلا هذا القرآن، أقامه الأولون وجمعوا عليه قلوبهم، وراضوا نفوسهم على أخلاقه، فعلمها الإيمان والأمان والإحسان، واتخذه الآخرون مهجورا فحقت عليهم كلمة الله في أمثالهم. فمن لي بمن يرسلها في مسلمي الدعوى والعصبية صيحة داوية: يا أهل القرآن لستم على شيء، حتى تقيموا القرآن؟

أيها الإخوان:

إن هذه البسيطة لم تشهد منذ دحاها الله صلاحا عاما ولا سعادة شاملة، كالذي جاءها به القرآن يوم انزله الله على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأنذر به العالمين ونشره ورثته الأمناء من بعده نقي الجوهر ناصع الحجة.

وإن هذا العالم الإنساني لم يشهد منذ برأه الله على ظهرها إفسادا عاما وشرا مستحكما وطاعونا أخلاقيا جارما، إلا مرتين على كثرة ما شهد من الطواعين الجسمانية.

أما إحداهما فكانت قبل الإسلام، يوم كان العالم الإنساني كله فريسة للأثرة والاستعباد والاستبداد والفساد و الإفساد ويوم كان بحرا متلاطم الأمواج بالرذائل، ويوم كان العقل عبدا

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

للهوى والفكر عبدا للوهم، والحقيقة أَمَةً للخرافة، والفطرة رهينة الاعتلال والاختلال، ويوم كان هذا العالم كله خاضعا لشهوات مضطرمة وحيوانية عارمة ووثنية متغلغلة.

ولكن الله– جلت قدرته– تداركه–وبه رمق– بالإسلام دين السلام وكتابه القرآن كتاب العدل والإحسان، وبرسوله الأمين يحمل منه للعالم المثخن الدواء الشافي، ويمسح على مواقع الألم منه بالكف الكافي، فما هي إلا فترة حتى أصبح العالم يمرح في السعادة، ويسبح في النعيم، وينعم بالأخوة والتسامح ويتقلب في أعطاف العدل.

وأما الثانية فهي في عهدكم هذا.

ولو أنكم تستشهدون التاريخ: أية المرتين كانت أشر و أشر وأدهى وأمر؟ لقال لكم غير متجانف لإثم: إن شر المرتين أخرتهما. ولساق لكم من الحجج ما لا تستطيعون له دفعا، فإن الشر الأول كان من بعض دواعيه الجهل ، أما هذا الشر فكل دواعيه العلم، وقد كان الشر يعرض على الناس باسمه وفي ثوبه الحقيقي، فأصبح يعرض عليهم باسم الخير، وفي ثوب الخير، وقد كان العالم متباعد الأجزاء متقطع الأوصال، وفي تباعد الأجزاء تقليل من بواعث الشر، فأصبح العالم مزدحما حتى ليكاد يلتحم. ومن ازدحامه والتحامه نشأت معظلته الاجتماعية الكبرى، وهي مشكلة الأغنياء والفقراء، التي لم يفلح في حلها علم العلماء ولا حكمة الحكماء، ولا قوة الأقوياء ولا دهاء الدهاة، والتي تفاقم خطبها، واضطرم لهيبها، حتى أصبح بنو آدم المتآخون في نسبه فريقين مضطغنين يتربص كل فريق بأخيه دائرة السوء .ويا ويل هذه الأرض إذا انفجرت الأحقاد بين أبنائها.

وقد عرّفنا التاريخ أن أصل البلاء بين البشر جاء من عصبياتهم المختلفة، وكان مما يهون تلك العصبيات، أنها محدودة و أنها تعالج بعصبيات أخرى، فيخف ضررها وتتلاشى قوتها، ولكن مشكلة اليوم أن تلك العصبيات التي كانت تنفع حينا وتضر أحيانا ذابت كلها في عصبيتين جامحتين كلتاهما ضرر وكلتاهما شر.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

إن رحمة الأرض آتية من السماء، وقد جاءت أديان السماء فعلمت الفقير كيف يرضى ويصبر، وعلمت الغني كيف يحسن ويرحم، فلماذا لا يرجع بنو الأرض إلى حكم السماء ورحمته؟ ولماذا لا يلتمسون مُثل الإحسان الكاملة في القرآن؟

أيها الإخوان:

هذا داء العالم البشري، فأين دواؤه؟ وهذا مرضه العضال فأين طبيبه؟ وهل يتداركه الله بلطفه فيهدي البشر إلى اتباع ما جاء به القرآن من تسامح وتعاون على الخير؟

فيا أيها المشفقون على العالم الإنساني، أن يأكل بعضه بعضا انصحوه بالرجوع إلى الإسلام، وكتابه يجد فيهما ظلال السلم وبرد الرحمة وعز القناعة وشرف التقوى ويتمتع من كل ذلك بنعمة السلام.

ويا أيها المسلمون أنتم أطباء هذه المعضلات ولكنكم جاهلون، وأنتم الحكم المَرْضي في هذه المشكلات ولكنكم غائبون. ولو كنتم حاضرين حضور سلفكم لمَشَاهِد العالم ومنازعاته العامة لوقفتهم– كما وقفوا– بعقائدهم وسطا بين التناهي والتقصير، وبزكاتهم المرضية حكما بين الغني والفقير، وبرحمة الإسلام سدا بين الآجر والأجير، وإذا لزرعتهم في طول العالم وعرضه الخير والرحمة، وكشفتم عن أقويائه وضعفائه كل كرب وغمة ، وإذا لرفعتم عن العالم هذه الآصار والأغلال وفزتم من بين حكمائه وعلمائه بتحقيق نقطة الإشكال.

إن العالم في عذاب، وعندكم كنز الرحمة، وإن العالم في احتراب، وعندكم منبع السلم، وإن العالم في غمه من الشك، وعندكم مشرق اليقين. فهل يجمل بكم أن تعطلوه فلا تنتفعوا به ولا تنفعوا؟

طبقوا على أنفسكم جزئية واحدة من إصلاحاته كالزكاة، واظهروا بها للعالم على صورتها العملية الكاملة ، و حقيقتها العلمية العليا ، ثم قفوا بين الصَّفَّين ، لا كمواقف عمرو

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

بمصاحفه يوم صِفِّين، وأشربوا نفوسهم وما أشربت نفوسكم من معنى قوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾[1].

ومن معنى قوله تعالى:﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾[2].

وأنا الضمين لكم أنهما يتحاجزان ويتسامحان في طرفة عين، إن دينكم دين إصلاح وسبب إصلاح ومظهر إصلاح، وكما أوجب عليكم الإصلاح بين المؤمنين مدح الإصلاح بين الناس.

أحيوا قرآنكم تحيوا به، حققوه يتحقق وجودكم به، أفيضوا من أسراره على سرائركم ومن آدابه على نفوسكم، ومن حكمه على عقولكم تكونوا به أطباء ويكن بكم دواء.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[3].

هذه الآية هي دستور الإسلام العام، وهذه الآية هي التي نواجه بها كل من رمانا بالتعصب أو بالظلم أو بالأنانية أو بالقسوة .وصدى هذه الآية هو الذي سمعه الناس مرددا في الجامع الأخضر خمسا وعشرين سنة آخرها أمس.

أيها الإخوان:

تكلم الخطباء والشعراء في المعنى الذي أقيمت لأجله الحفلة، وهو تكريم أخينا الأستاذ عبد الحميد بن باديس و تمجيد أعماله في خدمة الدين والعربية والعلم، وشغلتهم حقوق هذه

[1]- سورة الزخرف- الآية: 32.
[2]- سورة يونس- الآية 58.
[3]- سورة النحل- الآية : 90.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الحفلة عن حقوق يوم أمس المشهود، وأوشكنا أن نضيع واجبه وأن يمر فلا يتغنى بأوصافه لسان، ولعل الأقلام تجفوه تبعا لذلك فلا يجري في وصفه قلم.

وقد توزعتني الخواطر حين قمت: أأسلك ما سلكه الخطباء والشعراء من تمجيد أخينا بما هو أهله؟ ولو أني جريت في هذا المضمار وأسلس لي الكلام قياده ، كان في ذلك الوفاء لأخينا المبجل، والجفاء ليومنا الأغر المحجل، وإن أنا قمت بما يوجبه الوفاء ليوم القرآن، قصرت في حق أخ اعتقد أن ما قاله الشعراء والخطباء في حقه قليل، وكيف تفي حفلة مثل هذه محدودة الساعات بتمجيد رجل طوقت هذا الوطن مِنَنُهُ.

فإن قمت ببعض ما يجب للقرآن و ليوم القرآن ،فحسبي في التنويه بأعمال أخي الأستاذ أن هذا اليوم بعض حسناته"[1].

- **السمات العامة :**

هذه الخطبة ألقاها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بمناسبة اختتام الاحتفال الذي أُقِيم بقسنطينـــة أيـام 12 و 13 و 14 من ربيع الثاني 1357 هـ ، الموافــق لأيام 11 و 12 و 13 من جوان 1938م ،لتكريم الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس بمناسبة ختمه تفسير القرآن الكريم في مدة خمس وعشرين سنة في الجامع الأخضر بقسنطينة، فكان يلقي درس التفسير إثر صلاة العشاء من كل يوم، عدا يوم العطلة وأيام تغيبه خارج المدينة في مهام تتعلق غالبا بشؤون جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وشؤون الدعوة الإصلاحية عموما.

وقد " أقامت قسنطينة عاصمة النهضة العلمية، ومقر البعث الثقافي والإشعاع الفكري... أقامت حفلا تاريخيا جليلا، أشرفت على إعداد برامجه جمعية التربية والتعليم، وشعبة جمعية العلماء ، واعتبر هذا الحفل المبارك بختم الشيخ لتفسير كتاب الله، عيدا إسلاميا خالدا ، بل

[1]- الشهاب- المجلد: 14- : الجزء 04- الصادر ربيع الثاني/ جمادى الأولى 1357 هـ الموافق لجوان / جويلية 1938م- ص 297- 305.
و نشرت هذه الخطبة أيضا في : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – ج1- ص 360- 366 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

عيدا قرآنيا.. أقبل عليه أبناء الجزائر– على اختلاف طبقاتهم–من شرق الوطن وغربه... وعاشوا أياما ثلاثة تحت شعار: ضيوف القرآن، تجلت فيها الأخوة الإسلامية في أجلى صورها وأجمل مظاهرها...[1].

ثم إن هذه الوفود قد وجدت من حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة وطيب المَقْدَمِ ما قرّ عيونهم وأسعد نفوسهم في أيام "تآلفت فيها القلوب قبل الأجسام... وتقاربت الأرواح قبل الأشباح... وفتح القسنطينيون أبواب منازلهم لاستقبال إخوانهم ضيوف القرآن ... فأصبغوا عليهم من كرم ضيافتهم، ولطف بشاشتهم، ومن الابتهاج بمحضرهم، ما يكاد يفوق ما عرف عن كرم العرب في ماضي تاريخهم المجيد، ومجدهم التليد... مما يحسن أن يوصف بالكرم الحاتمي، الذي ضرب به المثل..."[2].

وقد ألقى الشيخ هذه الخطبة في اختتام حفل التكريم ارتجالا بعد أن مر الخطباء والشعراء قبله فصالوا وجالوا في فضائل الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، فجاء هو بخطبته هذه ليعرج على فضائل يوم ختم التفسير معتبرا إياه عيدا للجزائر والعرب والمسلمين عموما، ومما جاء عنها في الشهاب: "ارتجل الأستاذ خطبته هذه فلم تصطد أقلام الكاتبين من ألفاظها إلا قليلا مشوشا، لم يحفظ ترابط المعاني بين أجزائها، فألح جماعة من السامعين المعجبين على الأستاذ أن يكتب ما علق بذاكرته من ألفاظها ويضيف إليها بقلمه ما يربط بين معانيها حرصا على تخليدها في خطب الاحتفال، فحقق رغبتهم"[3].

وهذه القصة توحي بأشياء:

أولا: أن جل الخطباء وعلى رأسهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إنما كانوا يرتجلون الخطب ارتجالا دونما تحضير ولا إعداد مسبق، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى

[1]- علي مرحوم- حول الذكرى الأربعين لوفاة الإمام عبد الحميد بن باديس- مجلة الثقافة- وزارة الإعلام والثقافة- الجزائر- السنة: 10- العدد 56- ربيع الثاني/ جمادى الأولى 1400 هـ- مارس / أفريل 1980م- ص 31.
[2]- المرجع نفسه - ص 31.
[3]- الشهاب- المجلد: 14- الجزء 04- الصادر غرة ربيع الثاني/ جمادى الأولى 1357 هـ/ الموافق لجوان / جويلية 1938م- ص 297 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

تمكنه من هذا الفن، "فقد ملك ناصية القول واستوعب البيان العربي وتبحر في اللغة العربية وآدابها، وامتاز بالقدرة على توليد الكلام وامتاز بالموهبة الأدبية، وعرف بالارتجال مما جعل خطبه لم يصلنا منها إلا القليل، فقد تنقل في ربوع كثيرة وخطب في المحافل الكثيرة داخل الوطن وخارجه"[1].

ثانيا: حرص السامعين على تدوين وكتابة ما يسمعونه من خطب و أشعار وغيرها وهو ما ساهم في الحفاظ على كثير من الإنتاج الأدبي وبخاصة الخطب التي كانت غالبا مرتجلة وتلقى على الجمهور دون أن يهتم الخطيب بإعدادها أو كتابتها.

ثالثا: أن الشيخ الإبراهيمي كانت له حافظة قوية جعلته يتذكر ما ألقاه من خطبة في هذه المناسبة، وهي خطبة طويلة مقارنة بها أُلِفَ في الخطب المرتجلة، فيتذكرها ويدونها لتحفظها لنا الشهاب مع ما حفظته من خطب بهذه المناسبة.

و الخطابة في هذه الفترة تطورت في أسلوبها ومضمونها وموضوعها، لانتشار الأفكار الإصلاحية وظهور النوادي والجمعيات الثقافية، فكان طبيعيا أن تنشط في جو يمتاز بالحركة والصراع والدعوة إلى فكر يستمد أصالته من العصور الذهبية للخطابة العربية، ويعتمد على الفصاحة والبيان العربي المشرق.

"وقد كانت المرحلة تحتاج إلى خطباء فصحاء يدعون إلى الأفكار الإصلاحية وينشرون المبادئ السامية بين الناس، وذلك أن بث الفكرة الإصلاحية يتطلب قدرة على الإقناع واتصالا مباشرا بالجماهير في شتى أنحاء الوطن، فكانت الخطابة أداة صالحة لإذاعة هذه الأفكار واستنهاض الهمم، وقد تطورت كثيرا في أسلوبها ومحتواها، وأصبحت فنا يعتمد على الموهبة والثقافة والارتجال في كثير من الأحيان"[2].

[1]- عبد الله الركيبي- تطور النثر الجزائري الحديث- ص 29 - بتصرف.
[2]- المرجع نفسه - ص 22-23- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ولعل من أهم أسباب عناية واهتمام المصلحين بالخطابة ومنهم الشيخ الإبراهيمي في نشر دعوتهم بين الجماهير، يرجع أساسا إلى كون هذه الجماهير أمية في الأغلب، إذ كانت نسبة المتعلمين من الجزائريين في تلك الفترة ضئيلة جدا مقارنة بعدد السكان.

و أدرك الشيخ الإبراهيمي هذه الأهمية البالغة والمنزلة العالية التي تتميز بها الخطابة فكان اهتمامه وكلفه بها وشغفه إليها عاملا قويا في إجادته لها في أساليب التعبير وتوسله لها لنشر دعوته بين الجماهير خصوصا أثناء تنقلاته في كثير من الربوع، وهو ما تمت الإشارة إليه سابقا إذ كان يرتجلها في غالب الأحيان، ويعد الارتجال من أبرز السمات في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بل وفي معظم دروسه ومحاضراته، ويرجع محمد عباس هذه الظاهرة الملازمة للشيخ الإبراهيمي إلى: " أن صاحبها ظل صنو أسفار، وكانت ظروف السفر والترحال تحول بينه وبين تحضير هذه الخطب، علاوة على قدرة الإبراهيمي اللامتناهية في الارتجال والخبرة الفائقة في إدارة الكلمة. وما هذا ببعيد ولا كثير على من خدم الكلمة في الأمة، ولابسها عشرات السنين، معلما، و مدرسا، و واعضا وخطيبا محاضرا ينتزع مواضيع محاضراته وخطبه من وجوه الجمهور، فتتعدد خطبه بتعدد المناسبات"[1].

وكان الشيخ الإبراهيمي يخطب في شتى المناسبات، وما دُوِّن وتبقى من خطبه لا يخرج في مجمله عن ثلاث مناسبات: حفلية وسياسية وأدبية (ثقافية وفكرية).

" وهو معروف بتضلعه في الأدب وتمكنه من اللغة مما يعطي طابعا خاصا لخطبه فهو حين يقول نجده يعبر بلغة بليغة عن مشاعره وعواطفه قصد إحداث الإمتاع الفني واللذة الأدبية إلى جانب فكرة معينة يقصدها، وهذا قد أعطى للخطابة دفعا قويا في تلك المرحلة،

[1]- محمد عباس- البشير الإبراهيمي- أديبا- ص 187.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

إذ أصبحت فنا راقيا يتميز بالميل إلى الجزالة والفخامة في التعبير وأنواع البديع والبيان في الأسلوب"[1].

وقد تنوعت خطب الشيخ الإبراهيمي بتنوع المناسبات والدواعي لإلقائها، ومن ثم كان اختلافها من حيث الطول والقصر، والأسلوب والآداء، وذلك مراعاة لمقتضى الحال.

" ولعل أول خطبة تكتمل فيها شروط الخطابة، خطبة ارتجلها الإبراهيمي في حفلة التكريم للشيخ عبد الحميد ابن باديس– رحمه الله– بمناسبة اختتامه لتفسير القرآن الكريم، وتتميز هذه الخطبة بظاهرة التعميم في المعاني والشمولية للأحداث، والجنوح عن الموضوع في كثير من فقراته، حيث يتعمد الخطيب سبيل الاستطراد ليحوم حول الموضوع ويعالجه من بعيد"[2].

فهي نموذج للتنوع والشمولية التي تجلت في تعدد سياقات القول، ومقاماته بحسب ما تقتضيه الحاجة والحال والمناسبة واستعدادات السامعين، و مدى استجاباتهم لخطاب التأثير و الإقناع في الآن ذاته.

وإن " القارئ لهذه الخطبة متعددة الموضوعات، يلاحظ مدى مواءمتها، للمناسبة والواقع، وطبيعة المرحلة التي قيلت فيها؛ إذ أصبحت الخطابة فنا راقيا مستقلا بذاته يؤدي دوره الرسالي على أكمل وجه، وهذه غاية الخطابة آنذاك، فنجدها قد تحررت من كل القيود واستجابت لنداء الفطرة السليمة في تغيير الواقع، وهذا كله في أسلوب سهل لا تكلف ممجوج فيه، وأفكار ومعان معبرة بصدق عن موقف الخطيب ومقاصده"[3].

هذه الخطبة حفلية في مناسبتها غير أنها جامعة في موضوعاتها ، عامة في معانيها،فهو يظهر فيها مقدرته على الارتجال من جهة ، و على اختيار العبارة وعلى استيعابه للثقافة

---

[1]- عيسى بن ساعد مدور- الخطابة في النثر الجزائري الحديث- موضوعاتها وخصائصها- 1931م- 1954م- رسالة دكتوراه- ص 114- بتصرف.

[2]- محمد عباس- البشير الإبراهيمي أديبا- ص 204.

[3]- عيسى بن ساعد مدور- الخطابة في النثر الجزائري الحديث- موضوعاتها وخصائصها- 1931م- 1954م- رسالة دكتوراه- ص 120- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

والبلاغة العربية من جهة ثانية ، " كما يظهر فيها استخدامه للسجع أحيانا بقصد أو بغير قصد لكنه في كلا الحالتين يهدف إلى اللذة الفنية، ومن فاتحة الخطبة ندرك تعلقه بالصور البيانية، واحتفاله بالألفاظ القوية الجزلة"[1].

فهو يفتتح خطبته بالتمهيد لفكرة الموضوع، متخذا من عنصر الزمان المتمثل في اليوم الذي أتم فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس تفسير القرآن نقطة الانطلاق، فيضفي على هذا اليوم هالة من النعوت التي تجعل منه غرة في أيام الجزائر قديما وحديثا بل شبهه بيوم بدر في تاريخ الإسلام، فيعقد المقارنة بينهما في عظمتهما وأثرهما في تاريخ الأمة، وتبقى العروبة والإسلام الشغل الشاغل للشيخ الإبراهيمي فيملآن عليه وجدانه ويسيطران على فكره.

"ويسترسل في تبيان أصالة اللغة العربية في ماضيها الزاهر، ويقارن بينه وبين عهدها في الجزائر، إبان الاحتلال، وكيف أنها ضعفت وأصبحت قاصرة عن تأدية المعاني حتى العادية منها، ولكنه يعود إلى القرآن فيرى فيه الحافظ لبقاء هذه اللغة وخلودها حتى يصل إلى ذلك اليوم الذي كان مناسبة تتجلى فيه نصاعة البيان العربي بفضل مجهودات المصلحين و بخاصة الشيخ باديس الذي كان له الفضل في بعث الثقافة العربية وفي تفسير القرآن تفسيرا سلفيا جديدا يتلاءم مع جوهر العقيدة ومع الحياة وتطورها، ونجد الإبراهيمي هنا يطنب في وصف القرآن بأسلوبه القوي وعباراته المختارة كما فعل كثير من بلغاء العرب وفصحائها قديما وحديثا"[2].

وهو قبل الحديث عن هذا اليوم وقبل أن يبلغ تأدية هذا المعنى إلى سامعيه فإنه يستطرد في أحاديث طويلة يستعرض فيها "جوانب تاريخية، و تعاريف لغوية لمعاني الأيام، وحقائق الأوصاف التي تليق بها، وقد يطنب في القول أحيانا، وربما لا يضيق السامع ذرعا بهذا الاستطراد وهذا الإطناب، فكل منهما ليس بغريب بمضمونه عن طبيعة الخطبة الحفلية

[1]- عبد الله الركيبي– تطور النثر الجزائري الحديث – ص 32 .
[2]- المرجع نفسه - ص 32- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الدينية الإصلاحية، التي تعتمد أساسا على الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وبصور من التاريخ الإسلامي؛ ويوم بدر أولى بالاستشهاد في مثل هذه المواقف"[1].

وإن استطراد وإطناب الخطيب وإيجازه أيضا في هذا الموقف مأخوذ من إقبال السامعين وقبولهم لما يقوله، فهو يلقي بحسب حال السامعين، إقبالا أو عزوفا وقبولا أو رفضا.

والفكرة الإصلاحية تهيمن على مضمون الخطبة من خلال الأسلوب الديني الذي يهدف إلى الإرشاد والتنبيه للانحرافات والسلبيات الموجودة في المجتمع، من طغيان المادة على الروح، وغلبة الهوى على الفكر، وانقطاع الصلة بالقرآن وجهل العامة، وانحراف العلماء وتعصبهم.

" ويظهر الخطيب ناقما ناقدا – كعادته–يحمل فكرا مجددا، وروحا ثائرة، غير راضية بالوضع ويعرض أفكاره في قوالب تقريرية جاهزة، يستقيها من الواقع الاجتماعي، ويمزجها بانفعاله الوجداني، الذي يبلغ حد النفور والتبرم، من بعض المظاهر، فيغطي الخطيب نفوره هذا بأسلوب التهكم والسخرية... ويعتمد الخطيب هذا الأسلوب التهكمي النقدي ليبث أفكاره كاملة واضحة، ويذكي أذهان السامعين، ويشركهم في انفعاله وتصوره"[2].

ومن ذلك حديثه عن امتهان الناس للقرآن الكريم وإنزالهم إياه منزلة البصل والكراث فيستشفون بحروفه من أمراض عضوية سببتها أسباب طبيعية مثل الحرارة أو البرودة.

و جاءت أفكاره متسلسلة إذ يعرض المشكلة أو الداء في فقرة ثم يتبعه بالحل أو الدواء في الفقرة الموالية، فيعدد السلبيات والمشكلات في فقرة ثم يأتي بالحلول ويعطي التوصيات في الفقرة التي تليها.

[1]- محمد عباس- البشير الإبراهيمي أديبا- ص 205- بتصرف.
[2]- المرجع نفسه - ص 206- 207.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

فالخطيب يتحدث عن مشكلات العالم ومصائبه وعذابه ثم يحدد بدقة الحل والرحمة التي هي في القرآن الكريم ، وما على المسلمين جميعا إلى الانتفاع بها ونفع الإنسانية جمعاء معهم، كل ذلك بمناسبة يوم القرآن هذا ، الذي التفت فيه الأمة حول دينها ولغتها، فأثبتت أنها مسلمة عربية، كما يتحدث عن حال الأمة الإسلامية قديما وحديثا، ويبين شساعة البون بين الحالين، فمن عز إلى ذل ومن قيادة إلى انقياد ومن رفعة إلى سقوط والسبب بسيط: البعد عن القرآن.

فَدَاء البشرية طغيان المادة ، و دواؤها العدل بين الروح والمادة.

ويختتم الشيخ الإبراهيمي خطبته من حيث كان يعتقد أنه يجب عليه البدء، فيقول:

"أيها الإخوان: تكلم الخطباء والشعراء في المعنى الذي أقيمت لأجله الحفلة، وهو تكريم أخينا الأستاذ عبد الحميد بن باديس، وتمجيد أعماله في خدمة الدين والعربية والعلم، وشغلهم حقوق هذه الحفلة، عن حقوق يوم أمس المشهود... وقد توزعتني الخواطر حين قمت أأسلك ما سلكه الخطباء والشعراء... وكان في ذلك الوفاء لأخينا المبجل والجفاء ليومنا الأغر المحجل... فإن قمت ببعض ما يجب للقرآن، وليوم القرآن، فحسبي في التنويه بأعمال أخي الأستاذ، أن هذا اليوم بعض حسناته"، فيوم القرآن ما هو إلا ثمرة مجهود المحتفَل به.

" ونظن أن هذا التنوع في الصياغة والتناول، بين تقديم وتأخير، يرجع إلى ثقافة الرجل الواسعة، وإلى معرفته الدقيقة باللغة، وقدرته العجيبة على التصرف فيها، وتوليد المعاني منها، وإدارتها على النحو الذي يريده، وهذا فضلا عن فصاحة اللغة ووضوح الدلالة في خطبه وباقي آثاره، أما تأثير الخطبة في المستمعين، فيحدث نتيجة ما تشتمل عليه الخطبة من حقائق دينية وخصائص فنية معا"[1].

[1]- محمد مهداوي- البشير الإبراهيمي- نضاله وأدبه- ص 156.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

بدأ خطبته وافتتحها بالحديث عن يوم القرآن وأنهاها بهذا اليوم أيضا، فعلى الرغم من استرساله في الحديث وطرقه لموضوعات شتى وانسياقه وراء قضايا عديدة إلا أن استغراقه هذا كان بيده، ولم يفلت منه، فاستقام له الأخذ بناصية الخط الذي عاد به إلى جوهر الموضوع، فوقف في خاتمته واستطاع أن يربط بين مقدمة الخطبة وبين عرضها وخاتمتها بذكاء متقد واستدراك فني بارع.

وعند العودة إلى قول الشيخ الإبراهيمي "ويا أيها المسلمون أنتم أطباء هذه المعضلات ولكنكم جاهلون، وأنتم الحكم المرضي في هذه المشكلات ولكنكم غائبون...".

نجد جميع صفات الأسلوب الخطابي متجلية في الإلقاء، وأدوات النداء والتنبيه، فضلا عن توجيه الخطاب إلى المستمعين عن طريق المواجهة والمباشرة، فباستخدامه للكلمات:

" يا أيها، أنتم ،كشفتم". "بدأت اللهجة الخطابية بهذه الأدوات وبغيرها تسري في مضامين الخطبة، فتعطي سمة الحضور، حتى يتخيل القارئ أن الخطيب واقف بجسمه ممثلا أمام الجمهور بروعة المنظر، و جهارة الصوت، وحرارة العاطفة والانفعال، وقد يستنتج أيضا أن الخطيب أجاد اختيار معانيه، ولذلك هو يتمتع برونق التعبير في يسر ووضوح وروعة"[1].

و إن معانيه ليست حديثا مجردا، بل هو حديث مؤيد بآيات قرآنية تشهد له وتؤازره كما يعزز الخطيب ذلك بالتفسير والتعليل والتعليق في أسلوب حسي جذاب، وسط زخم من المعاني يستشف السامع من خلالها الاستعداد الفطري الذي يتميز به الخطيب والموهبة التي يتمتع بها في هذا الفن، إضافة إلى الرونق اللفظي البادي على هذه الخطبة التي " تحفل بالسجع العفيف من التكلف و الهجنة وتعتنق مبدأ البساطة في الأسلوب والسهولة في الألفاظ، وإن كانت المعاني تتوارد في ثوب المحسنات المعنوية غير النابية، فيقابل الخطيب

[1]- محمد عباس- البشير الإبراهيمي أديبا- ص 207.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ويطابق بين معانيه مرة بالمخالفة بينها، وأخرى بالموافقة"[1]. في مثل ألفاظ: عذاب ورحمة، احتراب وسلم، شك ويقين ، وغيرها.

و الأسلوب الخطابي، إضافة إلى النداء والتنبيه والمواجهة والمباشرة في الإلقاء، فإنه يتجلى أيضا في التكرار، مثل تكرار قوله: "أيها الملأ الكرام" وقوله " أيها الإخوان" وتعد هذه العبارة من لوازم خطبه، كما تكرر في هذه الخطبة لفظة "يوم" أو "أيام" مرات عديدة لإبراز عظمته، فهو يوم القرآن كما يسميه، واستخدم أيضا أدوات التوكيد في مجال الحقائق الإسلامية وهي من خصائص الأسلوب الخطابي، وهنا تظهر مقدرة الشيخ البشير الإبراهيمي على انتقاء الألفاظ الجزلة وصياغة الأفكار.

"والحقيقة أن أسلوبا كهذا رفيع المستوى، يطبع خطبا تلقى ارتجالا ،لأمر يدعو إلى الاعتراف بعبقرية هذا الأديب العلَّامة، ومهارته الفنية، وغزارته اللغوية، وتمكنه الباهر من أساليب التعبير في اللغة العربية"[2].

والملاحظ على لغة الشيخ الإبراهيمي في خطبه هو اهتمامه الشديد بانتقاء ألفاظها، فاللغة عنده وسيلة وغاية في الآن ذاته، وقد جاءت في ثلاثة مستويات: مستوى شاعري وهو أسلوب مشحون بقدر من الذاتية المستندة إلى الواقع المبنية على صدق الشعور وانفعال الوجدان، ومستوى خطابي يعتمد فيه على اللفظة بمعناها اللغوي المباشر المؤدي للمعنى دونما إيحاءات ولا انزياحات دلالية، وأخيرا المستوى التقريري وهو قريب من المستوى الخطابي، ويسعى الشيخ من خلاله إلى كشف الحقائق للمستمعين ونقلها للجماهير بأمانة وصدق، ويعتمد هذا الأسلوب في غالب الأحيان على الوصف.

وقد مزج الإبراهيمي بين هذه المستويات في مرات عديدة ، فالألفاظ والعبارات عنده منظمة تنظيما تفنن في إخراجه ليكوّن تراكيبا راقية و أساليبا جذابة، في صياغة فنية أدبية

[1]- المرجع السابق - ص 208.
[2]- عبد الملك بومنجل- النثر الفني عند البشير الإبراهيمي- ص 49.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

عالية، على درجة كبيرة من الجزالة والدقة الموحية التي تؤدي رأسا إلى التأثربها والإعجاب بطريقة بنائها، حيث يعرض فيها الأفكار عرضا متدرجا منطقيا في تسلسل محكم لا يعوزه الوضوح، في بعد عن الغرابة من الأفكار والألفاظ لتكون ذات أثر عميق شكلا ومضمونا، مستعملا في ذلك شتى الأساليب من السرد إلى الوصف إلى الحجاج ، دون إهمالٍ للأخيلة الفنية والصور الأدبية.

فخطب الإبراهيمي تتميز أول ما تتميز بالارتجال وعدم اعتماده على المكتوب منها، إضافة إلى منهجيته السليمة في عرض أفكاره وتسلسلها المنطقي ، في صياغة أدبية قوامها طلاقة اللسان وحسن استعمال الألفاظ ، وانتقائه لها بكل عفوية من رصيده اللغوي الثري، كما تتميز خطبه بالرسالية فلا يلقي خطبة إلا وتتضمن رسالة معينة تمس المجتمع والأمة، كما يكثر من الاقتباس والتضمين والاحتجاج وتوظيف الأمثال والحكم ، فهو يسعى للإقناع والإمتاع معا، إضافة إلى خلو خطبه من الألفاظ العامية والأجنبية، فهو كان يسعى لبناء جيل متشبع بالقيم العربية واللغة الفصحى.

مما سبق "يثبت لنا زعامة الإبراهيمي في فن الخطابة، ويتبين لنا مقدار المنزلة الفنية التي بلغها في إلقاء القول على الناس، فقد كان يسحرهم ببيانه، ويأخذهم بعذوبة لسانه، ويملك عليهم نفوسهم وقلوبهم وعقولهم بما كان يصدر عنه من زخرف القول البليغ"[1].

وقد فـرق عبد الله الركيبـي بين أسلـوب ابن بـاديس وأسلـوب الإبراهيمـي بقولـه: "فالإبراهيمي أديب مصلح، لا عالم مصلح فقط، والفرق بين الأديب والعالم أن الأول يعبر عن مشاعره وعواطفه بلغة جميلة موحية وهدفه إحداث اللذة الأدبية والإمتاع إلى جانب فكره معينة يهدف إلى تصويرها، بينما تنصب عناية الثاني على الجانب العقلي والتفكير المتزن

[1]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر - 1931م- 1954م- ص 282.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

والوضوح في التعبير، لا بهدف اللذة الفنية وإنما بهدف توصيل الأفكار، فاللغة عنده أداة ووسيلة، بينما هي لدى الأديب وسيلة وهدف"[1].

فوظيفة اللغة عند الأديب إذن تكمن في التصوير الفني وإحداث المتعة الأدبية وتعميق الفكرة من خلال اختيار الألفاظ و العبارات و الأساليب، في حين أن وظيفتها لدى العالم أو المفكر هي نقل الأفكار وتوصيلها إلى الآخرين دون كبير عناية بالجانب الفني والجمالي.

[1]- عبد الله الركيبي- تطور النثر الجزائري الحديث- ص 29- 30 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الفصل الرابـــــع

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

فنـــون أخـــرى

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

أولا : الرسائل

1- مفهوم الرسالة

2- أنواع الرسائل

3- الرسائل في مجلة الشهاب

4- نموذج من رسائل الشهاب

ثانيا : التراجم و السير

1- مفهوم الترجمة

2- مفهوم السيرة

3- أنواع السيرة

4- بين السيرة و الترجمة

5- التراجم و السير في مجلة الشهاب

6- نموذج من تراجم الشهاب

ثالثا : فن الرحلة

1- مفهوم الرحلة

2- أدب الرحلة

3- أدب الرحلة في مجلة الشهاب

4- **نموذج من أدب الرحلة في الشهاب**

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

أولا :الرسائل

1-تعريف الرسالة

أ- **لغة:** الرسالة مشتقة من مادة "رسل"

"الراء والسين واللام أصل واحد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد، فالرَّسْل: السير السهل، وشَعر رَسْلٌ: إذا كان مسترسلا، والرَّسَل: ما أُرْسِل من الغنم إلى الراعي... والرِّسْلُ: اللبن...لأنه يُرَسَّل من الضرع"[1].

وفي معنى الانبعاث،قوله تعالى:﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

"ورَسِيل الرجل: الذي يقف معه في نضال أو غيره، كأنه سمي بذلك لأن إرساله سهمَه يكون مع الآخر. وتقول: جاء القوم أَرْسَالًا: يتبع بعضهم بعضا... وإبل مَرَاسيل أي سِراع..."[3].

و" الرَّسَل القطيع من كل شـــيء، جمعــه أَرْسال... وصاروا ذوي رَسَـــل أي قطائع... والترسيل في القراءة: الترتيل... وتَرَسَّل في قراءته: اتَّأَدَ... والمُرسلات الرياح أو الملائكة أوالخيل"[4].

وفي لسان العرب " الرَّسْل أي شديد التفرق فيطلب المرعى... والتَّرَسُّل في القراءة والتَّرْسِيل واحد، قال: وهو التحقيق بلا عجلة، وقيل بعضه على إِثْر بعض... يقال: تَرَسَّل الرجل في كلامه ومشيه ،إذا لم يعجل"[5].

وفيه أيضا "الترسُّل في الكلام التوقر والتفهم والترفق من غير أن يرفع صوته شديدا... والإرسال: التوجيه، وقد أرسل إليه. والاسم الرسالة... وتراسل القوم: أَرْسَل بعضهم إلى بعض... والرسول: معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذا من قولهم جـــاءت

---

[1]- أحمد بن فارس- معجم مقاييس اللغة- ج2- ص 392- مادة : رسل .
[2]- سورة يوسف- الآية: 12.
[3]- أحمد بن فارس- معجم مقاييس اللغة-ج2- ص 392- مادة : رسل.
[4]- الفيروز أبادي – القاموس المحيط – ج 3- ص 372 – مادة : رسل.
[5]- ابن منظور – لسان العرب – ج 5 – ص 204 – مادة : رسل .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الإبل رَسَلاً، أي متتابعة... وسمـي الرسـول رسولا لأنه ذو رسول أي ذو رسالة، والرسول: اسم من أرسلـت وكذلك الرسالـة... وأرسلت فلانا في رسالـة فهـو مُرْسَل ورَسُـول"[1].

يقول قدامة بن جعفر: "والترسل من ترسلتُ أترسَّل تَرسُّلا، وأنا مُتَرسِّل، كما يقال توقفت أتوقف توقفا، وأنا متوقف، ولا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر، كما لا يقال تكسَّر إلا لمن تردد عليه الفعل في الكسر ، و يقال لمن فعل ذلك مرة واحدة أَرْسَل يُرْسِل إِرْسَالًا وهو مُرْسِل، والاسم الرسالة، أو رَاسَل يُرَاسِل مُرَاسَلَة فهو مُرَاسِل، وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة، وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يُرَاسَل به من بعد أو غاب، فاشتق له اسم الترسل ، والرسالة من ذلك"[2].

ومن هنا يتبين أن الرسالة في الوضع اللغوي تدور مشتقاتها حول التبليغ والتواصل بطريقة شفوية أو كتابية بين مرسل و مرسل إليه ، وتنتقل الرسالة بينهما بواسطة رسول.

ب-اصطلاحا:

إن الرسالة في الاصطلاح كثيرا ما يطلق عليها الكتابة، وبالتالي فهي تختص بالكلام المكتوب الذي يكون بين اثنين أو أكثر، وذلك تعبيرا عن شؤون عامة أو خاصة .

يقول القلقشندي: "الرسائل والمراد فيها أمور يرتبها الكاتب من حكاية حال من عدو أوصديـق، أو مدح أو تقريض أو مفاخرة بين شيئين أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى، وسميت رسائل من حيث أن الأديب المنشيء لها ربما كتب بها إلى غيره مخبرا فيها بصورة الحال، مُفتتحة بما تُفتتح به المكاتبات"[3].

و يشترط مراعاة أحوال المرسل و المرسل إليه و العلاقة بينهما ، فتختلف رسائل الأمراء إلى عمالهم عن رسائلهم إلى رعاياهم، وتختلف رسالة الأديب إلى صديقه عن رسالته إلى شيخه ومعلمه.

---

[1]- المرجع السابق- ص 205- 206 – مادة : رسل.

[2]- قدامة بن جعفر – كتاب نقد النثر- ص 95.

[3]- أحمد بن علي أبو العباس القلقشندي - صبح الأعشى في صناعة الإنشا- المطبعة الأميرية – القاهرة- مصر- 1338 هـ - 1919م- ج14 - ص 138.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

يقول السيد أحمد الهاشمي: "المكاتبة، وتعرف أيضا بالمراسلة، هي مخاطبة الغائب بلسان القلم، وفائدتها أوسع من أن تحصر، من حيث أنها ترجمان الجنان، ونائب الغائب في قضاء أوطاره، ورباط الوداد مع تباعد البلاد، وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما"[1].

فالترسل إذن أو الكتابة قد اخذ دلالته الخاصة من المعاني السابقة، وهو يدل على "من أصبحت الكتابة حرفة له أو اقترب من ذلك، إذ أن التكرار لكتابة الرسائل يدل على الاحتراف، ومن جهة أخرى فإن المراسل هو من اشترك في المراسلة مع آخـر يكون بعيدا أو غائبا عنه"[2].

و تكون الرسالة بهذا المعنى "موجزة لا تتعدى سطورا محدودة وينطق فيها الكاتب عادة على سجيته بلا تصنع أو تأنق، فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع، ويبعث بها إنسان إلى آخر في غرض أغلب ما يكون شخصي محض، إلا أن الرسائل الأدبية لم تنحصر يوما في هذا المفهوم الضيق، فهي مهمة يتمرس بها الأديب من خلال الآثار التي يبدعها في شتى الموضوعات"[3].

فالرسالة فن نثري يتراوح بين الوجداني الإبداعي و الوظيفي الرسمي ، وأصبحت لها قيمتها الفنية حيث تبرز فيها مقدرة الكاتب على نقل الشعور وتوصيل الفكرة إلى المرسل إليه، ولها بنيتها التي تُخرج فيها من خلال ثلاثة محاور: الأول المقدمة و هي افتتاح يعتمد على وضوح المعنى وجودة الصياغة وإيجاز العبارة، والثاني العرض ويفصل فيه الكاتب غرضه من الكتابة والمراسلة ، والثالث الخاتمة حيث يوجز فيها خلاصة قوله، وقد يستغني عنها.

---

[1]- السيد أحمد الهاشمي- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب- ص 41.

[2]- الطاهر محمد توات- أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائـر- 1993م- ص 69- 70 - بتصرف .

[3]- عبد النور جبور- المعجم الأدبي- ص 122- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

" والرسالة على اختلاف أنواعها وأقسامها هي كل ما يرسل من شخص إلى آخر مشافهة أو كتابة في موضوع من الموضوعات العامة أو الخاصة ، وفقا لهوية المرسل إليه وموقعه وطبيعة العلاقة بينهمـــا"[1].

و الرسالة تشبه الخطبة إلى حد كبير، يقول أبو هلال العسكري: "واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية، وقد يتشاكلان أيضا من جهة الألفاظ والفواصل، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعذوبة، وكذلك فواصل الخطب، مثل فواصل الرسائل، ولا فرق بينهما إلا أن الخطبة يشافه بها، والرسالة يكتب بهـا، والرسالة تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة في أيسر كلفة... ومما يعرف أيضا من الكتابة والخطابة أنهما مختصتان بأمر الدين والسلطان"[2].

الخطبة في أصلها تكون مرتجلة، في حين الرسالة مكتوبة وهي مضنة التدقيق والتمحيص والتروي والمراجعة، والارتجال في الخطبة يخلو من ذلك كله.

"ويشرك الترسل الخطابة في كثير من موضوعاتها، ويضيف إلى ذلك انه يستخدم في الاحتجاج على المخالفين من أهل البلدان، وفي ذكر الفتوح التي تتم على أيدي القادة والجيوش وفي المعاتبات والاعتذارات"[3].

كما أن الرسالة والخطبة تتفقان أحيانا في الهدف والغرض ، فإذا كان هدف الخطبة هو الإقناع فإن بعض الرسائل تهدف أيضا إلى الإقناع، كما أن بعض الخطب غرضها هو الإبلاغ بأمر من أمور الدين أو الدنيا، فيُشْهِد الخطيبُ اللهَ عز و جل والناسَ على تبليغه ما حُمِّل من رسالة ، وقد تكون الرسالة ذات موضوع ديني أو سياسي أو اجتماعي أو تربوي، وتكون الرسالة ابتداء كما تكون جوابا أو مراجعة لرسالة سابقة.

---

[1]- داود غطاشة الشوابكة و مصطفى محمد الفار- دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية- دار الفكر- عمان- الأردن- ط1- 1430 هـ- 2009م- ص 43.

[2]- الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري- كتاب الصناعيتين- الكتابة والشعر- ص 136.

[3]- عيسى العاكوب و آخرون- أساليب التعبير الأدبي- دار الشروق للنشر والتوزيع- عمان- الأردن- ط1- الإصدار 3- 2000م- ص 108.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ويشترط في الرسالة أن لا تطول في غير حاجة، ولا توجز إيجازا مخلا، كما يجب على كاتبها أن يكون ذا خبرة بشؤون الناس حتى يستطيع بلوغ هدفه بمخاطبتهم حسب نزعاتهم ومفاهيمهم.

2-أنواع الرسائل:

قسم النقاد والكتاب الرسائل بحسب أغراضها إلى ديوانية و إخوانية ، وتتفرع عنها أنواع أخرى هي في بعض الآراء مستقلة بموضوعاتها وأغراضها، غير أن الرسالة الديوانية والرسالة الإخوانية هما المحوران الرئيسان اللذان حولهما تدور موضوعات وأغراض الرسائل. "وقد اتسعت أغراض الكتابة وتشعبت ميادينها، وتنوعت موضوعاتها، وتعددت أساليبها، واتسع أفق الكتاب وخصبت قرائحهم، وعمقت أفكارهم ورحبت خيالاتهم"[1].

فظهرت أصناف من الرسائل ليست ديوانية ولا إخوانية ولكنها تتناول موضوعات أدبية أو علمية أو فلسفية، وسميت بالرسائل الموضوعية، إضافة إلى أنواع أخرى تخصصت في شؤون معينة كالوعظ والإرشاد والعتاب والإجازة وغيرها.

أ- الرسالة الديوانية:

وتسمى أيضا الرسالة الرسمية أو السلطانية أو الإدارية ، تتناول شؤون الدولة السياسية والإدارية والاقتصادية والعلاقات الخارجية، وهي تصدر عن دواوين الدولة المختلفة وتختص بتصريف مختلف شؤونها وإدارتها ، من تعيين وعزل وإنفاق وأوامر وتوجيهات ، وكانت في القديم تمثل كل ما يصدر عن ديوان الخلفية أو الحاكم موجها إلى ولاته وقادة جيوشه، بل وحتى إلى أعدائه في السلم وفي الحرب.

" فهي كل ما يصدر عن ديوان الرسائل من مكاتبات رسمية مختلفة، أمليت على الكاتب أو أنشأها بنفسه، وحَبَّرها بأسلوبه على لسان الخليفة أو من ينوب عنه"[2].

---

[1]- مصطفى الشكعة- الأدب في موكب الحضارة الإسلامية- كتاب النثر- الدار المصرية اللبنانية- القاهرة- مصر- ط3- 1426 هـ- 2005م- ص 465.

[2]- محمد ربيع- التعبير الوظيفي- ص 80.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وهذا النوع من الرسائل مهما بولغ في إجادته الفنية فإنه يغلب عليه "الدقة والسهولة في التعبير، والتقيد بالمصطلحات الحكومية والفنية، والمساواة في العبارة، والبراءة من التهويل التخييل"[1].

لذا يحرص فيها على " دقة المعلومات، ومراعاة القواعد والمعايير المتعارف عليها في المكاتبات ذات الصبغة الرسمية"[2].

ولكون هذه الرسالة مناطها هو مصالح الأمة وتصريف شؤون الدولة، فإنها تمتاز غالبا بالبساطة والوضوح والدقة في التعبير والبعد عن الصور الفنية والإغراقات البلاغية دون أن تكون جافة تماما منها، لأنها يجب أن تكون موافقة لمقتضى الحال دقيقة الدلالة ، لا تحتمل التأويل في المعاني التي تحملها وإلا وقع الخلل في تنفيذها.

ب-الرسالة الإخوانية:

وتسمى الأهلية والشخصية ويدعوها البعض بالوجدانية، كما تعرف برسائل الأشواق وهي "ما دارت بين الأقارب والأصدقاء وأسفرت عن مكنون الوداد، وسرائر الفؤاد، ولا حرج على الكاتب إذا بسط فيها الكلام على أحواله وأحوال أصحابه، وتتفرد هذه الرسائل بأن يطلق الكاتب فيها العنان للأقلام، ويتجافى عن الكلفة والانقباض، وقد قيل الأنس يذهب المهابة والانقباض يضيع المودة، هذا ولا بد من مراعاة مقتضى الحال والاعتصام بركن الفطنة عند الانبساط في الكلام"[3].

يقول شهاب الدين الحلبي في سَعة الرسالة الإخوانية و وجوب مراعاة مقتضى الحال: "فإن الكاتب في ذلك الأمر مطلق العنان يخلى بينه وبين قوته فيه أو ضعفه، لكن على حال يراعي كل مقام بحسبه"[4].

---

[1]- محمد مسعود جبران- فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب- المضامين والخصائص الفنية- دار المدار الإسلامي- بيروت- لبنان- ط1- 2004م- ج1- ص 103.

[2]- محمد يونس عبد العال- في النثر العربي- قضايا وفنون ونصوص- الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان- القاهرة- مصر- ط1- 1996م- ص 162.

[3]- السيد أحمد الهاشمي- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب- ص 42- بتصرف.

[4]- شهاب الدين محمود الحلبي- حسن التوسل إلى صناعة الترسل- تحقيق: أكرم عثمان يوسف- دار الحرية للطباعة- دار الرشيد للنشر- بغداد- العراق- 1400 هـ- 1980م- ص 382.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وهذا النوع من الرسائل ليس له ضوابط فنية كالرسائل الديوانية التي توجب على الكتاب اتباعها والسير على نهجها، وهي كذلك تسمى بالرسائل الوجدانية ، "ويقصد بها الرسائل الأدبية التي يدبجها المبدعون إلى أهلهم، أو من يماثلـــهم في المنزلة من الإخوان والنظراء في غرض من الأغراض الاجتماعية أو الثقافية في مُجَلّى فني مميز يجلو عواطفهم وأحاسيسهم"[1].

و اتخذ الكتاب هـذا اللـــون من الرسائل مشاركة في الحياة وفي عرض جوانبها سعيدهـــا و حزينها، كل ذلك في أدب رفيع وذوق سليم، "وكانت هذه الرسائل بين الأصدقاء والخلصاء والأصفياء أو من يريدون مودته، وقد تفنن فيها كبار الأدباء والكتاب يبثون فيها عواطفهم الشخصية في لغة مصقولة منتقاة"[2].

تعد الرسالة الإخوانية من فنون الأدب التي يشترك الجميع في الحاجة إليها مهما كانت درجة براعتهم في الكتابة ، وقد تفنن فيها الكتاب شكلا ومضمونا ، ففي شكل الرسائل الإخوانية "نلحظ رقي الأسلوب الأدبي وتطوره، بل وجنوحه إلى الترسل والانطلاق أحيانا، وإن كان الولوع بالبديع والسجع بقي سمة مميزة لأسلوبها إلى جانب ما تميز به هذا الأسلوب من خصائص فنية أخرى"[3].

وذلك كتميزها بالأساليب الجميلة الممتعة والخيال الواسع والألفاظ الواضحة، أما من حيث المضمون فتتميز بالعواطف الجياشة والمعاني الرقيقة، إضافة إلى تعدد موضوعاتها وأغراضها كالتهاني والتعازي و المهاداة، والشفاعات والتشوق والاستزارة وخطبة النساء، وكتب المودة والاستعطاف، والاعتذار والشكوى، والعتاب، وتبادل الرأي، والمفاكهة وغيرها.

ج-الرسالة الموضوعية:

تسمى الأدبية أو العلمية حسب موضوعها.

و هي رسائل أنشئت في موضوع لا يهـــم شخص بعينـــه بل لم يقصد بها التراســـل،

---

[1]- محمد مسعود جبران- فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب- المضامين والخصائص الفنية- ج1- ص 203.
[2]- جميل إبراهيم علوش- الفصول في الكتابة الأدبية- ص 87.
[3]- محروس منشاوي الجالي- تطور النثر الفني في مصر في القرن التاسع عشر- ص 135.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وإنما كتبت ليقرأها الجميع فهي "الرسائل التي يكتبها الأديب ليقرأها الناس جميعا ولا توجه لشخص بذاته، وهذا اللون من الرسائل يقترب من المقالة الأدبية في العصر الحديث يتناول فيها الكاتب موضوعا أدبيا"[1].

وربما أطلق عليها اسم رسالة لأنها في حجمها ولا تبلغ شأن الكتاب أو المصنف، وهي "رسالات في المطالب العلمية أو المسائل الأدبية، و إنما سميت بالرسالات لأن أصحابها يرسلونها إلى من اقترحها عليهم ويسلك فيها صاحبها مناهج الاسترسال والمخاطبات البليغة"[2].

فالكاتب في هذا اللون من الرسائل يفصح عما يجول في خاطره ويدور في خلده من فكر حول موضوع معين من موضوعات الأدب أو العلم أو الفلسفة أو التاريخ أو غيرها، ويقدم وجهة نظره ، غير أن من النقاد مَن يدخلها في باب التأليف والتصنيف مثل " رسالة الغفران"لأبي العلاء المعري ورسالة " التوابع والزوابع " لابن شهيد الأندلسي.

[1]- جميل إبراهيم علوش- الفصول في الكتابة الأدبية- ص 87.
[2]- السيد أحمد الهاشمي- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب- ص 195.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

3-الرسائل في مجلة الشهاب :

من المعروف أن فن الترسل قد ازدهر ازدهارا كبيرا في الأدب العربي، بداية من عصر التدوين وخصوصا حين أنشئت الدواوين، وصارت الرسالة الديوانية عصب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لما لها من دور في شرح شؤون السياسة وتسيير شؤون البلاد والعباد وبخاصة عندما اتسعت رقعة الخلافة الإسلامية.

وقد اتسمت كتابة الرسائل بالملاءمة بين الموضوع والأسلوب والاهتمام بالصياغة اللفظية والعناية بالجودة في الأسلوب بهدف إحداث المتعة الأدبية وإظهار البراعة الإنشائية ، غير أن المبالغة في الاهتمام بالصياغة والأسلوب أدى إلى أن "أصبحت الكتابة تكلفا في الخصائص ومالت إلى إظهار البراعة اللفظية ،كما كثر البديع بشتى أنواعه في أساليب الكتاب وتحجرت طرق البيان وتجمد الأدب العربي حتى بلغ ما يسمى عصر الانحطاط"[1].

فبعد أن كان الأسلوب والصياغة وسيلة صارا هدفا، إذ لا يمكن نكران قيمة الجمال الفني من خلال الصياغة والأسلوب في قيمة الأدب والإبداع عموما، لأن " الإبداع الفني هو جوهر الأدب ، وهو المعيار الذي يعايرون به أدب الأديب، فعلى قدر إبداعه تكون مرتبته من الجودة والإحسان، ويكون ذلك في التعبير وصور البيان، والأدباء إنما يتفاضلون من هذه الجهة ، فالإبداع اللغوي والبياني كلاهما المزية الأدبية الكبرى التي تقف إزاء موهبة الأديب"[2].

و قدرة الكاتب أو الأديب على إبداع الصور والأخيلة هي التي تبث في عمله الأدبي تلك الروح التي نسميها الجمال الفني أو الأدبي "وإن جمال التعبير هو الجمال الأدبي الحق والجمال الفني الأصيل، والأدب يضرب في مدارج الفضل والامتياز بمقدار

[1]- عبد الله الركيبي- تطور النثر الجزائري الحديث- ص 36- بتصرف.
[2]- حلمي مرزوق- النقد و الدراسة الأدبية- دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت- لبنان- ط1- 1402 هـ- 1982م- ص 113- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ما يشتمل عليه من جمال التعبير، وما تخلفه الأساليب في النفس من متعة وجمال، وهذا هو عمل البلاغة"[1].

غير أن التكلف في هذه العناية بالأساليب و الصياغة الشكلية قد انقلب إلى صنعة مستهجنة ما أدى إلى صور ممجوجة في أساليب التعبير الأدبي، كما أن إهمال العناية بالصياغة والأسلوب في الأدب يعد عيبا أيضا ،" وغالبا ما يصف النقاد غياب الأسلوب المتميز في العمل الأدبي بالبلاغة الجوفاء، أو العبارات الإنشـائية، أو المحاكاة الساذجة، أو القوالب الجامدة، أو التراكيب المستهلكة... وهنا تضمحل الثقافة والمتعة والفائدة، لأن أهم وظائف الأسلوب الأدبي هو مساعدة الفكر في إحداث الأثر الذي يبتغيه بأفضل صورة ممكنة"[2].

كان للرسائل دور في خدمة الأدب الجزائري الحديث في فترات معينة، بيد أنه أقل بكثير في أهميته من دور المقالة والخطبة، وكذا في كمية النصوص وكانت تتعلق في عمومها بالحياة العامة والأمور العادية التي تحدث للناس يوميا.

" أما في ظل الحركة الإصلاحية، فقد استعاد هذا الفن كثيرا من أصالته، فيما يخص اللغة والعبارة، أما من حيث الأسلوب والطريقة، فالواقع أن الرسائل أصبحت تميل إلى الوضوح والدخول مباشرة في الموضوع، كما يتضح فيما تحت أيدينا من رسائل قليلة مما كان يتبادله العلماء المصلحون في النصف الأول من القرن العشرين، وأهمية هذا النوع من الرسائل تكمن في الموضوعات والأفكار والقضايا التي شغلت رجال الحركة الإصلاحية وخاصة تلك التي تدعو إلى النهوض و إلى محاربة الأمية وتهتم بنشر التعليم وإصلاح المجتمع"[3].

و الملاحظ على أسلوب الرسائل في هذه الفترة هو تطوره وخروجه من القوالب الجاهزة والأساليب المتكلفة التي لزمته قبل عصر النهضة، وعلى الرغم من أن النصوص التي بقيت

---

[1]- المرجع السابق - ص 107- بتصرف.

[2]- نبيل راغب- موسوعة الإبداع الأدبي- مكتبة لبنان ناشرون- بيروت- لبنان- الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان- القاهرة- مصر- ط1- 1996م- ص 09- بتصرف.

[3]- عبد الله الركيبي- تطور النثر الجزائري الحديث- ص 46-47- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

من هذا الفن والتي تمثل هذه الفترة قليلة جدا، لأن الكتاب كانوا لا ينشرون رسائلهم ومكاتباتهم الخاصة ، فهي غير منشورة في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في تلك الفترة ، إلا طائفة قليلة، أما الرسائل العامة فقد نُشِر منها كمًّا لا بأس به في كثير من الصحف والمجلات وعلى رأسها الشهاب.

والمتصفح للشهاب يجد رسائل للشيخ عبد الحميد ابن باديس، وللشيخ البشير الإبراهيمي، ولغيرهما من العلماء والأدباء غير أن أكثر ما في الشهاب من رسائل هي للشيخ ابن باديس لكونه كثير الكتابة فيها إضافة إلى أن الشهاب كانت تعبر في تلك الفترة عند الرؤية الوطنية والقومية للجزائريين فكان كل ما ينشر فيها يعبر عن التوجهات العامة للجزائريين.

" ويلاحظ الباحث أن الرسائل العامة قد اتجهت اتجاهين رئيسيين الاتجاه الأول ديني بحث، والاتجاه الثاني يتعلق بمجالات عامة كثيرة، لا نستطيع حصرها كلها لأننا نُقَدِّر أن ما وقعنا عليه من نصوص هذه الرسائل لا يسمح لنا بتحديد موضوعاتها تحديدا دقيقا أو قريبا من الدقة"[1].

وهذا الأمر ينطبق على تراث الشيخ عبد الحميد بن باديس من الرسائل، فإن الناظر في تراثه من الرسائل "يصادف هذه الحقيقة وهي أن نتاجه يكاد يخلو مما يعرف بالرسائل الشخصية، وأما سائر مكاتباته فهو من النوع العام الذي ربط بين الشيخ وبين بعض هيئات الأمة من نحو، أو جرى بينه وبين السلطات الحكومية من نحو ثان، ويتمثل ذلك في مجموعة من البيانات والبرقيات والرسائل؛ وكان الشيخ يوقع هذه المراسلات طورا بصفته رئيسا لجمعية العلماء، ويوقعها طورا آخر باسمه الخاص، مراعيا في ذلك– إلى جانب طبيعة موضوعها– الظروف السياسية المحيطة به، وكان قد نشر معظمها على صفحات الجرائد والمجلات، وكانت الشهاب بذلك أكثر حظا من غيرها"[2].

[1]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931م- 1954م- ص 307.
[2]- محمد بن سمينة- في الأدب العربي الحديث بالجزائر- الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس- ص 36- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و تناولت جلها موضوعات تتعلق بالتعبير عن أحاسيس الأمة وتصور اهتماماتها ومطالبها كما تحدد المنهج الذي على ضوئه تتحرك ، وكانت تستهدف أيضا أغراضا دينية وسياسية واجتماعية للأمة ضمن إطار البعد الوطني والقومي، وذلك سعيا لتوعية الأمة بما يدور حولها من اضطرابات وواقعها المليء بالأحداث، وكذا ربط الوشائج وتوطيدها بينها وبين حركتها الإصلاحية والوطنية الفاعلة في ظل الصراع الدائم الدائر بينها وبين أعدائها وقد توزعت مراسلاته في عدة اتجاهات أهمها: "إلى عموم جماهير الأمة، وإلى بعض علماء الإصلاح، وإلى بعض شُعب جمعية العلماء في نواحي الوطن، وإلى طلبته وكذا بعض الزعماء السياسيين وبعض الهيئات الوطنية كالنواب والقضاة، إضافة إلى بعض الجهات والشخصيات في البلاد العربية والإسلامية. كما كان الشيخ يراسل أحيانا السلطات الفرنسية في الجزائر، وكذا الحكومة الفرنسية في باريس، إضافة إلى بعض الصحف الأجنبية، وذلك بغرض رفع مطالب الأمة إلى هذه الدوائر الحكومية والاحتجاج لديها عن المظالم المسلطة على الأمة"[1].

ومن هنا يتضح أن تراث الشيخ عبد الحميد بن باديس يكاد يخلو من الرسائل الشخصية التي اشتهر بها بعض كتاب العربية في القديم والحديث، ولعل مرد ذلك إلى ضياع بعض مراسلاته لأنه لم ينشرها، إضافة إلى عزوفه عن التعبير عن الجانب الشخصي وإن عبر في القليل النادر فإنه لا ينشره.

كانت الرسائل العامة ذات الاتجاه الديني "تعالج القضايا التي كانت لها علاقة بالدين الإسلامي وشعائره، كرؤية هلال رمضان وشوال، ويتجلى ذلك في بعض الرسائل التي كان ابن باديس يرسلها إلى أعضاء جمعية العلماء على صفحات "الشهاب" كتلك التي كتبها حول "العناية بهلال رمضان وثبوته" ،والذي يلاحظ في مثل هذه الرسائل بصرف النظر عن موضوعها الذي هو ديني بحث أنها خالية من الذاتية ولا أثر يذكر فيها للجمال الفني، ولا للزخرفة اللفظية، إلا ما جاء عفوا وورد اتفاقا، ومعنى ذلك أن الرسائل التي عالجت المسائل

[1]- المرجع السابق - ص 37-38- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الدينية كانت منعدمة الفائدة بالنسبة لما يلتمسه الباحث في الرسائل الأدبية التي تملأ القلب والعاطفة والعقل جمالا ومتاعا"[1].

ويتضح هذا جليا في الرسالة المذكورة آنفا الموسومة بـ: "العناية بهلال رمضان وثبوته"، ومما جاء فيها: " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. العناية بهلال رمضان وثبوته – قياما بالواجب حسب عادة الجمعية كاتَب مكتب الرئاسة جميع رؤساء الشُّعب في القطر كله بالكتاب التالي: الأخ الكريم الشيخ... المحترم– السلام عليكم ورحمة الله و بركاته– وبعد، فالمرغوب منكم أن تقوموا بأنفسكم أنتم ومن معكم بالعناية برؤية هلال رمضان. وقد ثبت دخول شعبان بالثلاثاء، فتجب مراقبة الهلال ليلة الأربعاء الآتية إذ هي ليلة الثلاثين، فإذا رؤي، فليبادَر بإعلام أقرب محكمة شرعية لديكم ولتعلمونا إلى مكتب رئاسة الجمعية... إنني أؤكد عليكم في القيام بهذا الأمر الديني العظيم والله يتولانا وإياكم والمسلمين بالتوفيق والتأييد. والسلام من أخيكم رئيس الجمعية –عبد الحميد بن باديس"[2].

المتتبع للموضوعات التي عالجها فن الرسائل يجد أن مثل هذا الموضوع، وهو هلال رمضان " قد يكون جديدا فيه، لأن الرسائل من قبل لم تكن تعالج قضية العناية بهلال رمضان وثبوته، إذ أن هذه القضية إنما تطورت بعد تأسيس جمعية العلماء التي لم تبرح تطالب بحقها في التصرف في الأمور الدينية في الجزائر على اختلافها، ولذلك نجد هذا الموضوع على بساطته، وعدم أهميته الأدبية، يعد جديدا ومبتكرا في فن الرسائل في الجزائر."[3]

ومما يلاحظ على رسائل الشيخ ابن باديس هو النزعة الغيرية فلا نجد فيها الشخصية الذاتية إلا نادرا، أما من حيث البناء فهي قصيرة في عمومها موجزة في مقدماتها، وتدخل مباشرة في صلب الموضوع، كما تميل إلى القصد والتركيز في عرض أفكارها.

---

[1]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931م- 1954م- ص 308.
[2]- الشهاب -المجلد: 11- الجزء: 09- الصادر غرة رمضان 1354 هـ الموافق لديسمبر 1935م- ص 605.
[3]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931م-1954م- ص 308- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

" و أما من حيث الصورة اللفظية لرسائل الشيخ، فقد استطاع أن يوفر لمعظمها الأدوات التعبيرية الملائمة، من ألفاظ سليمة معبرة، وتراكيب محكمة موجزة، وأسلوب واضح مباشر بعيد عن التزويق والتنميق، و أهم ما يميزها في مبناها وفي هيكلها من وجوه الصياغة العامة: الصدق والقصد والوضوح"[1].

وقد كتب محمد بن بلقاسم الحفيد البوجليلي شيخ مشايخ الزواوة رسالة قصيرة، وطلب من الشيخ عبد الحميد ابن باديس أن ينشرها في مجلة الشهاب ، وقد كان له ذلك .

يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس : "جاءتنا الرسالة التالية من صاحبها الشيخ محبنا بعد أن تم طبع المجلة، ولما كانت الرسالة دعوة إلى حق و خير ونصح للجرائد التي أطلقت ألسنتها على الأعراض بالسب والشتيمة مما لا يجيزه الدين ولا تقبله المروءة، ويعود على الوطن كله بالعار والنقيصة– بادرنا إلى نشرها في هذه الورقة، موافقين لصاحبها عليها سائلين من الله تعالى ظهور أثرها متبرئين إليه من كل سب وعيب من أي شخص كان وفي أي شخص كان"[2].

هذا يدل على أن الشيخ عبد الحميد بن باديس صاحب رسالة و دعوة، فعلى الرغم من وصول هذه الرسالة إليه بعد طبع هذا الجزء من المجلة، إلا أنه نظرا لأهميتها وخطورة الموضوع الذي تناولته، فإنه آثر نشرها، وذلك عن طريق إضافة ورقة إلى المجلة المطبوعة، وجعل هذه الورقة التي فيها الرسالة في صدر هذا الجزء من المجلة، وهذا نصها:

" نرجوا من حضرتكم الكف عن جميع الخصام وسيء الكلام وفحشه وسوء الأدب احتراما لرمضان، ولو هدنة فقط، لقوله صلى الله عليه وسلم "إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم"[3]. وقوله صلى الله عليه وسلم: "من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة، ومن تركه وهو

---

[1]- محمد بن سمينة- في الأدب العربي الحديث بالجزائر- الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس- ص 41.

[2]- الشهاب- المجلد 09:- الجزء : 01- الصادر غرة رمضان 1351 هـ الموافق لجانفي 1933م- ص 03.

[3]- مالك بن أنس- الموطأ- تعليق وإخراج: محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- 1406 هـ- 1985م- ج1- ص 310- حديث رقم 57- و لفظه : "عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الصيام جنة، فإذا كان أحدكم صائما، فلا يرفث، ولا يجهل، فإن إمرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم " ،وقد أخرجه البخاري في كتاب الصوم، ومسلم في كتاب الصيام.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة"[1].والسلام من محمد بن بلقاسم الحفيد البوجليلي شيخ مشايخ الزواوة"[2].

وهذه الرسالة القصيرة الموجزة لفظا الواسعة معنى تندرج ضمن الرسائل العامة التي تعالج قضايا دينية، وكتبها صاحبها ليطلب فيها إلى الفئات المتصارعة في الجزائر على صفحات الجرائد والمجلات أن تكف عن التراشق بالكلام، احتراما لحرمة شهر رمضان، واحتراما لحرمة الصيام وصيانة له مما يتعارض مع كونه عبادة متكاملة تشمل الماديات والمعنويات ، وقد استشهد الكاتب في هذه الرسالة بحديثين نبويين شريفين لخصا مضمون الرسالة في دلالات واضحة.

ويمكن للدارس أن يستخلص مما سبق أن كتاب الرسالة في تلك الفترة (فترة الشهاب)، لم يكونوا من سعة الأفق الأدبي والفقهي ما يجعل مددهم وفيرا وعطاءهم غزيرا، كما أن فن الرسائل في حد ذاته، لم يكن مهضوما لدى الكتاب الجزائريين فيما قبل الحرب العالمية الثانية، ولذلك يلاحظ هذا الضعف البادي في أسلوب هذه الرسائل، وفي قصر نفسها، وضيق موضوعاتها وضحالة مادتها، على خلاف الفنون الأدبية الأخرى التي تطورت إلى حد كبير، ولاسيما المقالة والخطابة.

إضافة إلى ذلك " فإن الموضوعات الدينية بحكم التزامها بقواعد تتطلب الدقة فإنها لا تساعد الكاتب العادي أو المتوسط ،على توليد في الخيال وإبداع في المعالجة إلا إذا تحولت إلى مناظرة تقوم على الاختلاف في الرأي، فلا عجب إذا كانت جل رسائل هذه الفترة هزيلة من حيث القيمة الأدبية والفنية " [3].

غير أن هذا الحكم لا يطلق على عمومه، فهناك فلتات شكلت الاستثناء في جمال التعبير وقوة التفكير، وموهبة التصوير، وبراعة في فن الكتابة الأدبية بوجه عام ويمثل هذه

---

[1]- محمد بن عيسى الترمذي- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)- ج4- ص 358- حديث رقم (1993)- ولفظه : عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها، ومن حسّن خلقه بني له في أعلاها."

[2]- الشهاب- المجلد: 09- الجزء 01- الصادر غرة رمضان 1351 هـ الموافق لجانفي 1933م- ص 03.

[3]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر- 1931م- 1954م- ص 309- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الفئة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي استطاع أن يمنح هذا الفن قيمته، ويبوئه مكانته في الجزائر، فينطلق به إلى منزلة حسنة فيها كثير من الاعتزاز والافتخار.

"وبذلك وثب الشيخ البشير الإبراهيمي بفن الرسائل في الجزائر إلى قمة الفنون الجميلة، فمنحه أصالته العربية، بما فيها من جمال وخيال وبيان خلصه من تلك الركاكة الفضيعة التي كانت تخيم عليه فجاءت الرسائل في لغة متينة وأسلوب أدبي عال ومعلومات قيمة"[1].

و قد بلغ الشيخ الإبراهيمي بهذا الفــن منزلــة رفيعة و بخاصة حين كان سجينا بآفلو وخصوصا في الرسالة الموضوعية، فضلا عن الإخوانية الشخصية ومن ذلك رسالته "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة " في رثاء رفيقه في الجهاد وأحب إخوانه إلى قلبه الإمام عبد الحميد بن باديس، وكذلك رسالته التي بعث بها حينما كان بمصر إلى إخوانه بالجزائر وعنوانها "تحية غائب كالآيب" يعبر فيها عن عواطفه نحو الجزائر ومشاعره تجاه إخوانه.

غير أن هذه الفترة هي خارج مجال هذه الدراسة من حيث الإطار الزماني إذ أنها تأتي ابتداء من سنة 1940، كما أنها خارج مجال المدونة (مجلة الشهاب) التي توقفت عن الصدور في سبتمبر 1939م . و هذا لا يعني عدم وجود نماذج فذة من رسائله في مجلة الشهاب، وستكون إحدى رسائله نموذجا للدراسة والتحليل.

[1]- المرجع السابق - ص 314- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

4-نموذج من رسائل الشهاب:

- **رسالة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:** نشرت مجلة الشهاب هذه الرسالة ضمن باب حديقة الأدب (من المنثور والمنظوم، اليوم وقبل اليوم) تحت عنوان "بين عالم وشاعر" وهذا نصها:

"كتـــاب العـــالـم- الحمـــد لله وحـــده- تلمســـان يوم 03 صفر الخير 1355 هـ- (ماي 1936م)-

إلى ولدي الروحي الأستاذ محمد العيد

ولدي !

طالما قرأت في وجهك الشاحب آيات الحزن وتلمحت في قسماتك دلائل الهم والأسى، وكم حركتُك بمعاريض من القول علّني أستبين شيئا من حقيقة هذا الهم الدفين الذي تنطوي عليه أحناؤك، وهذا الأسى المبرح الذي اعلم انك تقاسيه.

فكنت كمن يستجلي المعنى الدقيق من اللفظ المعقد. وإن بين التعقيد ونفوس الشعراء "الأتقياء" نسبا وثيقا. ويالَله للنفوس الشاعرة التقية وما تلاقيه من عناء ممض، يتقاضاها الشعر إطلاقا، فيتقاضاها التقى تقييدا... لها الله فماذا تفعل؟

أتظن أننا جاهلون بهذه المنازع العجيبة التي تنزعها في شعرك؟ وبمناشئها في نفسك؟ فاحمد الله على أن في قومك من يعرفها ويتذوقها ويطرب لها.

ما لهذه النفس الكبيرة في هذا الهيكل الصغير، يهفو بها الشعر في مضطربه الواسع، فلا يبلغ مداه حتى يقول:

خَلاَ القَلْبُ مِنْ حُبِّ العِبَادِ وَ بُغْضِهم وَ أَصْبَحَ بَيْتًا لِلَّذِي حَرَّمَ البَيْتَا

ويقول : وَ تُبْتُ يَا رَب تُبْتُ

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ويقول اليوم :

وَلـوْلاَ رَجَـاء الَّـذِي إِلَيْـهِ أَنَـا زَالِـفُ

إنها – وأبيك – لنزوة الشعر تعتلج في الفؤاد بنزعة التقى.

طالما سمعت منك كلمة "اليأس" وبودِّي أن لا أسمعها منك مرة أخرى، لأنني أعدها غميزة في شاعريتك. ولو لا شذوذ نعرفه في نفوس الشعراء، كأنه من معاني كمالهم، لما صدقنا باجتماع اليأس والشعر، وكيف ييأس الشاعر وهو ملك مملكة الآمال وسلطان جو الخيال؟ فإن كان تقيا رجع من "رجاء الله " إلى ما لا يُحَدُّ له أمد. فكيف تيأس نفس الشاعر لولا ذلك الشذوذ؟

لقد قال أولكم:

حَـرِكْ مُنَاكَ إِذَا اغْتَمَمْـ ـــــتَ فَإِنَّهُـنَّ مــرَاوِحُ[1].

وما قالها لغيره إلا بعد أن جربها في نفسه.... فلا تيأس يا بني، ولا تُكَذِّب إمامك الذي يقول: خُلق الشاعرُ سَمْحا طَرِبا.

قرأت زفراتك[2]هذه الساعة في الشهاب، وأنا طريح الفراش، أعالج زكاما مستعصيا ونزلة شعبية وسعالا مزمنا، وأولادا يطلبون القوت أربع مرات في اليوم، وتلاميذ يطلبون الدرس سبع مرات في اليوم والليلة، فقلت: وهذه أخرى.

إن ولدنا هذا لذو حق. وكتبت لك هذه الكلمات كما يكتب الأب الشفيق إلى ولده الرفيق، وعسى أن يكون فيها ترويحا لخاطرك.

محمد البشير الإبراهيمي. "[3]

---

[1]- إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية- ديوان أبي العتاهية- دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت - لبنان- 1406 هـ- 1986م- ص 118.
ورد البيت في الديوان كما يلي:
حرك مناك إذا همـ ـــــت فإنهن كالمراوح

[2]- قصيدة "زفرات" لمحمد آل خليفة- نشرت في الشهاب- المجلد :12- الجزء: 02- الصادر غرة صفر 1355 هـ الموافق لماي 1936م- ص 90.

[3]- الشهاب- المجلد: 12- الجزء: 03- الصادر غرة ربيع الأول 1355 هـ- الموافق لجوان 1936 م- ص 167-168. ونشرت هذه الرسالة أيضا في: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي –ج1- ص 227-228.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

- **السمات العامة:**

هذه الرسالة بعث بها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي لمحمد العيد آل خليفة الذي كانوا يلقبونه في زمنهم بشاعر الشباب، وذلك أن شاعر الشباب نشر قصيدة في الشهاب بعنوان "زفرات" ، استشف منها الشيخ الإبراهيمي يأسا يتسلل إلى إرادة الشاعر، فأرسل له هذه الرسالة يوجهه ويرشده، وينتشله مما هو فيه من أحاسيس سلبية ومشاعر مثبطة.

جاء في الشهاب تحت عنوان "بين عالم وشاعر" ما نصه: "دارت مكاتبة خاصة بين الأستاذ الإبراهيمي وشاعر الشباب، وكانت في أمر يتصل بسير الحياة العام. كانت في يأس طاف طائفه بالشاعر، فحاول العالم تعويذه بآيات الأمل، وتمائم الرجاء، فلما اجتمعنا بالصديقين انتزعنا منهما ما دار بينهما ورأينا من حقوق قرّاء الشباب الإطلاع عليه، لا سيما وقد كان مثير هذا الحوار قصيدة نشرت في مجلتهم"[1].

و مما جاء في قصيدة " زفرات " لمحمد العيد قولـه :

شَجَـانِـي دَمٌ نَـازِفٌ حِمـامِـي بِـهِآزِفُ
أَيَذهَبُ غَرْسِي سُدًى وَ يَنْسِفُـهُ التَّـاسِـفُ
وَيَبْغِي عَلي الَّـذِي عَلَيْهِ أَنَـا عَـاطِـفُ
وَ لَوْلَا رَجَاء الَّـذِي إِلَيْـهِ أَنَـا زَالِـفُ
لَكَفَّرْتُ عَـنْ مِنَّتِـي كَمَا كَفَّـرَ الحَـالِفُ[2]

فبعد قراءة الشيخ البشير الإبراهيمي لهذه القصيدة في مجلة الشهاب ، أرسل الرسالة المذكورة للشاعر ، فرد عليه الشاعر بقصيدة نشرتها الشهاب في العدد نفسه الذي نشرت فيه رسالة الشيخ ، و عنونتها بجواب الشاعر ، و مما جاء فيها قول الشاعـر :

أَبِـي البشيـرُ سَـلامٌ زَاكٍ و شَـوقٌ كبيـر
لازِلـتَ فينَـا منـارًا بِضَوئِـهِ نَسْتَنِـيـر

[1]- المصدر السابق- ص 167.
[2]- الشهاب – المجلد: 12 – الجزء : 02– الصادر غرة صفر 1355هـ الموافق لمـاي 1936م – ص 90 – 91 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وَافَــى كِتَابُكَ يَهْدِي إِلَـى المُنَـى وَيُشِيــر

إِذَا فُــؤَادِي سَــالٍ بِهِ وَ طَــرْفِي قَرِيــر

قَد ارتَدَدتُ بَصِيرًا فَكَيْفَ يَغْوَى البَصِير؟ [1]

و رسالة الشيخ الإخوانية في نوعها ، الأدبية في مضمونها، تبدو من الوهلة الأولى على درجة راقية من الصياغة الفنية و الأسلوب الرفيع و الجمال البيّن ، و تظهر فيها النزعة الذاتية بجلاء ، من خلال العاطفة الجياشة التي تفيض من ثنايا التعابير التي سبك فيها الشيخ الإبراهيمي رسالته ، فجاءت مؤثرة رغم حجمها المحدود مقارنة بما تعارف عليه الأدباء في رسائلهم ، وهذه القيمة الفنية ليست غريبة في إنتاج الشيخ الإبراهيمي الأدبي ، لأن " الرسالة تشكل عنصرا هاما في إنتاج الإبراهيمي ، و هي لون خاص في نثره الفني ، و لاسيما الأدبية منها التي تحفل بالعناية المثلى بالتعبير الأدبي المتقن ، فتأتي وحدة متكاملة تصنعها عناصر مختلفة ، تتداخل فيما بينها في تأثير متبادل " [2]

فالصورة الفنية في أدب الإبراهيمي عموما و الرسائل خصوصا ، تتشكل بمضمونها المؤثر الذي يخرجه في أسلوبٍ بديعٍ، " و مرد ذلك إلى ذاتية الكاتب ، فإن كان أدبه أدب وجدان ، فهو جدير بالحب ، و إن كان أدبه أدب ذكاء ، فهو خليق بالإعجاب ، و إن جمع بين الوجدان و الذكاء فهو الكاتب المنشود ، و هو الذاتية الكاملة فيما يـرى أصحـاب الأذواق و أرباب العقول ، و الظاهر أن الأدب الحق يأخذ زاده من الذكاء و من الوجدان ، فإن خلا من أحد هذين الزادين فهو عرضة للضعف،و إن خلا منهما معا فهو إلى فناء ".[3]

و النزعة الذاتية واضحة في أدب الإبراهيمي متجلية في تلك العاطفة التي تعبر عن وجدان يفيض حرارة ، و ذهن يشع اتقادا.

" فلو حاول الباحث أن يقارن بين أدب الإبراهيمي في المقالة أو في الخطابة ، و بينه

---

[1]- الشهاب – المجلد: 12 – الجزء: 03 – الصادر غرة ربيع الأول 1355هـ الموافق لجوان 1936م – ص 169 .

[2]- محمد عباس – البشير الإبراهيمي أديبا – ص 215 –بتصرف .

[3]- زكي مبارك – الحديث ذو شجون – دار الجيل - بيروت – لبنان – ط 1 – 1413هـ - 1993م – ص 404 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

في الرسالة ، لوجد أن فن الرسالة عنده يسير تحت ضابط النزعة الذاتية و العاطفة المسرفة ، على عكس التزام الكاتب بالموضوعية في المقال و الخطبة عموما " .[1]

هذه الخصوصية في المقالة و الخطبة مردها إلى الغاية منهما ، و التي هي إصلاحية بالدرجة الأولى ، لأن الشيخ الإبراهيمي مصلح ، " و عمل المصلح من أشق الأعمال وأصعبها ، فهو يحتاج فيما يعالجه من إصلاح إلى درس دقيق و تفكير عميق ، حتى يحيط بالمشكلة التي يواجهها جملة و تفصيلا ، ثم يضع خطة الإصلاح في إتقان وإحكام على ضوء ما درس،ثم يُعِدُّ الرأي العام ليستجيب لدعوته و يتحمس لمطلبه "[2]، ولا يكون ذلك إلا بالإقناع ، أي بالعقل و المنطق، ثم لا بأس ببعض التحمس عن طريق التأثير في الوجدان و دغدغة العواطف.

و هذا يمثل جوهر الأدب ،لأن الأدب تعبير عن الحياة في أسلوب جميل ، فهو " رؤية و عواطف و مشاعر و انفعال و حالة وجدانية يعبر عنها الأديب تعبيرا جميلا ، يثير وجدان المتلقي من خلال الإحساس بهذا الجمال ". [3]

و منبع هذا الجمال هو التعبير الجميل عن الموضوع الجميل ، أي هو التكامل بين الشكل و المضمون .

و رسالة الشيخ الإبراهيمي جاءت " جلية المعاني ، واضحة الهدف ، بسيطة الأسلوب ، لم يعمد فيها إلى تكلف محسناتٍ بديعية من سجع أو طباق أو جناس ، بل تجنب كل دواعي التنميق و الزخرفة ، و إنما تبع فيها طريق الاسترسال ، وركز اهتمامه على الفكرة التي يقصدها بمضمون الرسالة ، و هو ينزع نزعة نقدية منذ السطر الأول ".[4]

و قد سعى الشيخ إلى سبر مكنونات نفسية الشاعر من خلال تحليل نوازعه ، و محاولة استجلاء كمائن نفسه ، للوقوف على الأحاسيس العميقة و المشاعر الدفينة التي لمحها في

---

[1]- محمد عباس – البشير الإبراهيمي أديبا – ص 222 .

[2]- أحمد أمين – زعماء الإصلاح – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – الجزائر – 1990م – ص 445 .

[3] - حلمي مرزوق – في النظرية الأدبية و الحداثة – دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر – الإسكندرية –مصر– 2004م – ص 97– بتصرف.

[4]- محمد عباس – البشير الإبراهيمي أديبا – ص 224 –بتصرف .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

قصيدته الشعرية ، بعدما قرأها و آلمه ما وجده فيها من مظاهر اليأس ، وعلامات التبرم التي تطغى على معانيها الأخرى .

" و يستعمل بين هذا و ذاك ، لغة نقدية يسخرها لطبيعة الرسالة و الموضوع ، فينتقي لها الألفاظ ، و يصوغها في تراكيبها التي تحمل من الدلائل الموحية و المفسرة للقيم الشعورية ما يحدد معاناة الشاعر ، ثم يصل إلى الاستنتاج من خلال هذا الفحص و الاستقصاء ، إلى سبب هذا اليأس الذي بدأ يتسرب إلى نفسية الشاعر ".[1]

و من ذلك قوله : قرأت في وجهك الشاحب آيات الحزن ، الأسى ، الهم الذي تقاسيه . ثم يبين السبب بقوله : إنها – و أبيك – لنزوة الشعر تعتلج في الفؤاد بنزعة التقى.

فشاعر الشباب – كما كانوا يلقبونه – كان يستلهم الكثير من أفكاره و خواطره من ثقافته الدينية ، و يهدف في أكثر ما يقول إلى غاية دينية ، لأنه كان تقيا وَرِعًا ، و هو ما جعل الشيخ الإبراهيمي يركز اهتمامه على هذا الجانب من شخصية الشاعر.

" و المتمعن في الرسالة يلمس نوعية المعالجة للموضوع ، الذي راح فيه الشيخ يضمد جراحات الشاعر و يواسي أشجانه و أحزانه عن طريق النقد الاستقرائي ، كما يلمس منه تحليلا نفسيا ، قد لا يجده على هذه الصورة الاستنطاقية إلا في المناهج المعاصرة في النقد الذي يعتمد على التفسير النفسي للأدب ".[2]

و ذلك بالغوص في أعماق نفسية الشاعر من خلال شعره ، للوقوف على هذه المعاناة وأسبابها ، ليقدم له العلاج الذي يراه بلسما شافيا .

" و الشيخ في آدائه لهذه المهمة الهامة ، لا ينسى أبدا أنه أديب قبل كل شيء ، وأنه ينبغي عليه أن يمتلك زمام أدوات فنه ، لأن هذه الأدوات هي التي تمكنه من نقل أفكاره إلى الشاعر ، في هيئة خاصة يمتزج فيها الموقف الفكري بالقيم الشعورية

[1]- المرجع السابق – ص 225 .
[2]- المرجع نفسه – ص 226 – بتصرف .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

والوجدانيــة و الجمالية امتزاجا عضويا ، فَيَتَّحِدُ ما هو فكري بما هو شعوري مع ما هو فني، و يصير كل منها امتدادا للآخر و مكملا له ".[1]

و خلص الشيخ إلى الدواء بقوله : ولدي . و بلغ منتهاه بقوله : و لا تُكَذِّب إمامَك الذي يقول : خُلِقَ الشَّاعِـرُ سَمْحًـا طَـرِبًـا.

كما وشَّح الشيخ هذه الرسالة بأبيات شعرية للشاعر نفسه ، إضافة إلى أبيات من التراث الشعري العربي الذي تزخر به حافظته.

و كان من الطبيعي أن تجد هذه المعالجة صدى في نفسية الشاعر ، و تجاوبا من العلة التي أصابت دواءَها ، إذ تلقى الشيخ قصيدة من الشاعر ، و قد غشيته راحة روحية بعد أن وقع منه كلام الشيخ موقعا حسنـا.

" و أمـا ظاهرة التقى التي يستجليها الشيخ من شعر محمد العيد ، فهي تعرب عن قيم روحية مقدسة ، لا يمكن أن تدركها النفس إلا إذا تجاوزت حدود العالم المادي ، و قد استطاع الشيخ الإبراهيمي أن يصور الشاعر مدفوعا بنوع من الشعور الديني و من الإحساس المقدس ".[2]

و لعـل هــذه الرســالة تأخــذ ميـزة خاصة في الرسائل ، إذ أنها تحفــل بــذات الأدب و وظيفته في الحياة و رساليته ، قبل أن تلتفت إلى جانب آخر ، فكريًا كـان أوفنيــًّا.

[1]- عمار بن زايد – النقد الأدبي الجزائري الحديث – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1990م – ص 116 –بتصرف .
[2]- محمد عباس – البشير الإبراهيمي أديبا – ص 228 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ثـانيــا: التراجـم و السيـر :

1-تعريف الترجمة

أ – لغة:

الأصل اللغوي لكلمة "ترجمة " هو مادة "رجم " .

يقول ابن فارس: " الراء والجيم والميم أصل واحد يرجع إلى وجه واحد ،وهو الرمي بالحجارة، ثم يستعار لذلك . والذي يستعار من هذا قولهم رَجَمْت فلانا بالكلام، إذا شتمته، وذُكِر في تفسير ما حكاه الله عز وجل في قصة إبراهيم عليه السلام ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴿٤٦﴾﴾[1] ، أي لأشتمنك، وكأنه إذا شتمه فقد رجمه بالكلام، أي ضربه به، كما يرجم الإنسان بالحجارة " [2] .

و يقول الفيروز أبادي عن لفظة الترجمان: " التُّرجمان كعنفوان وزعفران ... المفسر للسان، وقد ترجمه وعنه " [3].

أما في لسان العرب فقد جاء في مادة " رجم ":" والتُّرْجُمَانُ والتَّرْجُمَانُ: المفسر، وقد ترجمه ، وترجم عنه ...وقد تَرْجَمَ كلامه إذا فسَّره بلسانٍ آخر، ومنه التَّرجُمان، والجمع التراجم " [4] .

فالملاحظ أن المعاني اللغوية للترجمة تدور حول المعنى الحديث Traductionترجمة والتي هي " نقل الآثار الأدبية وسواها من لغة ما إلى أخرى ".[5]

غير أن هذا الفن ليس هو المقصود، وإنما المقصود هو معنى " التفسير"، وليس تفسير ما بالكلام من غموض و إبهام ، و لكن تفسير ما بحياة الشخص من إبهام عن

---

[1]- سورة مريم الآية 46
[2]- أحمد بن فارس – معجم مقاييس اللغة – ج2 – ص 493-494 – مادة : رجم .
[3]- الفيروز أبادي – القاموس المحيط – ج 4 ص 83 – مادة : رجم .
[4]- ابن منظور – المعجم الأدبي – ص 157 – مادة : رجم .
[5]- عبد النور جبور – المعجم الأدبي - ص 64 - بتصرف .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

طريق التعريف بمسيرة حياته وأهم المحطات فيها ، وتبيان رؤاه وأفكاره ، ومحاولة استيعابها وفقهها.

ب –اصطلاحا:

الترجمة هي ذلك النوع من الأنواع الأدبية الذي " يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر، تعريفا يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح، تبعا لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، وتبعا لثقافة المترجِم، ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة دقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له" [1].

فيصوّر فيها كاتبها موقفا إنسانيا خاصا من شخصية إنسانية ،من خلال الوقوف على أهم المعالم في حياة هذه الشخصية وأكثرها تأثيرا في وسطها الاجتماعي.

و كاتب الترجمة " يسجل فيها محطات حياة الأعلام والنابهين في كل علم وفن، وفي كل مجال من مجالات الحياة العامة،سواء أكانت سياسية أم فكرية أم اجتماعية".[2]

فالترجمة إذن هي الكتابة عن حيوات أشخاص بارزين ومحاولة الكشف عن شخصياتهم والوقوف على عوامل بروزهم وتميزهم، وعناصر العظمة فيهم وجوانب تكوينهم والقيم الإنسانية التي تنطوي عليها شخصياتهم .

2– مفهوم السيرة :

أ – لغة:

السيرة في اللغة ترجع إلى مادة " سير" .

" السين والياء والراء أصل يدل على مُضَيٍّ وجريان، يقال سَار يَسِير سَيْرا، وذلك يكون ليلا ونهارا، والسيرة : الطريقة في الشيء والسُّنَّة، لأنها تسير وتجري ."[3]

---

[1]- محمد عبد الغني حسن – التراجم والسير – دار المعارف – القاهرة – مصر – ط2 – 1969 – ص 9 .
[2]- محمد مسعود جبران – فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب – ج 1 ص 269 – بتصرف .
[3]- أحمد بن فارس- معجم مقاييس اللغة – ج 3 – ص 120-121 – مادة : سير.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

والسيرة: الهيئة أيضا، و بها فُسِّر قوله تعالى:﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

في القاموس المحيط: "السِيرة بالكسرة السُّنَةُ والطريقة والهيئة ... وسَيَّرَ الجُلَّ عن الفرس، نزعه، والمثلَ جعله سائراً، وسِيرة جاء بأحاديث الأوائل "[2]

أما في لسان العرب فالسيرة " الطريقة، يقال سار بهم سيرة حسنة، والسيرة : الهيئة، وسار الكلام والمثل في الناس : شاع ... والسيرة: السُّنَّةُ"[3].

فالمدلول اللغوي لكلمة سيرة يدور حول السنة والطريقة الخاصة التي يسلكها الإنسان ،محمودة كانت أو مذمومة .

ب- اصطلاحا :

جاء في المعجم الأدبي أن السيرة هي: " بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد مراحل حياة صاحب السيرة، ويفصل ما حققه من منجزات أدت إلى اشتهاره بين الناس وبوأته مكانة أهلته لأن يكون موضوع دراسة "[4].

فهي نوع أدبي نثري " يُعرِّف بحياة علم من الأعلام، أو هي السرد المتتابع لدورة حياة شخص، وذكر الوقائع التي جرت له أثناء مراحل حياته "[5].

و من أشمل وأدق ما عرف به فن السيرة أنه " لون من الكتابة تتراوح بين فنية الأدب وعلمية التاريخ، فهو من جهة سرد قصصي لتجارب وأحداث وذكريات، بما ينبغي أن يتوافر للسرد من عناصر التشويق الفني والإمتاع البياني، وهو من جهة ثانية إبراز لحقائق تاريخية، ورصد لوقائع موضوعية يتوخاها كاتب السيرة ."[6]

---

[1]- سورة طه – الآية 21.
[2]- الفيروز اباد – القاموس المحيط –ج2- ص 53-54 – مادة : سير.
[3]- ابن منظور – لسان العرب – ج 6 – ص 427 – مادة : سير.
[4]- عبد النور جبور – المعجم الأدبي – ص 143 – بتصرف .
[5]- عيسى العاكوب وآخرون – أساليب التعبير الأدبي – ص 192.
[6]- جميل إبراهيم علوش – الفصول في الكتابة الأدبية – ص 109 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

وقد بين إحسان عباس الحد الفاصل بين السيرة والقصة بقوله: " والحرية في الخيال هي التي تضع الحد الفاصل بين القصة والسيرة ، فالقصصي حر في الإبداع و البناء ، له أن يتخيل مواقف و حوارات ... أما كاتب السيرة فلا بد له من مذكرات ورسائل وشواهد وشهادات من الأحياء – أحيانا – يعتمد عليها في كل خطوة ..." [1] .

فكاتب السيرة " أديب وفنان، كالشاعر والقصصي في طريقة الوصف والبناء، إلا انه لا يبتدع الشخصيات من خياله، بل من الواقع"[2].

السيرة إذن هي فن أدبي يسرد من خلاله الكاتب محطات حياة شخصية معروفة ويبرز جوانبها وأبعادها ومواهبها، وأسرار نبوغها واشتهارها وظروف حياتها والأحداث التي واجهتها،والأثر الذي خلفته هذه الشخصية في الحياة .

3- أنواع السيرة:

تنقسم السيرة إلى نوعين:

أ -السيرة الغيرية:

تسمى أيضا: السيرة الموضوعية ،" وهي أن يكتب الكاتب عن غيره، وهنا يشترط أن يكون الكاتب قد ألمَّ وفهم بيئة من يكتب سيرته من كل الجوانب، وأن يعرف أثر تلك البيئة فيه "[3]

و كان اهتمام المسلمين بالسيرة الغيرية بالغا، و اقتصرت في بداياتها على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أول ما عُرِف من السير ، و منها :" سيرة ابن هشام"، ثم صارت تطلق على سير كل الرجال، وهكذا يكون الدافع لكتابة السيرة الغيرية هو البحث والاكتشاف و الرغبة في التعرف على الغير.

---

[1]- إحسان عباس – فن السيرة – دار صادر – بيروت – لبنان – دار الشروق – عمان – الأردن ط1 – 1996م – ص 71–بتصرف .
[2]- عصام حسين إسماعيل أبو شندي – نقد النثر العربي في كتابات إحسان عباس – دار الشروق للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – ط1 – 2006م – ص 196 – بتصرف .
[3]- داود غطاشة الشوابكة ومصطفى محمد الفار – دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية – ص 129.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ب – السيرة الذاتية:

و يتولى فيها الأديب الكتابة عن نفسه.

فهي " أن يكتب الكاتب سيرته الشخصية، وهي تفسير لحياة الكاتب بكل ما يكتنفها من ظروف وملابسات " [1]،فيسرد أعماله وآثاره ويذكر أيام حياته وما جرى له من أحداث .

"و السيرة الذاتية ليست تاريخا، بل حكاية ذات بعد انتقائي، وهذا يمنح السيرة الذاتية بعدها التخييلي بالرغم من الحديث عن واقعية الأحداث ، وصدق روايتها وسردها ."[2]

وغالبا ما يكون الدافع لكتابة السيرة الذاتية هو رغبة الأديب التعريف عن ذاته أو التنفيس عنها، أو نقل تجاربه وخبراته للآخرين .

وإذا دققنا النظر في السيّر الذاتية " وجدنا أن أغلبها يشترك في خصيصتين مميزتين، الأولى أن كتابها صاغوها بعدما بلغو مرحلة النضج أو الشيخوخة، والثانية أن هؤلاء الكتاب كانوا معروفين للجمهور قبل أن ينشروا تاريخ حياتهم "[3] .

فالسيرة الذاتية نوع نثري يحمل رؤية خاصة للأحداث ، قد تكون موضوعية وقد تجانبها في حال مجانبة الأمانة في نقل الحقائق .

4 – بين السيرة و الترجمة :

إذا كان لا بد من التفريق بين المصطلحين " فإن ما يقال بهذا الشأن هو أن الترجمة تختص بالسيرة الموجزة التي لا تتجاوز بضع صفحات ككتب الطبقات والتراجم ...علاوة على أن الترجمة لا تعنى كثيرا بجمع المعلومات وتنظيمها كما تفعل السيرة التي تورد الكثير

---

[1]- المرجع السابق – ص 129 – بتصرف .

[2]- محمد معتصم – خطاب الذات في الأدب العربي – دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع – الرباط – المغرب – ط1 – 1428هـ 2007م – ص 16 .

[3]- سامية أحمد أسعد – أدب السيرة الذاتية – مجلة الفيصل – دار الفيصل الثقافية – الرياض – المملكة العربية السعودية – السنة 06- العدد 67- محرم 1403هـ - نوفمبر 1982م – ص 77.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

من الحقائق و التفصيلات ، و تسلـــط الضوء على كل جوانب حياة الشخصية التي تكتب عنها "[1].

ففي السيرة يتعمق الكاتب في إبراز تفاعل الشخصية مع بيئتها، بينما في الترجمة قد لا يفعل، إذ يسرد حياة الشخصية ومواقفها وأشهر محطات حياتها وأهم إنجازاتها.

يقول إحسان عباس: " التراجم هي معاجم للسير "[2].

ويرى أنيس المقدسي أن مصطلح السيرة " نستعمله إذا تناولت الدراسة شخصا واحدا وكان هو محورها ، و مصطلح الترجمة نستعمله إذا تناولت الدراسة الواحدة أكثر من شخص "[3] .

فالفرق بين الترجمة والسيرة ليس في اللغة والأساليب الفنية، ولكن في الاصطلاح والحجم فقط، فالسيرة ما طال فيها الحديث عن حياة الشخص ومواقفه، والترجمة ما كان مختصرا موجزا من ذلك.

[1]- محمد إبراهيم حوَّر وآخرون – في الأدب والنقد واللغة – مكتبة الفلاح الكويت – ط1 1406 هـ 1986م – ص 353 – بتصرف .
[2]- إحسان عباس – فن السيرة – ص 16.
[3]- أنيس المقدسي – الفنون الأدبية وأعلامها – دار العلم للملاين – بيروت – لبنان – ط2 – 1980م – ص 547.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

5 – التراجم والسير في مجلة الشهاب :

للتراجم والسير مكانة في كتابات مجلة الشهاب، على الرغم من أنها لم تكن من الوفرة والكثرة كما كان الحال بالنسبة للمقال، إلا أن الترجمة وبخاصة لرجال السلف قد حفلت بها الشهاب، إضافة إلى مختارات ومقتطفات من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، و كان الشيخ عبد الحميد بن باديس هو الذي يكتب هذه التراجم بأسلوبه ، وينقلها أحيانا من مصنفات التراجم والسير والطبقات.

فقد أفرد في مجلة الشهاب بابا أسبوعيا سماه: " قصة الشهر" كان يأتي فيه تحت عنوان: فاقصص القصص، و يورد فيه مقاطع ومقتطفات من التاريخ والسير، وبخاصة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسير الصحابة والتابعين وقد كان تركيزه على السيرة النبوية المطهرة من خلال إيراد مواقف للنبي صلى الله عليه وسلم و الوقوف على جوانب العظمة في شخصيته صلى الله عليه وسلم و بعض مواطن العبرة، ومعالم القدوةمن سيرته صلى الله عليه وسلم.

و بدءا من المجلد العاشر ، الجزء الأول الصادر غرة رمضان 1352 هـ ، الموافق لجانفي 1934م ، أضاف بابا جديدا في مجلة الشهاب تحت عنوان: " رجال الإسلام ونساؤه"، كان يترجم فيه لأعلام السلف ، فقد وقف عند تراجم كوكبة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، و قال عند أول ترجمة في هذا الباب: " هذا باب جديد فتحناه في الشهاب أردنا منه أن يطلع القراء على تراجم بعض رجالنا ونسائنا من سلفنا الصالح وما لهم من صفات أكسبهموها الإسلام، وما كان منهم من أعمال في سبيله، ففي ذلك ما يثبت القلوب ويعين على التهذّب، ويبعث على القدوة وينفخ روح الحياة، وما حيي خلف إلا بحياة سلف، وما حياة السلف إلا بحياة تاريخهم ودوام ذكرهم"[1].

[1]- الشهاب- المجلد: 10 – الجزء:1- الصادر غرة رمضان 1352هـ الموافق لجانفي 1934م – ص 16.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ثم يبين المنهج الذي سيتبعه في هذه التراجم، و أنه لا يهدف إلى السرد التاريخي لحيوات المترجم لهم ولا الاستيعاب الكامل لحيثيات شخصياتهم، وإنما يقصد الفائدة والعبرة والقدوة ، فيقول : "ولسنا هنا لتتبع الأخبار واستيعاب الحوادث، وإنما نقتصر على ما يُحصِّل أصل القصد، ويفي لأكثر القراء بالغرض ويبعث همم الطلاب على التوسع في هذا العلم، ويبعث رغباتهم على الازدياد منه، وليس هذا الباب مقصورا على قلم تحرير المجلة، فلكل كاتب أن يعرض فيه ما عنده من حديث حول رجل أو امرأة من أبناء وبنات الإسلام"[1].

و ابتدأ التراجم بما جاء في ذكر الصحابي الجليل عبادة بن الصامت وزوجه أم حرام بنت ملحان رضي الله عنهما في هذا الجزء من الشهاب وافتتح هذا الباب بالترجمة لهما .

و ما لبث الشيخ عبد الحميد بن باديس أن غير عنوان هذا الباب إلى " رجال السلف ونساؤه" وذلك ابتداء من المجلد الحادي عشر الجزء الأول الصادر غرة محرم 1354هـ الموافق لأفريل 1935م.

و قد ترجم الشيخ أيضا لبعض أعلام الخلف من أعلام الأمة المعاصرين مشرقيين ومغربيين، وذلك تخليدا لذكراهم وإشادة بمآثرهم، ودعوة للأمة إلى الإفادة من سيرهم ومواقفهم بما يساعد في عملية النهوض بالأمة وخدمة الإنسانية، وممن ترجم لهم من هؤلاء الأعلام: الإمام محمد رشيد رضا، الشهيد عمر المختار، الزعيم الوطني الأمير خالد وغيرهم .

" وإن المتأمل في الدوافع التي كانت وراء هذه الأعمال مجتمعة، ما يتصل منها بسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما يتعلق منها بحياة السلف وحياة الخلف يدرك أن المقصد الرئيسي من ذلك يمكن أن يتجه إلى مطمحين اثنين: تخليد مآثر العظماء من نحو والدعوة من نحو ثان إلى الاقتداء بهم في مواقفهم وجهودهم من أجل نصرة الدين وخدمة الأمة"[2].

---

[1]- المصدر السابق – ص 16.

[2]- محمد بن سمينة – في الأدب العربي الحديث بالجزائر- الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس – ص59.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و قد بين الشيخ عبد الحميد بن باديس منهجه في الترجمة وهدفه منها منذ الجزء الأول الذي ابتدأ باب " رجال الإسلام ونساؤه" بأن هذه الأعمال إنما تهدف إلى مقصد تهذيبي تربوي، وقد اختار الشيخ ابن باديس الشخصيات التي ترجم لها بناء على هذا الأساس، أي ما انطوت عليه سيرهم من مواقف بطولية وقيم إنسانية يمكن أن يساهم الوقوف عليها في خدمة المقصد الرئيسي الذي يطمح إليه، والهدف الأسمى الذي ينشده والمتمثل في النهوض بالأمة وإيقاظ الوعي فيها وترغيبها في مستقبل مشرق يوافق ماضيها المجيد الذي يتجلى في مآثر وبطولات وقيم الشخصيات المترجم لها .

و يلاحظ " أن الإمام لم يكتب – كمعظم أنداده من الجزائريين – سيرة ذاتية عن حياته كما فعل بعض أعلام العصر ... ويمكن تعليل ذلك بما عرف به الكاتب من ميله إلى الموضوعية ونفوره من الذاتية،وهذا الاتجاه في الواقع لا ينفرد به الشيخ بين الأدباء الجزائريين، وإنما يكاد ذلك يشمل معظم هؤلاء"[1].

و لم يكن باب الترجمة هذا ثابتا مطردا في الشهاب، بل كان يتخلف أحيانا عن بعض الأجزاء، وعن بعض المجلدات أيضا، كما أن بعض التراجم كانت تأتي في حلقات، كترجمة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه التي جاءت في ست حلقات وعلى الرغم من ذلك فإنها كانت موجزة نسبيا.

و قد جاءت التراجم الأولى التي كتبها الشيخ عبد الحميد بن باديس في الشهاب دون تبويب ولا تقسيم ، ثم وضع خطة تتضمن تبويبا تتشكل فيه العناصر المدروسة من حياة الشخصية المترجم لها، غير أنه لا يلتزم دائما بهذا التبويب والترتيب في كل تراجمه ، بل كان يدرس كل شخصية وفق مميزاتها الخاصة بحيث لم يتخذ خطة نموذجية يلتزمها في كل تراجمه، فكان ينوع من ترجمة إلى أخرى مراعيا في ذلك ما يعالجه من معلومات وما يدرسه من قضايا وما ينشده من أهداف.

[1]- المرجع السابق – ص 62.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

" وكان من جهة أخرى يعود في جميع معطيات تراجمه إلى أمهات المصادر الموثوق بها، وإذا كان لم يفد في أعماله بشكل مباشر الإفادة اللازمة من مناهج البحث الغربية المعاصرة ومن معطيات علم النفس وعلم الاجتماع وغيرهما من العلوم الحديثة كما فعل ذلك بعض المحدثين الذين نهجوا نهجا جديدا في كتابة التراجم والسير من أمثال العقاد وغيره"[1].

وعلى الرغم من ذلك – وإن فاته هذا – فإنه لم يفته " أن يفيد مما امتازت به مناهج العلوم الإسلامية من أمانة وموضوعية وروح علمية، وقد ظهر بعض ذلك فيما أبداه الكاتب في طريقة تعامله مع الأخبار من خلال تحريه للحقيقة ، وتمحيصه للروايات والتحذير من بعض المصادر "[2].

كانت عناية الشيخ عبد الحميد بن باديس في التراجم التي يكتبها منصبة بالدرجة الأولى على الجوانب العملية والخُلُقية أكثر من غيرها ، من خلال الوقوف على مآثر الشخصيات المترجم لها و عوامل نبوغها وتميزها ودعوة الأمة إلى الاقتداء بها والسير على نهجها ليتغير حالها وتستقيم حياتها وتتحقق آمالها .

[1]- المرجع السابق – ص 61.
[2]- المرجع نفسه- ص 61.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

6 – نموذج من تراجم الشهاب :

– تراجم كتبها الشيخ عبد الحميد بن باديس – رجال الإسلام ونساؤه :

" عبادة بن الصامت:

أنصاري خزرجي من السابقين الأولين، بايع ليلة العقبة، وعينه النبي صلى الله عليه وسلم بها نقيبا، شهد بدرا وشهد المشاهد الأخرى.

ممن جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه صلى الله عليه وسلم كثيرا، وكان بما حفظ من كتاب الله وروى من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيها في دين الله – ولا والله ما فقه الإسلام من لم يفقه الكتاب والسنة، وما كان فقه الصحابة والتابعين وأيمة الدين إلا بالفقه فيهما ولفقهه بعثه عمر– رضي الله عنه– ومعاذا وأبا الدرداء إلى أهل الشام يعلمونهم القرآن ويفقهونهم، وهكذا كانوا يبعثون الفقهاء لتعليم الناس أمر دينهم وتفقيههم فيه وهو ما أخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على نفسها القيام به، وهو ما قامت النواحي التي تستغل جهل المسلمين تقاومها من أجله – فأقام عبادة بحمص ثم بفلسطين وبها مات سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنين وسبعين سنة .

كان عبادة قويا في دين الله لا تأخذه في الحق لومة لائم، فكان له مع معاوية رضي الله عنه – وهو أمير الشام– مواقف في الإنكار عليه، وكان معاوية يعترف له بالتقدم عليه بالفقه، ثم تبرم منه فشكاه إلى عمر رضي الله عنه وارتحل إلى المدينة، فردَّه عمر رضي الله عنه إلى الشام، وقال له: قبَّح الله أرضا لست فيها وأمثالك، وكتب إلى معاوية أن لا إمرة لك على عبادة .

كان صلبا في دينه يوالي في الله، ويعادي فيه، كان يهود بني قينقاع حلفاءه فلما رأى عداوتهم للإسلام وتربصهم بأهله جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: إن لي موالي من اليهود كثيرا عددهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأتولى الله ورسوله .

و كان لعبد الله بن أُبي – رأس المنافقين – من الولاية فيهم مثل ما لعبادة، فبقي

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

علـــى ولايتهم ، و اعتذر من بقائهم على ولائهم بأنه يخاف الدوائر، و فيها نزل قوله تعال: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ ﴾[1] .اقرأ مع هذه الآية قوله تعالى﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩ ﴾[2]. فكان عبادة بن الصامت رضي الله عنه أول من سن سنة رفض ولاية مواليه، لما رأى منهم الشر وتولى الله ورسوله . ومن سن سنة حسنة في الإسلام كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة فرحمه الله رحمة الهادين المهتدين "[3].

- **السمات العامة:**

يترجم الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذا النص لصحابي جليل تزخر سيرته بالمواقف البطولية والقيم الرجولية من خلال حرصه على رسالته الدعوية و تفانيه في أدائها، وأهم ما يلاحظ على هذه الترجمة هو قصرها، فضلا عن كون الكاتب قد سخر جزءا كبيرا من النص للحديث عن انعكاسات مواقف وسيرة ومآثر الصحابي الجليل في العصر الذي يعيشه الكاتب، ومن ذلك قياسه ما تقوم به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من تعليم الناس أمر دينهم و تفقيههم فيه بما كان يقوم به هذا الصحابي وسائر الصحابة رضوان الله عليهم.إضافة إلى ذكره لآيات قرآنية نزلت في بعض مواقف هذا الصحابي الجليل الذي كان نموذجًا لجيل وفيٍّ لمبادئه متفانٍ في خدمة دينه حريصٍ على صلاح أمته.

---

[1]- سورة المائدة الآيتين: 51-52 .
[2]- سورة الممتحنة الآيتين: 8-9 .
[3]- الشهاب –المجلد: 10 –الجزء: 01 – الصادر غرة رمضان 1352هـ - الموافق لجانفي 1934م ص: 17-18 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و هذه الترجمة كما هو الحال في جل إنتاج الشيخ عبد الحميد بن باديس الأدبي " تقوم على البساطة واليسر والوضوح، وكان ينهل كثيرا من ألفاظها وتراكيبها وصورها من المعجم التراثي وبخاصة من القرآن الكريم والحديث الشريف، كما تتلامح فيها بعض خصائص الأسلوب القصصي و بخاصة منها ظاهرة الوصف التي تبدو في الجوانب المادية الخارجية، فجاءت الصياغة بهذه الطوابع وتلك، ملائمة للأفكار المعالجة، ناهضة بالرسالة التبليغية التربوية التي يتوخى الكاتب إيصالها إلى المتلقين من دون أن يعيقها في طريقها عائق من تصنع بديعي أو زخرف لفظي "[1].

و هي الصنعة التي كانت تطبع جل الآثار الأدبية ومنها التراجم خلال الفترات التي سبقت عصر النهضة الفكرية والأدبية والعلمية.

و كان الشيخ عبد الحميد بن باديس في كل تراجمه إنما يظهر احترامه وإجلاله وتقديره لكل العظماء والمخلصين الذين ترجم لهم، ويرى فيهم نماذج يحسن الإقتداء بها واتخاذها أسوة حتى يتسنى للأمة استعادة مجدها التليد .

فقد كان " ينتقي من يترجم لهم على ضوء منهج واضح يراعي فيه ما تنطوي عليه سير هذه الشخصيات نساء أو رجالا، من قيم ومواقف وأعمال، يمكن أن توظف بعض جزئياتها في خدمة المقاصد العامة للكاتب اجتماعيا وفكريا وسياسيا"[2].

و لكون الترجمة تعالج شخصيات واقعية بما لها من مواقف حقيقية وأعمال فعلية ، فإن جانب الخيال الأدبي الذي يتميز به الفن القصصي لا يخدمها كثيرا، ولهذا كانت تراجم الشيخ عبد الحميد بن باديس أقرب للحقيقة والوضوح والدقة منها إلى الخيال والعواطف والوجدان، وذلك على الرغم من بروز بعض سمات وخصائص الأسلوب القصصي كالسرد والوصف، كما أنه يبتعد عن الأسلوب الخطابي التقريري المباشر، فهو أقرب إلى الأسلوب العلمي منه إلى الأسلوب الأدبي . وذلك بسبب" دخول الانفعال أو العاطفة في الأسلوب

[1]- محمد بن سمينة- في الأدب العربي الحديث بالجزائر – الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس – 61 -62 – بتصرف.
[2]- المرجع نفسه- ص 62.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الأدبي بجانب أهم الحقائق والأفكار، وأما العلمي فإن المعارف العلمية هي الأساس الأول في بنائه، وقلّما نجد للانفعال أثرا واضحا، لذلك كانت عنايته باستقصاء الأفكار بقدر عناية زميله بقوة الانفعال "[1] .

و معنى هذا أن الأسلوب العلمي هو لغة العقل، والأدبي لغة العاطفة، غير أنه ليس مطردا دائما في الأسلوب الأدبي، فهو يحفل بالفكرة قدر احتفاله بالجمال الأدبي والصياغة الفنية التي يعرض من خلالها الحقائق،ويتبع ذلك أن يكون " الغرض من الأسلوب العلمي أداء الحقائق قصد التعليم وخدمة المعرفة وإنارة العقول، ولكن الغاية في الأسلوب الأدبي هي إثارة الانفعال في نفوس القراء والسامعين، وذلك بعرض الحقائق رائعة جميلة كما أدركها أوتصورها الكاتب الأديب، وبهذا يجمع الأدبي بين الإفادة والتأثير "[2].

و بهذا يكون الهدف التربوي والتهذيبي الذي ينشده الشيخ عبد الحميد بن باديس من تراجم الأعلام التي كان يكتبها هو سبب رغبته عن التوجه نحو الإبداع الأدبي فيها، فهو لم يكن يعالج هذا الفن كأديب محترف ولكن كان ينشر هذه التراجم على صفحات الشهاب رغبة في النهوض بالواقع العام، وإيقاظا للوعي والشعور القومي والوطني والديني، وسموا بالسلوك الفردي والاجتماعي للأمة .

و لهذا " جاءت البنية العامة في معظم تراجمه تقليدية، تتكون من مجموعة من العناصر المتتابعة ، كما جاءت هذه الأعمال موجزة قصيرة لا تعنى بالتحليل العميق والتقصي الدقيق، وإنما كانت تكتفي باللمحة الدالة والوقفة المركزة عند بعض الجوانب العملية من حياة المترجم لهم ، تعريفا بمناقبهم وتخليدا لمآثرهم وإبرازا لمواطن القدوة والعبرة من سيرهم "[3].

---

[1]- سعد مصلوح- الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية – عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة – القاهرة – مصر – ط3 – 1323هـ - 2002م- ص 65-66.

[2]- المرجع نفسه- ص 66.

[3]- محمد بن سمينة – في الأدب العربي الحديث بالجزائر – الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس- ص 62

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و يلاحظ هذا جليا في ترجمة الصحابي عبادة بن الصامت رضي الله عنه، إذ ركز الشيخ عبد الحميد بن باديس على مواقف مؤثرة ومآثر خلدته ، كجمعه للقرآن حفظا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وبراءته من مواليه اليهود لما رآهم يناصبون الإسلام والمسلمين العداء، إضافة إلى إنكاره على معاوية – رضي الله عنه– في عدة مواقف، واستخلص الشيخ العبر من هذه المواقف و اعتبرها مآثر خليق بالخلف أن يتأسى بها، كل هذا في صفحات قليلة وعبارات موجزة.

و التراجم التي كتبها الشيخ عبد الحميد بن باديس لا تتسم كلها بالخصائص التي تتطلبها التراجم الفنية " ذلك أن معظم ما خطه قلمه في هذا المضمار لا يعدو أن يكون بعض الوقفات السريعة عند بعض الجوانب من حياة بعض العظماء بغرض الاعتبار والاقتداء، وليس من أجل تقصي الحقائق واستيعاب المواقف "[1].

و قد صرح بذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس نفسه في قوله: "و لسنا هنا لنتتبع الأخبار واستيعاب الحوادث، وإنما نقتصر على ما يُحَصِّل أصل القصد ويفي لأكثر القراء بالغرض، ويبعث همم الطلبة إلى التوسع في هذا العلم ويبعث رغبتهم إلى الازدياد منه "[2].

فالمقصد الأساسي من تراجم الشيخ عبد الحميد بن باديس ليس أدبيا فنيا، و إنما يتمثل في الوقوف على مآثر العظماء من الأعلام و تخليدها ، و بيان بطولاتهم و مواقفهم ، و القيم التي انطبعت بها حياتهم ، ثم الترغيب في الاقتداء بهم و الدعوة إلى سلوك سبيلهم في مواقفهم و أعمالهم.

---

[1]- المرجع السابق - ص 62.

[2]- الشهاب – المجلد : 10 – الجزء :1 – الصادر غرة رمضان 1352هـ الموافق لجانفي 1934م- ص16.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ثـالـثـــا : فن الرحلة

1-تعريف الرحلة

أ-لغة:

ترجع الرحلة في أصلها إلى مادة " رحل".

يقول بن فارس: " الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر، يقال: رَحل يرْحل رِحلة. وجمل رَحِيل: ذو رِحلة، إذا كان قويا على الرحلة . والرِّحلة: الارتحال . فأما الرَّحل في قولك: هذا رَحْلٌ الرَّجل، لمنزله ومأواه ، ورَحَّلَهُ إذا أضعنه عن مكانه "[1].

و عند الفيروز أبادي: " وارتحل البعير سَارَ ومضى، وارتحل القوم عن المكان: انتقلوا كترحَّلوا والاسم الرِّحلة "[2].

و في لسان العرب : " يقال رَحل الرجُلُ إذا سار ...و بعير ذو رِحْلَةٍ إذا كان قويا على أن يرحل ... وأرتحل البعير رِحلةً: سار فَمَضَى ... والارتحال الانتقال وهو الرِّحلة "[3] .

و قـــد وردت كلــمة " الرحلة " في القرآن الكريم في سورة قريش ، قـال تعـالى : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾[4].

فمشتقات مادة "رحل " تشترك كلها في معنى عام هو الحركة التي ارتبطت بحياة الإنسان، وهذه الحركة تؤدي به إلى الانتقال من مكان لآخر، ولا يكون هذا الانتقال إلا بِقُدْرَةٍ على التحمل .

---

[1]- أحمد بن فارس- معجم مقاييس اللغة –ج 2 – ص497- مادة : رحل.
[2]- الفيروز أبادي- القاموس المحيط –ج3- ص371- مادة : رحل .
[3]- ابن منظور – لسان العرب- ج5- ص 165-166 – مادة : رحل .
[4]- سورة قريش .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ب – اصطلاحا:

لا يتجاوز المفهوم الاصطلاحي للرحلة معنى الحركة والانتقال ، غير أنه يضفي عليهما القصدية إلى الفوائد التي يجنيها الإنسان عند انتقاله وارتحاله، ومنها المادية كالتجارة والمعنوية كالعلم والمعرفة والاطلاع على الأخبار، فالرحلة: " وسيلة هامة لاكتشاف العالم والإنسان وتوسيع لخبرات الرحالة و معارفه ، فهي فرصة لمشاهدة عجائب الدنيا وتمحيص تجارب الإنسان ومعلوماته"[1].

و تتعدد أسباب الرحلة ودواعيها، فمنها ما هو ديني كرحلات الحج والعمرة ومنها ما هو علمي كالرحلات الاستكشافية والدراسية، وأشهرها رحلات طلب العلم،وفيها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم مرغبا في الرحلة لطلب العلم " ... وَ مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِس فِيه عِلْما سَهَّل اللهُ لَه بِه طَرِيقا إِلَى الجَنَّةِ ..."[2]. إضافة إلى الرحلات الاقتصادية التي تهدف إلى التجارة وأشهرها رحلتي قريش إلى الشام صيفا وإلى اليمن شتاء، كما توجد رحلات رسمية تهدف إلى تفقد أحوال الرعية أو تمثيل الرحالة لدولته لدى غيرها من الدول تمثيلا دائما ، أوفي مناسبات معينة .

2-أدب الرحلة:

جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب أن أدب الرحلات هو "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات و سلوك و أخلاق ، و لتسجيلٍ دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها ،أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة،أو يجمع بين كل هذا في آن واحد "[3] .

و تختلف دواعي تدوين الرحلات من شخص لآخر، فقد يكتب الرحالة أحداث رحلته ويصف مشاهداته خلال الرحلة، أو قد يفعل ذلك حين وصوله إلى بلده، وذلك إما تلبية

[1]- سميرة أنساعد- الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري – دراسات في النشأة والتطور والبنية – دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع – عين مليلة – الجزائر- 2009 م – ص 21-22- بتصرف.
[2]- مسلم بن الحجاج القشيري النَّيْسَابُورِي – صحيح مسلم- ج4 – ص2074. حديث رقم 2699.
[3]- مجدي وهبة و كامل المهندس – معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب – ص17.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

لطلب الآخرين من حكام أو أصدقاء أو أقرباء، أو رغبة في إفادة القراء بتقديم معلومات عن المعارف و العلوم، والتعريف بالأعلام ومؤلفاتهم وذكر أخبار الأمم والأقوام، والتأْريخ للأحداث والوقائع المتنوعة، وقد برز في العصر الحديث هدف جليل في أدب الرحلة يتمثل في دعوة الرحالة قومَه إلى تغيير أحوالهم، ونشر الوعي واليقظة بينهم والاقتداء بالأمم الأخرى.

" ويعد أدب الرحلة من أهم فنون الأدب العربي وأكثرها خصبا ومتعة ، لأن هذا الأدب لم يكن وصف الرحلة فيه خالصا، فقد امتزج بفن القصص والتقرير العلمي، والمذكرات واليوميات، والسيرة الغيرية، والسيرة الذاتية، من خلال ترجمة الرحالة لنفسه أو لغيره ممن التقاهم أوسمع عنهم،ومنهم من كان ينقل عن غيره مشاهداتهم ويروي قصصهم وأخبارهم" [1] و لكل منهم أسلوبه و منهجه في إخراج رحلته للقراء إذ كان بعضهم " يمزج التحقيق العلمي بالأسطورة والخيال، والرواية الموضوعية بالرواية الشخصية الانطباعية، ومن كان يلتزم بتصوير الأحداث بدقة علمية كان في الوقت نفسه ينتخب ويتخير ما يسجل، وقد يضفي على مادته تعديلات وتغيرات تتفق ومنهجه ومنطلقاته الفكرية والعقدية، ومنهم من ينقل الصور والمشاهد ممزوجة بانفعالاته ومشاعره وأحاسيسه"[2].

إن لأدب الرحلات قيمة تعليمية من خلال تدوين العلم ورصده وتسجيله ، إضافة إلى الوقوف على ثقافات الأمم والأقوام، والاطلاع على أخلاقهم وطبائعهم، ولغاتهم وفنونهم وعقائدهم ، وسلوكاتهم وطرق تعاملهم، وأنظمة حكمهم.

فأدب الرحلات إلى جانب قيمته الأدبية والترفيهية أحيانا ، فإنه يعتبر مصدرا هاما لميادين شتى من العلوم ، كالتاريخ والآثار والاقتصاد والمِلل والجغرافيا وغيرها.

[1]- إبراهيم السعافين وآخرون- أساليب التعبير الأدبي – ص 223- بتصرف.
[2]- المرجع نفسه – ص 223 – بتصرف .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

3 – أدب الرحلة في مجلة الشهاب:

لقد كان لأدب الرحلات أهمية كبيرة في المجال الثقافي والتاريخي، فهو يشكل فرعا هاما من فروع الأدب والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد وغيرها ،" وقد أجاد فيه العرب و المسلمون منذ القديم وتفوق فيه المغاربة لأنهم كانوا يقطعون المسافات البعيدة يحدوهم الحج والزيارة والفضول العلمي والاجتماعي، ولذلك تعتبر رحلاتهم مصدرا هاما لدراسة أحوال العصر الذي كتبت فيه "[1] .

و عرف أدب الرحلة كغيره من الفنون النثرية القديمة" شيئا من التطور في العصر الحديث فأخذ مكانه إلى جانب ما تضطلع به الفنون الأدبية الأخرى من الاندماج في الواقع والنهوض به، فكان الرحالة يجوبون أرجاء أوطانهم، كما يرتحلون إلى بعض بلدان العالم وبخاصة إلى البقاع المقدسة بالحجاز"[2] .

و الجزائر كانت حلقة وصل أو نقطة انطلاق أو عبور للرحالة ، فكان لها وافر النصيب من هذا الفن لأن الكتاب الجزائريين في رحلاتهم الداخلية والخارجية كانوا يسجلون مشاهداتهم وانطباعاتهم ، بخاصة في رحلة الحج والهدف غالبا هو الانتصار للدين والوطن، يقول باعزيز بن عمر عن هدفه من تدوين رحلته: " لا أريد بتسجيل هذه الانطباعات أو الارتسامات أو ما إليها من ملاحظات و اقتراحات تحت عنوان " رحلتي إلى البقاع المقدسة " إلا خدمة الإسلام ومحاولة إظهاره في مظهر أكمل وأجمل، يكشف عن عظمته وقوته ويلفت شبابنا إلى حضارته فيزداد إقبالا عليه وعضا بالنواجذ على تعاليمه، وتمسكا بعقائده ودراسة لنظمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى يُعلم أن الإسلام دين العزة والكرامة، كما هو دين الإنسانية والحضارة"[3].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله – قضايا شائكة – أحاديث في شؤون الفكر والأدب والتاريخ- ص 83.
[2]- باعزيز بن عمر – رحلتي إلى البقاع المقدسة – منشورات ثالة- الجزائر- ط2 – 2007م – ص 13.
[3]- المرجع نفسه - ص 154 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و لكون الجزائر بعيدة نسبيا بحكم موقعها الجغرافي عن مراكز القرار و أرض الشعائر المقدسة ، فقد كانت رغبة سكانها الملحة عبر العصور وبخاصة في العصر الحديث "حريصة على معرفة كل جديد الحضارة المركزية، وبخاصة في مراكزها المعلومة كمكة والمدينة وبعدهما دمشق وبغداد، وحتى القاهرة، الأمر الذي جعلهم يلحون باستمرار على ربط الصلة بينهم وبين هذه المراكز من خلال الارتحال إليها ، أداء للمناسك ومساهمة في الأحداث وتحصيلا للعلوم "[1].

و في عهد الإصلاح عرف أدب الرحلة نوعا جديدا قوامه التعبير عن مشاهدات هؤلاء الرجال خلال تنقلاتهم عبر مدن الوطن وقُراه، أو تجوالهم في المشرق أو في أوروبا، وكانت الغاية من هذه الرحلات في المقام الأول هي بث الحركة الإصلاحية ونشرها بين جماهير الشعب، وحثهم على اليقظة والنهوض، إضافة إلى الاطلاع على أحوال المسلمين الجزائريين الفكرية والمادية ومعرفة ما يفكرون فيه ومدى احترامهم للعلم ورجاله .

كانت" الرحلات الجزائرية الحديثة سجلا تاريخيا وضحت لنا فيه الأوضاع الداخلية للجزائر إبان الاستعمار، وما عرفه الشعب الجزائري من ضعف في المستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي، وما سعى إليه الجزائريون لإصلاح وتغيير هذه الوضعية المزرية.كما وضحت الأوضاع الخارجية في الوطن العربي وبينت قوة الوحدة العربية الإسلامية ومدى تآزرهم مع بعضهم البعض في السراء والضراء"[2].

و ساهم أدب الرحلة إلى جانب الألوان الأدبية الأخرى في المعركة الحضارية التي كان يخوضها الجزائريون ضد الاستعمار الفرنسي الذي كان يسعى للقضاء على الهوية الجزائرية فكان الأدباء ماضون في درب النضال والمغالبة ، يصورون في رحلاتهم بعض

[1]- عبد الله حمادي- رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى قسنطينة1938م – مطبعة البعث – قسنطينة – الجزائر – 2004 م – ص 45- بتصرف.

[2]- عبد السلام ضيف – الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله- رسالة دكتوراه – إشراف الدكتور السعيد خضراوي – قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الحاج لخضر – باتنة – الجزائر- 1425هـ/ 1426هـ - 2004 / 2005 م –ص 205.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

خواطرهم، وبعض ما يموج به الواقع في حلبة الصراع الدائر بين الأمة و أعدائها، ذودا عن الهوية الحضارية ودفاعا عن الحقوق، وتطلعا إلى المستقبل.

و قد حفلت مجلة" الشهاب" بنصيب وافر من هذا الإنتاج خصوصا ما كتبه الشيخ عبد الحميد بن باديس خلال رحلاته، والتي يسميها البعض "المذكرات "، وبخاصة المتعلقة منها بالرحلات الداخلية و الخارجية فقد تحدث عن رحلاته و سجل فيها انطباعاته و أهم نشاطاته.

يقول عبد الملك مرتاض في معرض حديثه عن الفنون الأدبية خلال فترة ما بين الحربين ، التي هي فترة اشتداد جذوة الدعوة الإصلاحية في الجزائر: " عرفت هذه الفترة لونا من أدب المذكرات وقد تعلقت هذه المذكرات خاصة بموضوع الرحلات...و هذا اللون من الأدب، وإن لم يشع في الجزائر على نحو يجعل منه فنا رفيعا ذا نتائج أدبية ذات شان فإنه مع ذلك لا يخلو من مسحة أدبية ... ويعتبر ابن باديس أول من عالج أدب الرحلة، في صورة مذكرات نشرها في مجلة " الشهاب". وأهم ما كتب كان يتعلق بتجواله عبر بعض الأرجاء في الجزائر، وقد كتب يوما مذكرات نشرها تحت عنوان (في بعض جهات الوطن)"[1].

و الملاحظ أن الشيخ عبد الحميد بن باديس لم يكتب هذه المذكرات إلا بعد إلحاح من بعض أصدقائه ومريديه، وقد ذكر ذلك في مقدمة المذكرات التي كتبها بعد رحلته إلى الغرب الجزائري ونشرها في مجلة الشهاب ، يقول: " تكرر الطلب علينا من أصدقائنا ومريدينا أن ننشر لهم شيئا عن رحلاتنا الصيفية فلخصناها فيما يلي... "[2].

ثم يورد ما كتبه عن تلك الرحلة الصيفية التي قادته إلى الغرب الجزائري انطلاقا من قسنطينة فالجزائر العاصمة وصولا إلى وهران ثم العودة .

---

[1]- عبد الملك مرتاض- فنون النثر الأدبي في الجزائر- 1931 م -1954م – ص 293.
[2]- الشهاب – المجلد:7 – الجزء : 11 – الصادر غرة رجب 1355 هـ الموافق لنوفمبر 1931 م – ص 725.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

كان الشيخ يقوم بهذه الرحلات بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وذلك بهدف التعريف بها وبيان دعوتها والدعاية لها ونشر مبادئها الإصلاحية، وقد صرح على صفحات الشهاب – في معرض حديثه عن إحدى رحلاته –بأن الحديث في المجالس لم يكن يدور إلا حول" جمعية العلماء ومقاصدها ومنافع الأمة منها...مع ما يتخلل ذلك من تذكير بالله، وتنبيه على مصالح الدنيا والآخرة، وتحريض على التآخي والتآزر وحسن الجوار والمعاملة"[1].

و ما دونه الشيخ عبد الحميد بن باديس ونشره خلال رحلاته يعتبر مرجعا أصيلا لتلك الفترة في شتى جوانبها، يقول عبد الملك مرتاض عن هذه الأهمية: " ومذكرات ابن باديس ذات شان كبير لدراسة الأدب أو المجتمع، أو الحركة الفكرية بوجه عام في الجزائر، لأنه ذكر فيها كثيرا من الأمور التي لا نجدها إلا فيها، وحتى إذا وجدت في سواها فهي توكيد لها وإثبات "[2].

و ذلك لأن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان يسجل جميع الرحلات المهمة في مذكرات خاصة ثم ينشرها في مجلة الشهاب ." وأهم هذه الرحلات التي نشر: رحلتان إلى الغرب خلال سنتي إحدى وثلاثين واثنتين وثلاثين،ورحلة إلى فرنسا في مهمة سياسية مع الوفد الإسلامي الجزائري ورحلة إلى تونس في ربيع سنة سبعة وثلاثين، ورحلات مختلفة أخرى قام بها وسجلها في مجلة الشهاب، منها رحلات إلى الشرق الجزائري كرحلاته نحو مدن عمالة قسنطينة، ورحلته إلى مدينة بسكرة والتي استغرقت أياما ثلاثة كانت حافلة بالنشاط الفكري والأدبي "[3].

إن الكثير من رحلات رجال الإصلاح لم تُسَجَّل و بعضها سُجِّل باختصار شديد وهي " تصلح أن تكون وثيقة تاريخية يستند إليها من يؤرخ للحركة الإصلاحية وخاصة في

---

[1]- المصدر السابق- ص 725.
[2]- عبد الملك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – 1931م -1954م – ص 297.
[3]- المرجع نفسه – ص296 -297 – بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الثلاثينيات وما بعدهـــا، وهي سجل أمين للأحـــداث التـــي حدثـــت فـي تلـك الحقبـــة، وللصـراعات والخلافـات التـي وقعـت حـول قضـايا مختلفـة خاصـة منهـا مـا يتصـل بالـدين والاجتماع والحياة الفكرية بوجه عام لأنها تصور بصدق المناخ الثقافي الذي كان سائدا في ذاك الحين ...كذلك فإن هذه الرحلات أيضا تؤكد أن الفكر الإصلاحي لم يعش معزولا عن الشعب ومشاكله بين جدران المساجد أو المنتديات وإنما عاش بين الناس بواسطة دعاته وأنصاره "[1].

فـرحلات الشـيخ عبـد الحميـد بـن بـاديس وبـاقي أعضـاء جمعيـة العلمـاء المسـلمين الجزائريين ورجـال الإصـلاح عمومـا لـم يكـن هدفها الترفيـه ولا داعيهـا النزهـة ، وإنمـا كانـت تندرج ضمن ما يقومون به من أعمال تدور كلها في فلك المشروع الإصلاحي فكانوا إلى جانب نشاطاتهم اليومية في التدريس والعمل الصحفي والوعظي والإرشادي، يستعينون بهذه الرحـــلات، فيتنقلـون فـي ربـــوع الوطـــن للاتصـال بعمـــوم الشعـــب فـي مواقـــع عملهـــم أوسكناهم، ويتعرفون على مشاكلهم وانشغالاتهم في مختلف الميادين، محاولين بذلك الأخذ بأيديهم إلى أسلم الطرق لمعالجتها وحثهم على الوحدة والتمسك بالدين الصحيح ونبذ الفرقة والاختلاف والتشرذم .

و كانوا يسجلون هذه الرحلات أحيانا وينشرونها أيضا كما فعل الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي نشر بعض رحلاته المسجلة على صفحات مجلة " الشهاب "، وسيأتي ذكر نموذج منها .

[1]- عبد الله الركيبي – تطور النثر الجزائري الحديث – ص 68.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

4 – نموذج من أدب الرحلة في الشهاب :

– رحلة الشيخ عبد الحميد بن باديس من الجزائر إلى وهران مرورا بما بينهما من المدن .

" بعدما انتهينا من دروس السنة الماضية وقبل انعقاد مجلس إدارة جمعية العلماء في شهر ربيع الأول، رأينا أن نعقد رحلة من العاصمة الجزائر إلى وهران، فما بينهما من البلدان ، فاخترت للرفقة من أبنائي التلامذة السيد الفاضل ءال الشيح الحسين الورتلاني والسيد محمد ءال الصادق الجندلي، فأممنا من قسنطينة إلى العاصمة، فأقمنا بضعة أيام، ثم شرعنا في رحلتنا فأتممناها في نحو عشرين يوما، وحللنا في مليانة ثم خميس مليانة، ثم الأصنام ثم غليزان، ثم مستغانم ثم أرزيو، ثم وهران، وكان الحديث في مجالسنا حيث ما حللنا يدور على جمعية العلماء ومقاصدها ومنافع الأمة منها، والتنويه بفضل الحكومة بالإذن بتأسيسها مع ما يتخلل ذلك من تذكير بالله وتنبيه على مصالح الدنيا والآخرة، وتحريض على التآخي و التوازر وحسن الجوار والمعاملة ،مع جميع الأجناس المتساكنة في هذا الوطن، وكنا نرى في جميع المجالس إقبالا وقبولا مما لا نشك معه في بقاء الأثر الطيب في القلوب إن شاء الله .

بعض التفاصيل:

- **مليانة:** ممن عرفنا بها المفتي الشيخ وكّال محمد عالم قرأ سنوات بالأزهر وأعجبني منه أنني وجدته يطالع شرح تجريد أحاديث البخاري فشكرت له عنايته بالسنة، وقلت له إننا نعرف عقلية الرجل من معرفتنا بالكتب التي يطالعها ... وكان مجلس التذكير في بيت الشيخ المفتي أولا ثم كان قبيل المغرب بالمسجد...
- **خميس مليانة:** ممن عرفنا بها السيد عليش من طلبة العلم النشيطين وهو داعية من دعاة النهوض للعلم بعقل صحيح وعقيدة سليمة ...و أممنا المسجد فكان

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

المجلس غالبا معمورا بالسامعين ... وعقدنا مجلسا عاما للتذكير حضره جمٌّ غفير من الناس ...

- **الأصنام:**ممن عرفنا من فضلائها مفتيها العالم الماجد الشيخ الوانوغي بن الشيخ بومزراق الزعيم المقراني المشهور، والشيخ يمثل شهامة أسرته وكرمهم وهمتهم إلى معارف أكسبته إياها الأسفار والتجارب، وهو القائم بالخطبة والتدريس في جامعها ...و عقدنا مجلس التذكير بساحة الجامع مساء...وبلدة الأصنام بلدة تجارية وفي أهلها ذكاء وفهم وقبول للتعليم ...
- **غليزان:** أول من اجتمعنا به من فضلائها الأخ الشيخ مولاي محمد أحد أهل العلم وشيخ الزاوية بها، وهذا من شيوخ الزوايا الذين لهم رغبة في نشر العلم وهداية الناس، وسعة صدر في سماع الحق وأدلته...
- **مستغانم:** قصدنا من المحطة إلى مسجد الأخ الشيخ بلقاسم بن حلّوش، لما بيننا من سابق المعرفة بالمكاتبة، وروابط المودة المتأكدة، ولأن ابنه الشيخ مصطفى أحد مريدينا، ومن أعزهم علينا فتلقيانا بالحفاوة والسرور الزائدين، وأنزلانا على الرحب والسعة، ومن غده دعا للعشاء معنا أعيان البلد، منهم فضيلة الشيخ المفتي سيدي عبد القادر بن قارة مصطفى، وسماحة الشيخ سيدي أحمد بن عليوة شيخ الطريقة المشهورة، وكان هذا أول تعرفنا بحضرتهما، فكان اجتماعا حافلا بعدد كثير من الناس، ولما انتهينا من العشاء أُلقيتُ موعظة في المحبة والأخوة ولزوم التعاون والتفاهم على أساسهما، وأن لا نجعل القليل مما نختلف فيه سببا في قطع الكثير مما نتفق عليه، وأن الاختلاف بين العقلاء لا بد أن يكون ولكن الضار والممنوع المنع البات هو أن يؤدينا ذلك الاختلاف إلى الافتراق، وذكرنا الدواء الذي يقلل من الاختلاف ويعصم من الافتراق، وهو تحكيم الصريح من كتاب الله والصحيح من سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فاستحسن الشيوخ الحاضرون ذلك وحل من

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الجميع محل القبول. والحق يقال أن أغلب الناس ممن رأينا صاروا يشعرون بألم الافتراق وينفرون منه ويصغـون إلى دعوة الوفاق والتحاب .

و ما افترق المجلس حتى دعانا الشيخ سيدي أحمد بن عليوة إلى العشاء عنده والشيخ الأعرج بن الأحول شيخ الطريقة القادرية إلى الغداء، فلبينا دعوتهما شاكرين . فكانت حفلة الغداء في دار الشيخ سيدي الحاج الأعرج، ثم كانت حفلة العشاء عند الشيخ سيدي أحمد بن عليوة حضرها من أعيان البلد من تلامذة الشيخ ما يناهز المائة وبالغ الشيخ في الحفاوة والإكرام، وقام على خدمة ضيوفه بنفسه، فملأ القلوب والعيون وأطلق الألسنة بالشكر، وبعد العشاء قرأ القارئ آيات، ثم أخذ تلامذة الشيخ في إنشاد قصائد من كلام الشيخ ابن الفارض بأصوات حسنة ترنحت لها الأجساد، ودارت في أثناء ذلك مذاكرات أدبية في معاني بعض الأبيات زادت المجلس رونقا . ومما شهدته من أدب الشيخ مضيفنا، وأعجبت به أنه لم يتعرض أصلا لمسألة من محل الخلاف ، يوجب التعرض لها عليَّ أن أُبدي رأيي وأدافع عنه، فكانت محادثاتنا كلها في الكثير مما هو محل اتفاق دون القليل الذي هو محل الخلاف . لكن السيد أحمد بن إسماعيل، صاحب مخازن الأتاي– وكان جالسا على شمالي في المجلس –شاء أن يخرق هذا السياج ويدخل في موضوع ليس حضرته –و له الاحترام – من أهل الكلام فيه فقال : " هؤلاء المفسدون الذين يسمون أنفسهم مصلحين ينكرون الولاية" ، فرأيت في وجه الشيخ أحمد بن عليوة الإنكار لهذا الكلام الخارج عن الدائرة ووجدت نفسي مضطرا للبيان، فقلت له: " اسمع يا سيد أحمد، الولاية الشرعية قد جاءت فيها آية صريحة قرآنية، وتلوت له قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾[1]. وتكلمت على شيء من معناها، فمن أنكر هذه الولاية فلفظة مفسد قليل في حقه، وحقه أن يقال فيه ملحد، وأما لفظة مصلح فهي أعلى من هذا وأشرف

[1]- سورة يونس – الآية: 62.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

من هذا كله، وأن المسألة ليست هنا، وإنما المهم أن جميع علماء الإسلام من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين وشيوخ الزهد المتقدمين تتسع صدورهم لأن يؤخذ من كلامهم ويرد، إلا العامة المنتمين للتصوف، فإنهم يأبون كل الإباء أن يسمعوا كلمة نقد أو رد في أحد من الشيوخ، مع أن غير المعصوم معرض للخطأ دائما في أقواله وأفعاله، فكأنهم بهذا يعتقدون فيهم العصمة . وقد سئل إمام الطائفة الجنيد أَوَ يَزْنِي الولّي؟فأطرق ثم قال: و كان أمر الله قَدَرًا مَقْدُورًا . فهذا يدلنا على ما كان عليه شيوخ الزهد من تعليم الناس بأنهم غير معصومين دفعا لغلو الغالين وعلى أن فكرة العصمة أو ما يقرب منها موجودة في الأذهان، وهي مثار مثل هذا السؤال فلو أن إخواننا المنتمين للتصوف قبلوا أن يوزن كلام الشيوخ بميزان الكتاب والسنة مثل غيرهم من علماء الإسلام ، ورضوا بالرجوع الحقيقي لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[1]،

لبطل الخلاف أو قلَّ". فرضي أهل المجلس هذا الكلام...ثم عاد المجلس إلى الإنشاد والمذاكرات الأدبية حتى انتهت السهرة... أهل مستغانم أهل ذكاء وحسن نية وإقبال على العلم... واحتفل بنا في مستغانم جماعة إخواننا الإباضية ، ولقينا منهم من الإكرام مثل ما كنا نلقاهم دائما منهم في رحلتنا.

البقية للآتي ..."[2]

[1]- سورة النساء - الآية 59.

[2]- الشهاب – المجلد :7 –الجزء: 11 – الصادر غرة رجب 1350هـ الموافق لنوفمبر 1931م – ص 725-733.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

- **السمات العامة:**

لقد سجل الشيخ عبد الحميد بن باديس فصول رحلته إلى وهران ، ونشرها على حلقتين في مجلة الشهاب ، الحلقة الأولى في الجزء الحادي عشر من المجلد السابع نوفمبر 1931 م، والحلقة الثانية في الجزء الثاني عشر من المجلد نفسه ديسمبر 1931م، وهذا النموذج هو مقاطع من الحلقة الأولى، ونظرا لطولها فقد حاولت إيراد المقاطع التي تبدو مهمة من ناحية نشاط الشيخ خلال رحلته، وأن ما فيها من أحداث ومناقشات يندرج ضمن صميم الهدف من الرحلة وجوهرها.

و أول ما يلاحظ على بداية هذه الرحلة هو استغلاله للفراغ الذي حصل عليه في الفترة الفاصلة بين انتهاء موسم التعليم وانعقاد الاجتماع الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فاختار الرفقة الصالحة من تلامذته، واستغل العشرين يوما تلك في رحلة دعوية،فهو كغيره من رجال الحركة الإصلاحية قد كانت رحلاتهم " في الداخل إلى جانب الدعوة إلى أفكارها، تصور مدى تعلق الشعب بالحركة الإصلاحية وعلمائها، وهي من هذه الناحية تمثل نوعا من الدعاية، لذلك اختلف أسلوبها باختلاف موضوعها ومضمونها، فرأينا فيها السرد التسجيلي الذي يعتمد على المباشرة والتقرير لا على التصوير والإيحاء "[1].

و يذكر أنه حيثما حل فإنما كان هدفه من هذه التنقلات والحل والارتحال هو تذكير الناس بدينهم وحثهم على الرجوع إليه، والسعي إلى رفع الأمية والأخذ بأسباب الحياة.

" ثم يأخذ في وصف جولاته هذه، ويذكر أسماء مدن وقرى كثيرة،ويتحدث عن المساجد فيها ويدعو إلى بناء مثلها، كما يذكر أسماء شخصيات معروفة التقى بها هنا وهناك... وأهمية هذه الرحلات كلها في أنها لم تستخدم لغرض التنزه أو تزجية الفراغ أو خدمة الحاكم الأجنبي، وإنما عنيت بتوعية الناس والدعوة إلى اليقظة والوحدة والوعي"[2].

[1]- عبد الله الركيبي – تطور النثر الجزائري الحديث – ص67.
[2]- المرجع نفسه – ص 68-69- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

كان الشيخ يلتقي في كل بلد يزوره بمختلف شرائح الأمة في أماكن مختلفة، في البيوت والمساجد والنوادي والمدارس الحرة وغيرها، قصد الإرشاد والاطلاع على مشاكل الحياة والتنبيه على مصالح الدين والدنيا وبيان مقاصد جمعية العلماء والتنويه بمنافعها للأمة. و فَصَّل في هذه الرحلة حديثه تفصيلا خاصا لكل مدينة أو بلدة زارها من ملیانة إلى خميس ملیانة فالأصنام و غيليزان ثم مستغانم، والتي أطال الحديث عنها كما ركز على ذكر أحوال أهلها ووصف مجالسها وسرد ما حدث له هناك من مواقف، ولعل ذلك راجع لأسباب أهمها:

" –كانت هذه المدينة معقلا للطرقية

- كان حاكمها قبل أن ينتقل إليها حاكما لقسنطينة ، مسقط رأس ابن باديس ومسكنه.
- كانت مركزا ثقافيا ولاسيما للثقافة الصوفية . "[1]

و مدينة مستغانم كانت مقرا لثلاث زوايا مشهورة: القادرية، والعليوية وزاوية ابن طكوك التي كانت بالقرب من مستغانم.

" فلعل هذه الأسباب جعلته يقيم فيها زمنا أطول، ويكتب عنها حديثا أشمل، فنجده يصف وصوله إلى مستغانم ودعوته من بعض أعيانها، كما دعاه الشيخ أحمد بن عليوة شيخ الطريقة العليوية إلى مأدبة عشاء فخمة وضخمة، ثم ينتقل ابن باديس من هذا الوصف المادي إلى وصف روحي فكري حيث يعرض للنقاش الذي دار بينه وبين الطرقيين في هذا المأقط الرهيب الذي أحسبه أحرج مأقط شهده ابن باديس مع المنتمين للتصوف والمتشيعين له" [2].

فقد سأله أحدهم عن الولاية، فكان رده بآية من القرآن الكريم، وكان يمدح من الصوفية من كان على الكتاب والسنة، و كان يواجه بأسئلة كثيرة تعبر عن انشغالات سكان المنطقة في تلك الفترة وكان أكثر ما يسأل عنه هو التصوف والولاية والكرامة والتوسل ، هذه

[1]- عبد الملك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – 1934م – 1954م – ص 294.
[2]- المرجع نفسه – ص 294- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الأسئلـة" تدل على ما كان يضطرب في أذهان الناس من أمور تتصل بدينهم ومعتقداتهم، كما أنها تدل على مبلغ ما وصل إليه الجمود والتحجر في فترة ظهرت فيها ناشئة جديدة حركت هذا الركود وفجرت أعماق هذا المجتمع لينظر ما فيه من جوهر وما فيه أيضا من تدهور بسبب عهود سابقة أبقى عليه الاستعمار و غذّاه لمصلحته الخاصة "[1] .

و كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يجيب على الأسئلة بحكمة وحِلم، موحيا لهم بأنه ملم بأصول الشريعة والتصوف معا، بل ومستشهدا بأقوال كبار المتصوفة مثل الجنيد، فقد كان الشيخ دارسا لمذاهب الصوفية على اختلافها، متبحرا في أصولها وفروعها فأجابهم بما يعرفون، ثم يعود إلى هذه المذاهب لنقضها وبيان فسادها، وفساد أصحابها.

" وبعد هذه الأثناء أصبح ممقوتا لديهم، يحذرهم ويحذرونه، ويتجنبهم ويتجنبونه، ولعل ابن عليوة أراد أن يجعله من أتباعه، أو أصدقائه على الأقل، وبذلك يسلم من جانب جمعية العلماء المسلمين التي كان سلطانها أخذ يقوى، ونفوذها اخذ ينتشر بالرغم من أنها كانت قد تأسست منذ شهور قليلة . ولكن ابن عليوة لم يفلح في مسعاه"[2].

فكانت محاورات الشيخ ابن باديس مع رجال التصوف في هذه الرحلة على درجة من الشدة والحِدَّة، لأنه أعلن أن المذاهب الصوفية التي كانت شائعة آنذاك، كانت مضطربة ومقصرة في الشريعة الإسلامية، بل مستهينة بها و مستهترة في كثير من الأحيان وقد كان الشيخ ابن باديس ملتزما بمنهجه العلمي فكان في كل مدينة أو بلدة يحل بها يحاول تحسس مشاكلها التي تكون موضوع لقائه مع الأهالي ويتعلق ذلك عموما بقضايا دينية واجتماعية وسياسية، وكان حريصا على الحث على تصحيح العقيدة وتصفيتها مما قد يشوبها من ضلالات وبدع، والاعتصام بعرى الأخوة والاتحاد والتعاضد ونبذ أسباب الفرقة والخصام والتنازع.

[1]- عبد الله الركيبي – تطور النثر الجزائري الحديث – ص 69.
[2]- عبد الملك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – 1931-1954م – ص 295.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

كما كان يحض على " الأخذ بأسباب العلم النافع والإقبال على العمل الصالحين وما إلى ذلك مما يسعد الإنسان في دنياه وفي آخرته...وإن الذي كان يتطرق إليه في رحلاته كما في سائر تراثه في مجرى واحد هو مشروعه الحضاري ، تصحيحا للعقائد وتحريرا للعقول وتقويما للسلوك وتوحيدا للصفوف واستشرافا للمستقبل...أما مادة الحوار فهي في معظم الأوقات آية قرآنية يدير الشيخ حولها النقاش مسترشدا بها إلى معالم الطريق، مستلهما منها الحكمة وفصل الخطاب"[1]، فهو لم يكن يهدف من تلك الرحلات إلى ما كان يهدف إليه الرحالة المعروفون " من الوقوف عند بعض الجوانب التاريخية والجغرافية في البلدان التي يرتحلون إليها، وتصوير بعض الظواهر الخارجية من مناظر الطبيعة ومظاهر العمران وأحوال السكان . إن ابن باديس لم يكن من أهدافه شيء من ذلك، وإنما الذي كان يتوخاه ويركز عليه في رحلاته إنما هو الاحتكاك بالمجتمع والتعرف على ما يعانيه من مشكلات ومحاولة مساعدته للتغلب عليها"[2].

و قد وضع الشيخ خطة لرحلاته يكاد يلتزمها في معظم ما كتاب وسَجَّل من هذه الرحلات مع شيء من التنوع والإثراء في بعض تفاصيلها، فكان يستهلها غالبا بمقدمة يتحدث فيها عن دواعي الرحلة وموجباتها وبعض أهدافها والتحضير لها ثم المسار المزمع اتباعه والبلدان التي ينوي زيارتها، ثم عرض يفصل فيه الرحلة وما دار فيها من أحداث ونقاشات ونشاط ويركز فيه غالبا على الأنشطة المتعلقة بالإرشاد والتوعية والتوجيه، ثم ينهي الموضوع بخاتمة حول انطباعاته من الرحلة وعن الأشخاص الذين التقاهم معرجا في إيجاز عن ظروف عودته إلى قسنطينة في أغلب الأحيان، فجاءت أحداث رحلاته منسجمة ومتماسكة ومتسلسلة تسلسلا خلصها من التداخل والتكرار أو الاستطراد.

و كان الشيخ يعتمد في أسلوبه على أدوات تعبيرية مستمدة من ثقافته الإسلامية مما كان له الأثر الواضح في طبيعة صياغته لرحلاته بالتركيز على معالجة الجوانب العامة في

[1]- محمد بن سمينة- الأدب العربي الحديث بالجزائر – الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس – ص 49.
[2]- المرجع نفسه – ص 49.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

حيـاة المجتمع الجزائـري، فكانـت ألفاظه سهلة وبسيطة وفصيحة بعيـدة عـن كـل توهـم أوغمـوض، " وبعيـدة عـن الغرابـة والابتـذال، كمـا جـاءت تراكيبيـة قويـة متماسـكة، لا تتخللها معاضلة ولا التواء، ويلمس الدارس هذه الملامح في معظم نصوص رحلاته، وكان معجمه اللغوي بذلك في معظمه قائما على استعمال الألفاظ استعمالا حقيقيا مباشرا وكان قلما يسير في غير هذا الاتجاه، فيستخدم اللغة بدلالاتها الإيحائية كمثل استعماله لألفاظ التذكير ومشتقاتها وتكرارها كثيرا بمعاني متنوعة، فضلا عن لفظة (التعارف) فالتذكير في حالة الغفلة والنسيان ومن معانيه الإرشاد والنصح، والتعارف المؤدي للمحبة والتفاهم وهو المقدمة الحقيقية اللازمة ليتم نجاح عملية التذكر "[1].

و هما لفظتان قرآنيتان في قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[2].

وقوله عز وجل أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[3].

و يعتبر الاغتراف من القرآن الكريم روحا ومعنى من أبرز الخصائص الأسلوبية عند الشيخ ابن باديس ، إضافة إلى ذلك طغيان الأسلوب الخبري وغلبته في نصوص رحلاته، وذلك لكونه الأكثر ملاءمة لما جاء في هذه النصوص من أخبار وأوصاف وعرض للخواطر والأفكار من خلال تصوير كل ذلك تصويرا صادقا أمينا مما يساعد على إدراك ما قام به من نشاطات واستيعاب ما تهدف إليه من مقاصد تتجلى في الإفهام والتوعية والتوجيه.

" كما جاء أسلوبه كذلك قريبا مباشرا يكاد يخلو من التصوير البياني والزخرف اللفظي وقد آثر فيه على تلك المظاهر سمات أخرى أهمها : البساطة والقرب والوضوح، وهذه أهم طوابع أسلوبه العام، ذلك أن الهدف المنشود من صنعته الأدبية في رحلاته كما في غيرها من فنونه الأخرى ليس هو الإمتاع والإثارة، بقدر ما كان يهدف من ذلك إلى رسم صورة

[1]- المرجع السابق – ص 53- بتصرف .
[2]- سورة الذاريات – الآية: 55.
[3]- سورة الحجرات – الآية: 13.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

صادقة واضحة عن الواقع وانعكاساته المختلفة على حياة الإنسان فيه، والمساهمة في النهوض به "[1].

و هو يحرص في أسلوبه على العناية بما يحقق هذه الغاية التبليغية أكثر من عنايته بالصورة الأدبية والجمال الفني، فجاء أسلوبه الغالب في نصوص رحلاته تقريريا مباشرا إلا في اليسير النادر حيث جاءت بعض العبارات موحية مضفية على النص مسحة أدبية فيها إثارة وإمتاع وجمال يلمحه القارئ متجليا في بعض خصائص الأسلوب القصصي التي كان يوظفها في نصوص رحلاته كالسرد والوصف.

" أما السرد فقد تجلى في عرضه لبعض وقائع رحلاته، ويظهر ذلك خاصة في كثرة استعماله ماضي الفعل كان مثلما يتضح في عبارات (ما كنت أدعوهم، كنت أذكرهم، كان التذكير، كان الدرس، كانت الصلاة في مسجد القرية و غيرها) ، إضافة إلى تجلي هذا الأسلوب خلال حديثه عن تطور الرحلة وأحداثها... أما الوصف فلم يعن به كثيرا وبخاصة وصف الطبيعة والبلدان، وإنما كان ينشغل في هذا المضمار بوصف ورسم بعض الملامح الخاطفة عن بعض الأحوال العامة للأمة وإضفاء بعض النعوت والأوصاف على بعض الشخصيات من خلال خواطره ومشاعره وانفعالاته اتجاهها "[2]. .

فالشيخ ركز وصفه على الإنسان من خلال الحقائق الدينية والخلقية، ولم يحفل بوصف المكان إلا نادرا وفي لمحات خاطفة فقط.

و إن النص الأدبي " فضلا عن كونه إنتاجا فرديا فهو إنتاج جماعي باعتباره المعبر في نهاية الأمر عن حال جماعة كبيرة ينتسب إليها الكاتب ...و كونه إنتاجا جماعيا فإنه لا يمكنه إلا أن يحمل في خلايا دمه قسمات هذا المجتمع وروحه التي تنحو دائما صوب الفعل

[1]- محمد بن سمينة – الأدب العربي الحديث بالجزائر – الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس – ص 53.
[2]- المرجع نفسه – ص 53-54 – بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الحضاري الخلاق بواسطة النص الأدبي الذي هو عبارة عن تجربة منصهرة باللغة المتمثلة في المفردة و الصياغة"[1].

فنصوص رحلات الشيخ استطاع من خلالها الوقوف على قضايا ومشكلات الأمة الجزائرية واقتراح وتقديم الحلول الناجعة لمعالجتها ومواجهتها، فجاءت هذه النصوص مفعمة بالقيم التاريخية والاجتماعية والأدبية، بما حوته من صور حية عن الواقع الجزائري في تلك الفترة وتعبيرٍ عن الاتجاهات الفكرية والثقافية السائدة المتوافقة حينا والمتنافرة أحيانا أخرى، إضافة إلى تصوير بعض وجوه الحياة الوطنية.

[1]- محمد زتيلي – فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية – دار البعث للطباعة والنشر – قسنطينة – الجزائر – ط1 – 1405هـ - 1984م – ص 128- بتصرف.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

خـاتمـــة

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

بعد هذا السعي الحثيث في رحاب الشهاب و الأشكال النثرية التي ضمتها بين صفحاتها ، توصلت إلى جملة من النتائج ، أهمها :

- الخطاب هو ذلك التشكيل الجمالي الذي استوعب في حدثه الألفاظ و المعاني و الأخيلة و الصور، و الخطاب الأدبي خطاب نوعي يحمل رسالة معرفية أو شعورية وجدانية ، و هو الحالة التفاعلية للغة، ملفوظة كانت أو مكتوبة.
- النثر هو الكلام المرسل الفني الذي يمتاز بلغة أدبية تثير النفس و الشعور، و يجمع بين اللذة و الفائدة ، أي هو قالب فني يحوي معاني و صور و أفكار و رؤى ، فضلا عن واجهته المشكلة له .
- أما عن الشهاب فقد صدرت في فترة كان الاستعمار الفرنسي قد بلغ أوج عُتوِّه ، و حِقده ، و سعيه للقضاء على المقومات الحضارية للجزائريين ، وجاءت الشهاب بعد تعطيل المنتقد بقرار من وزير الداخلية الفرنسي بباريس، و هذه أول مرة يحدث فيها هذا ، إذ جرت العادة على اتخاذ مثل هذه القرارات على مستوى الولاية العامة في الجزائر.
- بدأت الشهاب جريدة أسبوعية لمدة أربع سنوات 1925م – 1929م ، ثم ألمت بها ضائقة مالية كادت تحجبها ، لكن الشيخ عبد الحميد بن باديس ارتأى بحكمته ، التكيف مع الظروف ، فحولها إلى مجلة شهرية بداية من سنة 1929م ، و استمرت في الصدور إلى سبتمبر 1939م ، حيث أوقفها حتى لا تضطر إلى نشر ما يخالف مبادئها تحت طائلة قوانين الحرب .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

- كان أهم شعار حملته الشهاب : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، و كانت ثرية بأبوابها المتنوعة التي تشمل التفسير ، و الأدب ، و السياسة ، و الاجتماع ، و الاقتصاد ، و الأخبار و غيرها .
- كما كانت الشهاب تنقل عن الصحف و المجلات العربية ، وحتى عن تلك الصادرة في المهاجر الأمريكية ، فتأتي زاخرة بالمواضيع المتنوعة التي تغرفها من مختلف روافد المعرفة و الأدب ، فجاءت خطاباتها تعبر عن مستوى ما وصلت إليه اللغة العربية في وطن خضع للاستعمار الفكري و اللغوي و الثقافي لمدة ناهزت القرن من الزمن.
- و يمثل محتوى الشهاب تجليا للكفاح المستمر من أجل البقاء ، و تحديا للغة و الثقافة الفرنسية التي رسَّمَها الاستعمار ، وسعى لتكريسها كأمر واقع على الجزائريين ، و كانت الشهاب بأفكارها و موضوعاتها و اتجاهها الإصلاحي تتحدى الثقافة التي أشاعتها الطرق الصوفية المنحرفة عن الجادة، و هي ثقافة التواكل و الخرافة و المسكنة ، و اليأس من الإصلاح وتغيُّر الحال.
- و قد كان خطاب الشهاب خطاب تصدي لمخططات الاستعمار الرامية إلى القضاء على المعالم الحضارية و الهوية الوطنية للشعب الجزائري ، و ردا على حملات الإهانة و الإذلال التي كانت تستهدف الإنسان المسلم الجزائري ، فهي وقفت موقف دفاع عن الهوية ، و رد على مشاريع الاستعمار الهادفة إلى فرنسة الجزائريين و إدماجهم .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

- و مشروع الشهاب الإصلاحي هو مشروع الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي يرتكز على محورين أساسيين هما :
  - تصحيح عقائد الناس و أعمالهم ، عن طريق العودة إلى الفهم الصحيح للدين الإسلامي المبني على القرآن و السنة ، لا على الخرافات و البدع .
  - الاهتمام بالتعليم ، باعتباره سلاحا لمقاومة المعتدي ، من خلال نشر العلـم و المعرفـة ، و اليقظـة و الوعـي ، و محاربة الجهـل و التخلف.
- كما تعد الشهاب مدرسة أدبية راقية ، ففي الوقت الذي كان ينتظر فيه الجزائري رخصة من الإدارة الاستعمارية لدخول مجلة من المشرق ، ويحاصر الاستعمار فيها اللغة العربية ، و يسعى لجعلها لغة التمائم ، في هذا الوقت تظهـر مجلـة الشهـاب لتقـوم بدورهـا فـي الإصلاح الدينـي و الثقافـي و الاجتماعي و السياسي ، و تكون الرائدة في ذلك بكونها أول مجلة عربية وطنية في الجزائر ، بأسلوبها العربي المبين ، يقرأها الجزائري فيحظـى برقـي في الأفكار و الأسلـوب ، و يرى ملامح المشـروع الوطنـي و الحضاري الذي يطمح إليه .
- و قد توزع الخطاب النثري في الشهاب على جل الفنون النثرية ، غير أن الحظ الأوفر كان للمقالة ، باعتبارها الأكثر ملاءمة للمجلات بحكم خصائصها الفنية التي بوأتها مكانة الصدارة في الإنتاج النثري المنشور في

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الشهاب ، وكان أشهر كتابها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، و الشيخ محمد البشير الإبراهيمي،إضافة إلى طائفة من الكتاب و العلمـاء و المفكريـن ، و رجال الإصلاح على وجه الخصوص ، و كانت مقالات الشهاب المنشورة فيها أصالة ، أو المنقولة من مصادر أخرى على درجة كبيرة من الرقي الفكري و الفني ، وكلها تخدم المشروع الإصلاحي الوطني ؛ و امتاز أسلوب الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقالاته بالمباشرة و القوة ، و قصر الجمل ، و التركيز ، و يغلب عليه الطابع الذهني و الروح الدينية ، كما أنه قليل العناية بالجانب الفني الأدبي ، مع شدة اهتمامه بالفكرة و العناية بتوصيلها بأسلوب صريح و مباشر ؛ أما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، فقد كان يجمع بين العناية بالفكـرة و بالصياغــة و التعبيـر عــن العاطفــة و الشعور ، أي يجمع بين الفكرة الإصلاحية في مضمونه و الجمال الأدبي في تعبيره .

- كما كان للخطابة نصيب هي الأخرى في نصوص الشهاب ، غير انه أقل شانا مما كان للمقالة ، و مرجع ذلك أن الخطباء في أغلب الأحيان يرتجلون خطبهم ، و لا يكتبونها ، مما يؤدي إلى ضياعها إلا في القليل النادر مما يُقيِّدُه المستمعون ، أو يكتبه الخطباء ؛ أما عن السمات الفنية للنصوص الخطابية المنشورة في الشهاب ؛ فلكون جل الخطب المنشورة كانت للشيخ ابن باديس أو الشيخ الإبراهيمي ، فإن أسلوب الخطب و خصائصها الفنية لا يختلف كثيرا عن المقالة ؛ فالأول يركز على الفكرة ، ويهدف إلى التأثير

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

و الإقناع ، و اللغة عنده وسيلة ؛ بينما الثاني يجمع بين الفكرة و الإقناع و التأثير و المتعة الأدبية ، فاللغة عنده وسيلة و غاية فهو يذهب في فنون البلاغة كل مذهب.

- و لم تخل الشهاب من الرسائل التي كان لها دورها أيضا في المعركة الحضارية التي خاضها الجزائريون ضد الاستعمار على كافة الأصعدة ، وظهرت على صفحات الشهاب مجموعة من الرسائل العامة ، بخاصة ما كان يرسله الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى شُعب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بصفته رئيسا لها ، إضافة إلى بعض الرسائل الأدبية التي منها رسالة الشيخ الإبراهيمي إلى محمد العيد آل خليفة ، و هي نموذج راق للرسالة الأدبية في الشهاب ، وفيها تجلت عبقرية الشيخ الإبراهيمي الأدبية و مهارته الفنية .
- كما أن التراجم من الفنون النثرية التي كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يرصع بها صفحات الشهاب ؛ غير أنها كانت ضئيلة من حيث القيمة الفنية، لكونها لا تهدف للترجمة الفنية الإبداعية بقدر ما تهدف إلى التعريف ببعض جوانب حياة الأعلام ، و الوقوف على عوامل نبوغهم و تميزهم ، و الدعوة للاقتداء بهم و اتباع سمتهم ، و بخاصة سيرة النبي صلى الله عليه و سلم ، و سير الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .
- أما عن أدب الرحلات فقد كانت الشهاب تنشر ما يسجله الشيخ عبد الحميد بن باديس من رحلاته ؛ فكثيرا ما كانت تطالع قراءها بنصوص في أدب

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الرحلات يكتبها الشيخ مسجلا فيها أحداث رحلاته ، و نشاطاته خلالها خصوصا رحلاته داخل الوطن ، و كان أدب الرحلات في الشهاب – شأنه شأن التراجم – غير ذي قيمة أدبية و فنية كبيرة ، لأن الشيخ لم يكن يهدف من رحلاته إلى وصف البلدان و تصوير الطبيعة و العمران وغيرها ، و إنما كان هدفه هو الاحتكاك بشرائح الشعب الجزائري ، و التعرف على آمالها و آلامها و مشاركته إياها ، فكان يركز في أسلوبه على الغاية التبليغية أكثر من عنايته بالصورة الأدبية و الجمال الفني ، لذا جاءت نصوص رحلاته صورة حية عن الواقع الجزائري في تلك الفترة ، و تعبيرا عن الاتجاهات الفكرية و الثقافية و السياسية الشائعة حينها ، إضافة إلى تصويرها لبعض ملامح الحياة الوطنية .

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث المتواضع ، راجيا أن لا أكون قد جانبت كل الصواب ، و الله المستعان.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

المصادر و المراجع

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

المصادر و المراجع

- القران الكريم – رواية حفص عن قراءة عاصم.

1- سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو داود – سنن أبي داود – تحقيق : شعيب الأرنؤوط و محمد كامل قروبللي – دار الرسالة العالمية – دمشق – سوريا – طبعة خاصة- 1430هـ - 2009م .

2-مالك بن أنس – الموطأ – تعليق و إخراج : محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – 1406 هـ – 1985م .

3- محمد بن عيسى الترمذي – الجامع الصحيح (سنن الترمذي) – تحقيق : إبراهيم عطوه عوض – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة – مصر – ط2 – 1395هـ – 1975م.

4- مسلم بن الحجاج القشيري النيْسَابوري – صحيح مسلم – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار – الحديث – القاهرة – مصر – ط1 – 1412هـ –1991م.

قائمة المصادر والمراجع :

أ- المصادر:

1- مجلة الشهاب ، لمنشئها : الشيخ عبد الحميد بن باديس- تقديم : عبد الرحمن شيبان – تصدير : أبو القاسم سعد الله – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – ط1 – 1421هـ- 2001م- 16 مجلدا .

ب- المراجع العربية و المترجمة:

1- إبراهيم براهمي- استراتيجية الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي – منشورات بونة للبحوث و الدراسات – عنابة – الجزائر- ط1 – 1434هـ – 2013م .

2- إبراهيم السعافين و آخرون – أساليب التعبير الأدبي – دار الشروق للنشر و التوزيع – عمان – الأردن – ط3 – 2000م .

3- أبو القاسم سعد الله – أفكار جامحة – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1988م.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

4- أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان– ط1 – 1998م .

5- أبو القاسم سعد الله – قضايا شائكة في شؤون الفكر و الأدب و التاريخ – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – 1990م .

6- أبو القاسم كرو و عبد الله شريط – شخصيات أدبية من المشرق و المغرب – دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – ط2 – 1996م .

7-إحسان عباس – فن السيرة – دار صادر – بيروت – لبنان – دار الشروق – عمان – الأردن – ط1 – 1996م .

8-إحسان النص – الخطابة العربية في عصرها الذهبي – دار المعارف – القاهرة – مصر – ط2 – 1969م .

9-أحمد أمين – زعماء الإصلاح – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – الجزائر – 1990م.

10- أحمد أمين – فيض الخاطر – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – الجزائر – 1998م.

11- أحمد بن علي ابو العباس القلقشندي – صبح الأعشى في صناعة الإنشا – المطبعة الأميرية – القاهرة – مصر – 1338هـ – 1919م .

12- أحمد بن فارس – معجم مقاييس اللغة – تحقيق و ضبط : عبد السلام أحمد هارون – دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت – لبنان – 1399هـ – 1979م .

13- أحمد بن نعمان – التعريب بين المبدأ و التطبيق – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – 1981م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

14- أحمد حماني – صراع بين السنة و البدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس – دار البعث للطباعة و النشر – قسنطينة – الجزائر – ط1 – 1405هـ – 1984م .

15- أحمد الخطيب – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1985م .

16- أحمد دوغان – شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1989م .

17- أحمد دوغان – في الأدب الجزائري الحديث – مطبعة اتحاد الكتاب العرب – دمشق – سوريا – 1996م .

18- أحمد شوقي – ديوان أحمد شوقي (الشوقيات) – مراجعة : يوسف الشيخ محمد البقاعي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط1 – 2005م .

19- أحمد المتوكل –الخطاب و خصائص اللغة العربية – دراسة في الوظيفة و البنية والنمط – مطابع الدار العربية للعلوم – بيروت – لبنان – ط 1- 1431هـ – 2010م.

20- أحمد محمد الحوفي – فن الخطابة – دار نهضة مصر – القاهرة – مصر – 2003م.

21- أحمد محمد عنبر – قضية الأدب بين اللفظ و المعنى – دار الكتاب العربي – القاهرة- مصر –1954م .

22- أحمد ياسين العرود – تحول الخطاب النثري في عصر النهضة 1776م/1912م – مطبعة الروزنا – عمان – الأردن – ط1 – 2005م .

23- أحمد يوسف – القراءة النسقية – سلطة البنية و وهم المحايثة – منشورات الاختلاف – الجزائر – ط1 – 2003م .

24- أرسطو طاليس – الخطابة – الترجمة العربية القديمة – تحقيق : عبد الرحمن بدوي – دار القلم – بيروت – لبنان – وكالة المطبوعات – الكويت – 1979م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

25- إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية – ديوان أبي العتاهية – دار بيروت للطباعة و النشر– بيروت – لبنان – 1406هـ – 1986م .

26- أنور الجندي – تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي – مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة – مصر – ط1 – 1970م .

27- أنيس المقدسي – الفنون الأدبية و أعلامها – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط2 – 1980م .

28- باعزيز بن عمر – رحلتي إلى البقاع المقدسة – منشورات ثالة – الجزائر – ط2 – 2007م .

29- بدوي طبانة – التيارات المعاصرة في النقد الأدبي – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – مصر – ط1- 1382هـ – 1963م .

30- بسام العسلي – عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة الجزائرية – دار النفائس – بيروت – لبنان – ط2 – 1403هـ – 1983م .

31- بشير كاشة الفرحي – محمد البشير الإبراهيمي – شيخ العلماء و فارس البيان – دار الآفاق – الجزائر – 2004م .

32- ابن منظور – لسان العرب – ضبط و تحقيق : خالد رشيد القاضي – دار صبح – بيروت – لبنان – إديسوفت – الدار البيضاء – المغرب – ط1 – 1427هـ –2006م .

33- تركي رابح – التعليم القومي و الشخصية الجزائرية – المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – ط2 – 1981م .

34- تركي رابح – الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – الجزائر – ط3 – 2009م .

35- تركي رابح الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – ط3 – 1981م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

36- التلي بن الشيخ – دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة : 1830م/1945م – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر –1983م .

37- توفيق الحكيم – فن الأدب – دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان – ط2– 1393هـ– 1973م .

38- جابر عصفور – نظريات معاصرة – دار المدى للثقافة و النشر – دمشق – سوريا – ط1 – 1998م .

39- جان بول سارتر – ما الأدب – ترجمة: محمد غنيمي هلال – دار نهضة مصر – القاهرة – مصر – 1990م .

40- جلال فاروق الشريف – إن الأدب كان مسؤولا – منشورات اتحاد الكتاب العرب – مطبعة الكاتب العربي – دمشق – سوريا – 1978م .

41- جمعان حمدان الغامدي – مقالات في الأدب – إشراف : علي حسن العبادي و محمود المنصور الشقحاء – مطبوعات نادي الطائف الأدبي – مطابع الزايدي – الطائف – المملكة العربية السعودية – ط1 – 1399هـ .

42- جميل إبراهيم علوش – الفصول في الكتابة الأدبية – مكتبة المجتمع العربي للنشر – عمان – الأردن – ط1 – 1423هـ – 2003م .

43- جورج زكي الحاج – دروس و موضوعات في أدب اللغة العربية – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع – بيروت – لبنان – ط1 – 1403هـ – 1983م .

44- جورج ستينير و آخرون – حاضر النقد الأدبي – مقالات في طبيعة الأدب – ترجمة: محمود الربيعي – دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع – القاهرة – مصر – 1998م .

45- جهاد الترباني – مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ – دار التقوى – القاهرة – مصر – ط1 – 1431هـ – 2010م .

46- حامد حفني داود – تاريخ الأدب الحديث – تطوره – معالمه الكبرى – مدارسه – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1983م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

47- الحبيب بناسي – صرخة قلب – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1984م .
48- الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري – كتاب الصناعتين – الكتابة و الشعر – تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – بيروت- لبنان – 1406هـ – 1986م .
49- حسن دوح – حوار مع الأجيال – دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع – تونس – 1981م .
50- حسين عبد الرحمن سلوادي – عبد الحميد بن باديس مفسرا – المؤسسة الوطنية للكتاب- 1988م .
51- حلمي مرزوق – تطور النقد و التفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين- دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر – الإسكندرية –مصر – ط1 – 2004م .
52- حلمي مرزوق – في النظرية الأدبية و الحداثة – دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر – الإسكندرية – مصر – 2004م .
53- حلمي مرزوق – النقد و الدراسة الأدبية – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت – لبنان – ط1 – 1402هـ – 1982م .
54- حنا الفاخوري – تاريخ الأدب في المغرب العربي- دار الجيل – بيروت – لبنان – ط1- 1417هـ – 1996م .
55- حنا الفاخوري – الجامع في تاريخ الأدب العربي – دار الجيل – بيروت – لبنان – ط1 – 1986م .
56- خليل الخطيب – فنون الكتابة الأدبية –دار الشروق للنشر و التوزيع – عمان – الأردن- ط1 – 2000م .
57- داود غطاشة الشوابكة و مصطفى محمد الفار – دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية- دار الفكر – عمان – الأردن – ط1 – 1430هـ – 2009م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

58- ديل كارنيجي – فن الخطابة – الأهلية للنشر و التوزيع – عمان – الأردن – ط1 – 2001م .

59- رابح بوحوش – الأسلوبيات و تحليل الخطاب – منشورات جامعة باجي مختار – عنابة– الجزائر – 2006م .

60- رابح خدوسي و آخرون – موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين – دار الحضارة – الجزائر – 2003م .

61- رجاء عيد – فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية و التطبيق – منشاة المعارف – الإسكندرية – مصر – 2000م .

62- رزان محمود إبراهيم – خطاب النهضة و التقدم في الرواية العربية المعاصرة – دار الشروق للنشر و التوزيع – عمان – الأردن – ط1 – 2003م .

63- رمضان الصباغ – الفن و الايديولوجيا – دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر – الإسكندرية –مصر – ط1 –2005م .

64- رينيه ويليك و أوستن وارين – نظرية الأدب – ترجمة : محي الدين صبحي – المؤسسة العربية للدراسات و النشر – بيروت – لبنان – ط2 – 1982م .

65- الزبير بن رحال – الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية – دار الهدى – عين مليلة – الجزائر – 1997م .

66- زكي مبارك – الحديث ذو شجون – دار الجيل – بيروت – لبنان – ط1 – 1413هـ – 1993م .

67- زكي المحاسني – نظرات في أدبنا المعاصر – المكتبة الثقافية – دار القلم – القاهرة – مصر – 1962م .

68- سارة ميلز – الخطاب – ترجمة : يوسف بغورة – منشورات مخبر الترجمة في الأدب و اللسانيات – جامعة منتوري – قسنطينة – الجزائر – 2004م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

69- سحر الخليل – مختارات من النثر العربي – دار البداية ناشرون و موزعون – عمان – الأردن – ط1 – 1432هـ – 2011م .

70- سعد مصلـوح – الأسلـوب – دراسـة لغويـة إحصائيـة – عالـم الكتب للنشر و التوزيــع و الطباعة – القاهرة – مصر – ط3 – 1423هـ – 2002م .

71- سعيد يقطين – الأدب و المؤسسة و السلطة – نحو ممارسة أدبية جديدة – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – بيروت – لبنان – ط1 – 2002م .

72- سميرة أنساعد – الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري – دراســة في النشأة و التطور و البنية – دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع – عين مليلة – الجزائر – 2009م .

73- السيد أحمد الهاشمي – جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب – دار الجيل بيروت – لبنان – طبعة جديدية و منقحة .

74- شايف عكاشة – مدخل إلى عالم الشعر المعاصر في الجزائر – قراءة مفتاحية منهج تطبيقي – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1988م .

75- شايف عكاشة – مدخل إلى عالم القصة القصيرة الجزائرية – قراءة مفتاحية منهج تطبيقي – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1988م .

76- شفيق جبري – أنا و النثر – مطبعة نهضة مصر – القاهرة – مصر –1960م .

77- شلتاغ عبود شراد – حركة الشعر الحر في الجزائر – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1985م .

78- شهاب الدين محمود الحلبي – حسن التوسل إلى صناعة الترسل – تحقيق : أكرم عثمان يوسف – دار الحرية للطباعة – دار الرشيد للنشر – بغداد – العراق – 1400هـ – 1980م .

79- شوقي – ضيف – الفن و مذاهبه في النثر العربي – دار المعارف – القاهرة – مصر – ط7 – 1974م .

80- شوقي ضيف – في النقد الأدبي – دار المعارف – القاهرة – مصر – ط6 – 1981م.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

81- صابر عبد الدايم و حسين علي محمد – فن المقالة – دراسة نظرية و نماذج تطبيقية – دار الكتاب الحديث – القاهرة – مصر – ط1 – 1432هـ – 2011م .

82- صالح بلعيد – في الأمن اللغوي – دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع – الجزائر – 2010م .

83- صالح بلعيد و آخرون – لغة الصحافة – دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع – تيزي وزو – الجزائر – 2007م .

84- صالح خرفي – الجزائر و الأصالة الثورية – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – 1977م .

85- صالح خرفي – شعر المقاومة الجزائرية – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر .

86- الطاهر محمد توات – أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع و الثامن – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1993م .

87- طه حسين – في الأدب الجاهلي – المجموعة الكاملة – الأدب و النقد :1 – دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان .

88- عباس محمود العقاد – مطالعات في الكتب و الحياة – المجموعة الكاملة– المجلد:25- الأدب و النقد: 2 – دار الكتاب اللبناني و مكتبة المدرسة – بيروت – لبنان –ط1 – 1403هـ – 1983م.

89- عبد الجليل عبده شلبي – الخطابة و إعداد الخطيب – دار الشروق – القاهرة– مصر – بيروت – لبنان – ط2 – 1407هـ – 1986م .

90- عبد الحميد بن باديس – الدرر الغالية في آداب الدعوة و الداعية – ضبط و تعليق: علي بن حسن بن عبد الحميد – دار المنار للنشر و التوزيع – الرياض – المملكة العربية السعودية– 1412هـ .

91- عبد الحميد بن باديس – العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية – رواية و ضبط: محمد الصالح رمضان – منشورات ثالة – الجزائر – ط4– 2004م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

92- عبد الحميد بورايو – منطق السرد – دراسات في القصة الجزائرية الحديثة – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1994م .

93- عبد الحميد بوزوينة – بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي – دراسة وصفية تحليلية فنية – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1988م .

94- عبد الرحمن بن خلدون – المقدمة – دار الفكر – بيروت – لبنان – ط1 – 1424هـ – 2004م .

95- عبد الرحمن سلامة – التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – 1981م .

96- عبد الرحمن عبد الحميد علي – معالم المقال الأدبي و الصحفي – دار الكتاب الحديث – القاهرة – مصر – 1428هـ – 2008م .

97- عبد السلام بنعبد العالي– بين بين – دار توبقال للنشر – الدار البيضاء – المغرب – ط1 – 1996م .

98- عبد السلام المسدي – ما وراء اللغة – بحث في الخلفيات المعرفية – مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع – تونس – 1994م .

99- عبد العاطي شلبي – دراسات في فنون الأدب الحديث – المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية – مصر – ط1 – 2005م .

100- عبد العاطي شلبي – فن الإبداع الأدبي– المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية – مصر .

101- عبد العاطي شلبي – فنون الأدب – دراسة تطبيقية للشعر في عصوره المختلفة و المقال و القصة القصيرة – المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية – مصر – ط1 – 2005م .

102- عبد العاطي شلبي – فنون الأدب الحديث بين الأدب الغربي و الأدب العربي – المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية – مصر – ط1 – 2005م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

103- عبد العزيز شرف – أدب المقالة – مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – لبنان – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان – القاهرة – مصر – ط1 – 1997م .

104- عبد العزيز شرف – أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة – دراسة و نماذج – دار الجيل – بيروت – لبنان – 1420هـ – 2000م .

105- عبد العزيز شرف – الأدب الفكاهي – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان – القاهرة – مصر – ط1- 1992م .

106- عبد العزيز شرف – التفسير الإعلامي لأدب المقالة – دار عالم المعرفة لنشر وتوزيع الكتاب – القاهرة – مصر – 1415هـ – 1995م .

107- عبد الفتاح الديدي – الأسس المعنوية للأدب – الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة– مصر – ط2- 1994م .

108- عبد القادر حلوش – سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر– دار الأمــة للطباعة والنشر و التوزيع – الجزائر – ط1 – 1999م .

109- عبد القادر شرشار – تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – سوريا – 2006م .

110- عبد الكريم بو الصفصاف – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931م/1945م – دار البعث للطباعة و النشر – قسنطينة – الجزائر – ط1 – 1401هـ – 1981م .

111- عبد اللطيف محمد السيد الحديدي – فن المقال في ضوء النقد الأدبي – القاهرة – مصر – ط1 – 1417هـ – 1996م .

112- عبد الله حمادي – رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى قسنطينة 1938م – مطبعة البعث – قسنطينة – الجزائر – 2004م .

113- عبد الله حمادي – مساءلات في الفكر و الأدب – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1994م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

114- عبد الله الركيبي – تطور النثر الجزائري الحديث 1830م/1974م – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ط2 – 1983م .

115- عبد الله الركيبي – عروبة الفكر و الثقافة أولا – دراسات و وثائق – دار الكتاب العربي – الجزائر – 2009م .

116- عبد الله الركيبي – القصة الجزائرية القصيرة – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1983م .

117- عبد الله شريط – من واقع الثقافة الجزائرية – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – ط2 – 1981م .

118- عبد الله شريط – نظرية حول سياسة التعليم و التعريب – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1984م .

119- عبد الملك بومنجل – النثر الفني عند البشير الإبراهيمي – بيت الحكمة للنشر والتوزيع – العلمة – الجزائر – ط1 – 2009م .

120- عبد الملك مرتاض – أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830م/1962م – منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م – مطبعة دار هومة – الجزائر – 2003م .

121- عبد الملك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931م/1954م – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1983م .

122- عبد الملك مرتاض – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925م/1954م – النهضة الفكرية النهضة الصحفية و الأدبية و النهضة التاريخية – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – ط2 – 1983م .

123- عبد النور جبور – المعجم الأدبي – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط2– 1984م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

124- عثمان سعدي – عروبة الجزائر عبر التاريخ – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – 1983م .

125- عثمان موافي – في نظرية الأدب – من قضايا الشعر و النثر في النقد الأدبي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر – ط3 – 2002م .

126- العربي التبسي– مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر – جمع وتعليق : شرفي أحمد الرفاعي – دار البعث للنشر و التوزيع – قسنطينة – الجزائر – ط1 – 1402هـ – 1981م – القسم الأول .

127- العربي دحو – مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم – دار الشهاب – باتنة – الجزائر – 1406هـ – 1986م .

128- عز الدين إسماعيل – الأدب و فنونه – دراسة و نقد –دار الفكر العربي – القاهرة – مصر – ط 8 –1983م .

129- عصام حسين إسماعيل أبو شندي – نقد النثر في كتابات إحسان عباس – دار الشروق للنشر و التوزيع – عمان – الأردن– ط1 – 2006م .

130- علي أبو ملحم – في الأدب و فنونه – المطبعة العصرية – صيدا – لبنان – 1970م .

131- علي بن سعيد المغربي – المُـغْـرِب في حُلى المغرب – تحقيق : شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة – مصر – ط4 – 1993م .

132- علي بن محمد – النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس– مضامينه و أشكاله – دار الغرب الإسلامي– بيروت – لبنان – ط1 – 1990م .

133- علي علي مصطفى صبح – من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية و النقدية – دار المريخ – الرياض – المملكة العربية السعودية – ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر– 1406هـ – 1985م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

134- عمار بن زايد – النقد الأدبي الجزائري الحديث – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- 1990م .

135- عمار الطالبي – ابن باديس حياته و آثاره – الشركة الجزائرية – الجزائر – ط3 – 1417هـ – 1997م .

136- عمر الدقاق و آخرون – ملامح النثر الحديث و فنونه – دار الأوزاعي للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت – لبنان –ط1 – 1997م .

137- عواطف عبد الرحمن – الصحافة العربية في الجزائر – دراسة تحليلية لصحافة الثورة التحريرية – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – الجزائر – 1980م .

138- عيسى العاكوب و آخرون – أساليب التعبير الأدبي – دار الشروق للنشر و التوزيع – عمان – الأردن – ط1 – الإصدار 3 – 2000م .

139- غازي الطليمات و عرفان الأشقر – النثر في عصر النبوة و الخلافة الراشدة – دار الفكر – دمشق – سوريا – ط1 – 1428هـ – 2007م .

140- فاروق سعد – فن الإلقاء العربي – الخطابي و القضائي و التمثيلي – شركة الحلبي للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت – لبنان – ط2 – 1999م .

141- فرحان بدري الحربي – الأسلوبية في النقد العربي الحديث – دراسة في تحليل الخطاب- المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع (مجد) – بيروت – لبنان – ط1 – 1424هـ – 2003م .

142- الفيروز أبادي- القاموس المحيط – الهيئة المصرية العامة للكتاب –القاهرة – مصر – 1399هـ – 1979م .

143- قدامة بن جعفر – نقد النثر – تحقيق : عبد الحميد العبادي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1402هـ – 1982م .

144- كلود روَى – دفاعا عن الأدب – ترجمة : هنري زغيب – منشورات عويدات – بيروت- لبنان – ط1 – 1983م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

145- كمال أبو سنة – الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس – حياته و مسيرته وجهاده الإصلاحي – دار الخلدونية – الجزائر – ط2 – 2005م .
146- كمال الدين حسين – المسرح و التغيير الاجتماعي في مصر– الدار المصرية اللبنانية– القاهرة – مصر – ط1 – 1412هـ – 1992م .
147- كمال عجالي – الفكر الإصلاحي في الجزائر – الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة و التجديد – شركة مزوار للطباعة و النشر و التوزيع – الوادي – الجزائر – ط1 – 1426هـ – 2005م .
148- مالك بن خليف – الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس – دار طليطلة – الجزائر – ط1 – 1432هـ – 2010م .
149- مالك بن نبي – شروط النهضة – دار الفكر – دمشق – سوريا – 1987م .
150- مالك بن نبي– في مهب المعركة – دار الفكر– دمشق– سوريا – 1405هـ – 1985م.
151- مجدي توفيق – الأدب و الحياة من الرسالة إلى الصمت – دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر – الإسكندرية – مصر – 2002م .
152- مجدي وهبة و كامل المهندس – معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب – مكتبة لبنان – بيروت – لبنان – ط2 – 1984م .
153- محروس منشاوي الجالي – تطور النثر الفني في مصر في القرن التاسع عشر – دار الفكر العربي – القاهرة – مصر – ط1 – 1406هـ – 1986م .
154- محمد إبراهيم حوَّر و آخرون – في الأدب و النقد و اللغة – مكتبة الفلاح – الكويت– ط1 – 1406هـ – 1986م .
155- محمد أبو زهرة – الخطابة – أصولها – تاريخها في أزهر عصورها عند العرب – دار الفكر العربي – القاهرة – مصر – ط1 .
156- محمد أحمد عبد القادر – قضايا الفكر الإسلامي الحديث بين الأصالة و المعاصرة – دار المعرفة الجامعية – القاهرة – مصر – 1997م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

157- محمد بركات حمدي أبو علي – في الأدب و البيان – دار الفكر للنشر و التوزيع – عمان – الأردن – 1984م .

158- محمد بسكر – أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة و المطبوعة – دار كردادة للنشر و التوزيع – بوسعادة – الجزائر – طبعة خاصة – 2013م .

159- محمد البشير الإبراهيمي – آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – جمع و تقديم : أحمد طالب الإبراهيمي – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – ط1 – 1997م .

160- محمد بن تاويت و محمد الصادق عفيفي – الأدب المغربي – مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان – ط1 – 1960م .

161- محمد بن رشد أبو الوليد – تلخيص الخطابة – تحقيق : عبد الرحمن بدوي – دار القلم– بيروت – لبنان – وكالة المطبوعات – الكويت – 1979م .

162- محمد بن سمينة – في الأدب العربي الحديث بالجزائر– الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس – مطبعة الكاهنة – الجزائر – 2003م .

163- محمد بن سمينة – في الأدب الجزائري الحديث – النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر : مؤثراتها– بدايتها – مراحلها – مطبعة الكاهنة – الجزائر – 2003م .

164- محمد حاج عيسى– عقيدة العلامة عبد الحميد بن باديس– دار الإمام مالك – الجزائر– ط1 – 1424هـ – 2003م .

165- محمد ربيع – التعبير الوظيفي – دار الفكر – عمان – الأردن – ط2 – 1420هـ – 2000م .

166- محمد زتيلي – فواصل في الحركة الأدبية و الفكرية الجزائرية – دار البعث للطباعة و النشر – قسنطينة – الجزائر – ط1 – 1405هـ – 1984م .

167- محمد زغلول سلام – الأدب في العصر المملوكي – منشأة المعارف – الإسكندرية – مصر – 1995م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

168- محمد زغلول سلام – النقد الأدبي الحديث – أصوله و اتجاهات رواده – منشأة المعارف – الإسكندرية – مصر – 1981م .

169- محمد زغينة – المقالة الوجدانية في نثر أدباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع – عين مليلة – الجزائر – 2005م .

170- محمد الصالح الصديق – الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه و مواقفه – دار البعث للنشر و التوزيع – قسنطينة – الجزائر – ط1 – 1403هـ – 1983م .

171- محمد الصالح الصديق – المصلح المجدد الإمام عبد الحميد بن باديس – لهذا حاولوا اغتياله – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 2006م .

172- محمد الطاهر يحياوي – أحاديث في الأدب و النقد – شركة الشهاب – باتنة – الجزائر – 1990م .

173- محمد الطمار – تاريخ الأدب الجزائري – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 2006م .

174- محمد الطمار – الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – 1983م .

175- محمد الطيب العلوي – مظاهر المقاومة الجزائرية 1830م/1954م – منشورات المتحف الوطني للمجاهد – المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار – الجزائر – ط2 – 1994م .

176- محمد عباس – البشير الإبراهيمي أديبا – ديوان المطبوعات الجامعية – المطبعة الجهوية – وهران – الجزائر .

177- محمد عبد الغني حسن – التراجم و السير – دار المعارف- القاهرة – مصر – ط2- 1969م .

178- محمد علي التهانوي – موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم – ترجمة : عبد الله الخالدي – مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – لبنان – ط 1- 1996م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

179- محمد عمارة – مسلمون ثوار – دار الشروق – القاهرة – مصر – ط3 – 1408هـ – 1988م .

180- محمد غنيمي هلال – قضايا معاصرة في الأدب و النقد – دار نهضة مصر للطبع و النشر – القاهرة – مصر .

181- محمد مزالي – دراسات – الشركة التونسية للتوزيع – تونس – ط2 – 1984م .

182- محمد مسعود جبران- فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب – المضامين و الخصائص الفنية – دار المدار الإسلامي – بيروت – لبنان – ط1 – 2004م .

183- محمد مصايف – النثر الجزائري الحديث – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1983م .

184- محمد مصطفى أبو شوارب – المدخل إلى فنون النثر الأدبي و مهاراته التعبيرية – دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر – الإسكندرية – مصر – ط1 – 2007م .

185- محمد معتصم – خطاب الذات في الأدب العربي – دار الأمان للطباعة و النشر و التوزيع – الرباط – المغرب – ط1 – 1428هـ – 2007م .

186- محمد مندور – الأدب و فنونه – دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع – القاهرة – مصر – 2000م .

187- محمد المنصوري الغسيري – صورة من حياة و نضال الزعيم الإسلامي و المصلح الديني الكبير : الشيخ عبد الحميد بن باديس – تقديم و تعليق : مسعود بن موسى فلوسي- نشر جمعية الغسيري – باتنة – الجزائر – 2006م .

188- محمد مهداوي – البشير الإبراهيمي – نضاله و أدبه – دار الفكر – دمشق – سوريا – ط1 – 1408هـ – 1988م .

189- محمد الميلي – ابن باديس و عروبة الجزائر – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط2 – 1979م.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

190- محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث – اتجاهاته و خصائصه الفنية 1925م/ 1975م – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – ط1 – 1985م .
191- محمد ناصر – الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1939م – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – 1980م .
192- محمد ناصر – المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها ، تطورها، أعلامها) من 1903م إلى 1931م – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – 1398هـ – 1978م .
193- محمد نسيب – زوايا العلم و القرآن بالجزائر – دار الفكر – دمشق – سوريا – دار الفكر – المرادية – الجزائر – مطبعة النخلة – بوزريعة – الجزائر – 1409هـ – 1989م .
194- محمد يوسف نجم – فن المقالة – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط4 .
195- محمد يونس عبد العال – في النثر العربي – قضايا و فنون و نصوص – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان – القاهرة – مصر – ط1 – 1996م .
196- مصطفى الشكعة – الأدب في موكب الحضارة الإسلامية – كتاب النثر – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – مصر – ط3 – 1426هـ – 2005م .
197- مصطفى صادق الرافعي – وحي القلم – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – الجزائر – 1991م .
198- مفيد محمد قميحة – الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر – دار الآفاق الجديدة- بيروت – لبنان – ط1 – 1401هـ – 1981م .
199- منذر معاليقي – دراسات نقدية في الأدب الإسلامي – المؤسسة الحديثة للكتاب – طرابلس – لبنان – ط 1 – 2000م .
200- ميشال عاصي – الفن و الأدب – مؤسسة نوفل – بيروت – لبنان – ط3 – 1980م .
201- الميلود عثماني – شعرية تودوروف – دار قرطبة – الدار البيضاء – المغرب – ط1- 1990م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

202- النابغة الذبياني – الديوان – شرح : عباس عبد الستار– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط3 – 1416هـ – 1996م .

203- ناظم عبد الجليل – نقد الشعر في المغرب الحديث– دار توبقال للنشر– الدار البيضاء– المغرب – ط1 – 1991م .

204- نبيل راغب – دليل الناقد الأدبي – دار غريب للطباعة و النشر – القاهرة – مصر – 1998م .

205- نبيل راغب – موسوعة الإبداع الأدبي – مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – لبنان – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان – القاهرة – مصر– ط1 – 1996م .

206- نبيل راغب – موسوعة الفكر الأدبي– دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع – القاهرة– مصر – 2002م .

207- نور الدين السد – القضية الجزائرية عند بعض الشعراء العرب – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1986م .

ج- الأطروحات و الرسائل الجامعية :

1-عبد السلام ضيـف – الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله – رسالة دكتوراه – إشراف الدكتور : السعيد خضراوي – قسـم اللغة العربية و آدابهـا – كليـة الآداب و العلوم الإنسانية– جامعة الحاج لخضر – باتنـة–الجزائر – 1425هـ/1426هـ– 2004م/2005م .

2- عيسى بن ساعد مدور – الخطابة في النثر الجزائري الحديث – موضوعاتها وخصائصها 1931م/1954م – رسالة دكتوراه – إشراف الأستاذ الدكتور : عبد القادر دامخي – قسم اللغة العربية و آدابها – كلية الآداب و العلوم الإنسانية – جامعة الجزائر – الجزائر – 1424هـ/1245هـ – 2004م/ 2005م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

3- محمد زرمـان- المقال فـي أدب مصطفى صادق الرافعــي- رسالــة ماجستيـر- إشراف : الدكتور أحمد علي شرارة- المعهد الوطني العالي في اللغة و الآداب العربية- باتنة- الجزائر- 1407هـ- 1987م .

د- المجلات و الدوريات و الجرائد :

1- مجلة الآداب و العلوم الانسانية – كلية الآداب و العلوم الانسانية- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية – قسنطينة – الجزائر – العدد : 4 – رمضان 1425هـ- أكتوبر 2004م.

2- مجلة الأدب الإسلامي – رابطة الأدب الإسلامي العالمية – الرياض – المملكة العربية السعودية – المجلد : 7 – العدد: 25- 1421هـ – 2001م .

3- مجلة الأدب الإسلامي – رابطة الأدب الإسلامي العالمية – الرياض – المملكة العربية السعودية – المجلد : 8 – العدد: 31- 1422هـ – 2002م .

4- مجلة الأصالة – وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية – الجزائر – السنة :1- العدد: 1- محرم 1391هـ- مارس 1971م .

5- مجلة الأصالة – وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية – الجزائر – السنة :2- العدد: 8- ربيع الثاني 1392هـ- جوان 1972م .

6- مجلة الأصالة – وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية – الجزائر – السنة :4- العدد: 24- ربيع الأول/ ربيع الثاني 1395هـ- مارس/ أفريل 1975م .

7- مجلة الأصالة – وزارة الشؤون الدينية – الجزائر – السنة :8- العدد: 74/73- شوال/ ذو القعدة 1399هـ- سبتمبر/ أكتوبر 1979م .

8- مجلة الثقافة – وزارة الإعلام و الثقافة- الجزائر – السنة : 4 – العدد : 19- محرم / صفر 1394هـ – فيفري / مارس 1974م .

9- مجلة الثقافة – وزارة الإعلام و الثقافة- الجزائر – السنة : 4 – العدد : 20- ربيع الأول / ربيع الثاني 1394هـ – أفريل / ماي 1974م .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

10- مجلة الثقافة – وزارة الإعلام و الثقافة- الجزائر – السنة : 6 – العدد : 31- صفر/ ربيع الأول 1396هـ – فيفري / مارس 1976م .
11- مجلة الثقافة – وزارة الإعلام و الثقافة- الجزائر – السنة : 6 – العدد : 33- جمادى الثانية / رجب 1396هـ – جوان / جويلية 1976م .
12- مجلة الثقافة – وزارة الإعلام و الثقافة- الجزائر – السنة : 10 – العدد : 56- ربيع الثاني / جمادى الأولى 1400هـ – مارس / أفريل 1980م .
13- مجلة الثقافة – وزارة الثقافة و السياحة – الجزائر – السنة : 15 – العدد : 87- شعبان / رمضان 1405هـ – ماي / جوان 1985م .
14- مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانيـة – جامعة باتنـة – الجزائر – العدد : 5 – جوان1996م .
15- مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانيـة – جامعة باتنـة – الجزائر – العدد : 6 – جوان2002م .
16- مجلة الفيصل – دار الفيصل الثقافية – الرياض – المملكة العربية السعودية – السنة : 6 – العدد: 67 – محرم 1403هـ – نوفمبر 1982م .
17- مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية – جامعة الكوفة – العراق – السنة 7 – العدد:13 – 2013م .
18- مجلة اللغـة العربية – المجلس الأعلـى للغة العربية – الشركـة الجزائريـة للصحافـة و الاتصال – الجزائر – العدد: 1 – ذو الحجة 1419هـ – مارس 1999م .
19- مجلة المجمع العلمي العربي – دمشق – سوريا – المجلد : 39 – الـجزء : 3 – صفر1384هـ – جويلية 1964م .

هـ- المــواقع الالكترونيــة :

1- موقع ابن باديس: www.binbadis.net
يوم: 28 أفريل 2015 - الساعة: 19:59 .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الملاحق

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ملحق 1 : صور لواجهات الشهاب

ملحق 2 : ترجمة صاحب الشهاب

ملحق 3 : قائمة بالصحف العربيـة

ملحق 4 :قائمة بالأسماء المستعارة

و أصحابهـا الحقيقييـن

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ملحـــق: 1

صور للشهاب الجريدة و المجلة.

25

الملحق رقم (1)

السنة الأولى ﴿الشهاب العدد ١﴾

المراسلات	الاشتراكات
تنشر على عهدة أصحابها وبإمضاءاتهم الصريحة مصرحاً بها في الجريدة إن شاؤوا أو محفوظة في الإدارة ولا ترد لأصحابها بحال	عن سنة بالجزائر ٢٥ فرنكاً بتونس والمغرب ٣٠ فرنكاً ببقية البلاد ٣٥ فرنكاً عن نصف سنة بالجزائر ١٥ فرنكاً
المكـــاتبـــات	**الإعلانـــــات**
باسم مدير شؤون الجريدة وصاحب امتيازها ﴿بوشمال أحمد﴾	تنشر الجريدة جميع أنواع الإعلانات ويتفق فيها مع الإدارة

نهج اليكسيس لامبير عدد ٣٣ قسنطينة

BOUCHMAL AHMED

ADMINISTRATEUR-GÉRANT

33 RUE ALEXIS LAMBERT-CONSTANTINE

ACH-CHIHEB

الخميس ٢٥ ربيع الثاني ١٣٤٤ هـ — قسنطينة ١٢ نفامبر ١٩٢٥ م

جريدة سياسية تهذيبيّة انتقادية ـ شعارها:

«الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء»

أول صدورها صدرت جريدة من ٦ صفحات، حجم كبير، وذلك من العدد (١) إلى العدد (٧٤)
وهذه الطبعة صفت من جديد لتعذر الحصول على نسخة تمكننا من التصوير مباشرة حسب الصدور.

الواجهة الأمامية للشهاب الجريدة بعد إعادة صفها

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

السنة الاولى — «الشهاب جريدة حرة وطنية تعمل لسعادة الامة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديموقراطية» — العدد ٣

الشهاب

١٣٤٤ عـــام

المراسلات
تنشر على عهدة اصحابها وبامضاءاتهم الصريحة مصرحا بها في الجريدة ان شاؤا او محفوظة في الادارة ولا ترد لاصحابها بحال

المكاتبات
باسم مدير شؤون الجريدة وصاحب امتيازها:
بوشمال احمد
فج الكيس لامبير عدد ٣٣ قسنطينة
BOUCHMAL AHMED
ADMINISTRATEUR-GERANT
33 RUE ALEXIS LAMBERT - CONSTANTINE

الاشتراكات
عن سنة بالجزائر ٢٥ فرنكا بتونس والمغرب ٣٠ فرنكا
بقية البلاد ٣٥ فرنكا عن نصف سنة بالجزائر ١٥ فرنكا

الاعلانات
تنشر الجريدة جميع انواع الاعلانات
ويتفق فيها مع الادارة

ثمن النسخة ٢٥ ص
ACH-CHIHEB

الخميس ٩ جمادى الاولى ١٣ ٨ | جريدة سياسية تهذيبية انتقادية . شعارها: «الحق فوق كل احد والوطن قبل كل شيء» | قسنطينة ٢٦ نفامبر ١٩٢٥ م

الى الاصلاح الديني

فلنحارب التخاذل المميت

بسلاح التناصر العتيد

قبل لنا من سبيل الى ذلك ، وسلاحنا نبذ الانشقاق فداب الصدع على قاعدة تقديم القليلة على الخليلة ؟

ذلك سبيلنا فما نعلم — والا نكهنا على الاعقاب ، فكان مثلنا مثل من قلد جيدا تراكمت عليه الادران درة تخطف اشعة انوارها الابصار . اليس من المعرة ان يكون ذلك الجيد الذي يفوق بجماله الطبعي ورواؤه المطري جمال و رواء اي درة عرضة لتهكم الساخرين ونكاية الشانئين ؟

ما احوجنا الى رجال مخلصين ، يشدون الحناصر وراء السعي في تطهير النفوس المشوهة برين النفرق والتغاين ؛ وفي صقل وجه الدين الحنيف تلك الجوهرة ، التي ابى الله الا ان تبقى صافية الاديم ، ولو عمل العابدون شهواتهم احقابا على طمسها ، حتى لاتمكس — فما يزعمون — صور العالم السيئة فيها ، فيومنوا بغضب على غضب ، ويسجل عليهم بالفضيحة وسوء المصير!!

وخليق بنا ان نواصل السعي في خلق رجال الاخلاص وايجادهم ، ولو كلفنا من الضحايا ما نبذل بسببه انفسنا ، بل ونفوسنا باستخراج ما فيها من المواهب الفكرية والادوية الناجعة بطرق تذكي في نفوس المتخاذلين التقاعسين حبنا والمتغانين المتناحرين تمرتها نار النعرة على الدين والملة والوطن ، ثم لا نلبث ان نقلب كتابن الامة من حطة الى رفعة ومن ذلة الى عزة — نتيجة تحاككك الافكار — لكن تلك غاية نصل اليها ، وليست مما يعيدة ؛ فما اذا كانت عزائمنا فولاذية ، ومحرزة على الصلاحية في نفسها لان تشبعها من تلك المبادى السامية يجعل الشعب مسوقا اليها ، وملتفا حول تعاليمها ؛ ومتأثرا بصفاء مظهرها ومتمظما بكبرياية اخلاصها ، وذلك هو السر في الوصول الى تبوا الرجال العظام عرش هذه الغاية ، والي تصويرهم الوجدانيات في صور محسوسة ، والادواء والادوية في صور كانها ملموسة ، ذلك الامر الذي يعززون به مواعظهم المابحة على التشوب للتحبيذ عليها بشعورهم المؤثر في نفوسهم قبل كل احد المبلغ تاثيره ، ليقينهم ان « النائحة الثكلي ليست كالنائحة المستاجرة »

ثم هم من اول خطوة في هذا السبيل يستعدون لمقابلة كل طارئ يصدر رجب ، لان الكتاب العزيز شدد في وجوب الاصلاح ، ولو اقتضى الي مكافحة الباغي حيث قال : « وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الي امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » وسلاحنا الحجج الدينية — على اننا اذا سمينا ذلك الكد والنصب والمجاهدة في سبيل اصلاح الدين آلاما وشرورا فلا ضير ، متى تيقنا ان الخيرات الناشئة عن ذلك تدفعها وتهونها بدليل استعذاب الحياة مع المرارات ، المصادفة في سبيلها وليس ذلك الا ان الخيرات لا يدوم احتجابها كالشمس اذا حجبها الدجى استانف النهار يشرق بانوارها ، واقل تلك المرارات ما يتالم من وصب التاثيب واللوم على ما لم يكن مثلهم ، حسبما نطق به المثل « المخلصون يتعذبون في اللوم على من لم يكن مثلهم بقدر ما يبلغ اخلاصهم »

ولئن تمسكنا بهذا السلاح المعنوي الذي يرينا طريق الارشاد لن نضلها بعده ابدا ، بل نضاصل جرثومة التخاذل بتشويه معناه ، وتمثيله بمنظره الشنع في اعين المتخاذلين — تلك الشيعة السفيهة الاحلام ، المسلوبة الارادة ، التي اعضل داؤها ، وطفا طوفان فسادها والتي جعلت الكذب والرياء والملق والدهان والمواربة والمداجاة والاثم والصلف والسعاية والغيبة من مطاياها في غدوانها ورواحاتها ، كانها من طائفة الجدليين ، الذين يحاربون الدنايا بمثلها ويدفعون الفكاهة بالدليل الفاسد ، « افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ؟ » بل تحسب بعد انغماسها في حماة تلك الرذائل الجرة ترة ، والمرج مرجا دينا وفضيلة ، يناضل عن كمال نفس = وهي العاطل = وتخيل اذنابها المتاحرة احزابها ، المشتغلين بتمزيق اراجيفهم رؤسا ، وابتزاز الاموال من غيرهم باسم الدين ، التي ما هي الاعبارة عن ضريبة واتاوة الصمت والتقاضي عن حق مقدس تحاول الايدي الاثيمة ازهاق روحه تطهيرا لنفوس اولئك المستخذين ، الذين يحسنون اساليب الخنوع ، تاركين دينهم العزيز غرضا لسهام الرزايا والخزايات ، راضين بالزور البسير من الحياة ، وبالممكن اليسور منها ولو حالة ، وشانهم الشدق بكرة واصيلا يقولهم : « الجود نعمة » حتى اخفى عليهم الدهر كما اخفى علي لبد

اما الجبان فانها كاخيانهم . وارى نساء الحي غير نسائنا ثم هي لو وقفت عند هذا الحد لهان الخطب ، ولكن تراها تغلي في اقبذتها مراجل الحقد علي الجميع ، فبدا تغرى هؤلاء الذين هم صنيعة يديها على طائفة اخرى تخلقها لمداراة من عاداها بعد تجريدها من كل فضيلة لتظفر هي بالشرر المتطاير ، من غير ان ترهب فيها منذرا لها ببوغامة الغاية في قوله تعالى: « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » ومن دون ان تخشى يقظة الاحرار المتناومين عن اعمال اشباهها ، قصد استفراغ ماتيها من الفضلات الاخلاقية المتعفنة التي بها يمتاز المصاب بها عن السالم ، وقصد ايقاعها في الحالة المنصوبة ، وهناك يقال لها : فساء صباح المنذرين

واذا تم بتلك الصورة تكييف جرثومة التخاذل ، المستوف لشرايين الشعب الجزائري ، الذي كاد ان تمكن البدع من ازدراده ، وتكوين جبهة من احرار مخلصين قام الدليل علي انه لم يبق ما يخدش في صدقهم — وان قلوا — تسنى ان نستنبت في ارض نفوس الفاغلين الحصبة في اصل فطرتهم كل ما راق فيكونون لنا « كزرع اخرج شطئه فازره فاستغلظ فاستوى علي سوقه يعجب الزراع » ، وتأتي ايضا ان تقف هذه العصابة المستخرجة بجهودنا المتواصلة من بين فرث ودم شجى في حلوق المتعنتين المكابرين الذين لا يومنون الا بشن غارة تستعر نارها ويشتد اوارها ، وقذي في اعينهم قائلة لهم : انها اكلة عسرة الهضم نار كضرا متولين الادبار متخاذلين فاتكم عبيد القنا واللهازم ، يجب قطع دابركم ولو ادى الي ان يقام — كما يقع في الحروب الطاحنة البادية — من حكم سد تسوره للاشراف علي غايتنا من التناصر — وسلاحنا الدين والذي يحمي بيضة الدين هو الدين — وحسبنا ذلك

ثم لا نلبث ان تتمكن المفاهمة المرتكزة على الاعتدال بقدر ما يمكن في شان رجل العلائق الملية ، والتمسك بقوة الاعتصام بعرى الدين والقومية ، والتحام بيننا الذي يتقلب على المخازيات المشتتة للوحدة المحبطة للاعمال والآمال

(يتبع)

« عبد الحق »

واجهة العدد الثالث من الشهاب الجريدة

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الواجهة الأمامية الخارجية للشهاب المجلة

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

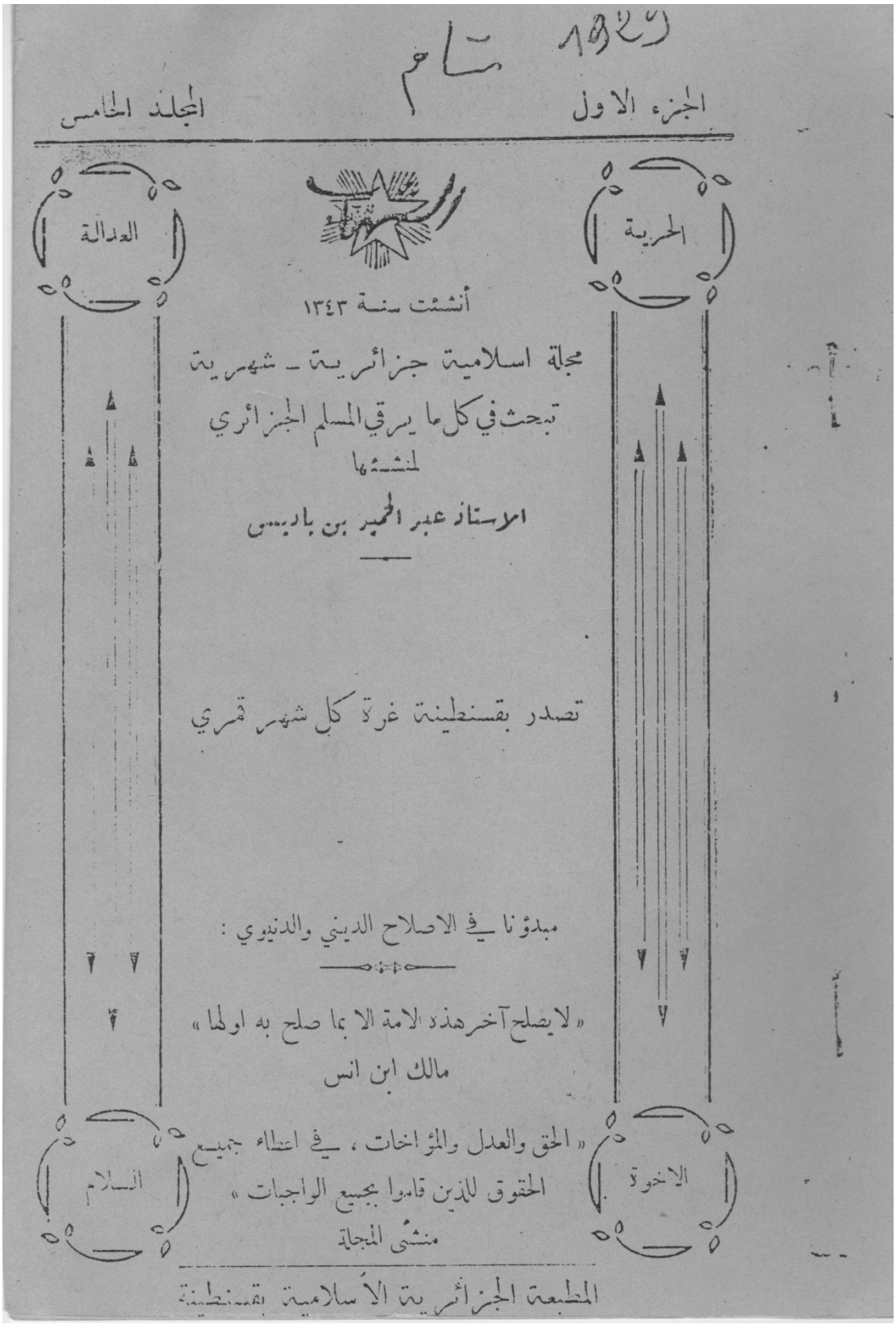

الواجهة الخارجية للجزء الأول من الشهاب المجلة

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الجزء الاول المجلد الخامس

قل هذه سبيلي :
أدعو الى الله على بصيرة
أنا ومن اتبعني وسبحان
الله وما أنا من المشركين

أنشئت سنة ١٣٤٣

أدع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي
أحسن

قسنطينة غرة رمضان ١٣٤٧ هـ فيفري ١٩٢٩ م

«الشهاب» الشهري بعد الاسبوعي

تستطيع الظروف تكييفنا ، ولا تستطيع — باذن الله — اتلافنا

سلخ «الشهاب» زهاء اربع سنوات اسبوعيا ، واذا لم يصل الى غايته كما يجب ، فقد قام — بامانة الله — باعبائها كما يجب ، وفوق المستطاع . ولقد غالبته الظروف بما لها من قوة وسلطان ، ولقد قاومها بما له من حق وايمان ، ولو حاربته بغير المال لخرج كعادته غالبا منصورا ، واو اراد الاستكثار من هذا السلاح من كل وجه لكان نصيبه منه نصيبا موفورا ، ولكنه عف وتكرم فكانت الغلبة عليه .

اجل ؛ قد قهرته الظروف فغيرته من صورته الاسبوعية الى هيئته الشهرية ، ولكنها لن تستطيع — باذن الله — ان تمس ضميره بسوء فتصيب منه من شيء .

يتقدم الشهاب لانصاره ومريديه في بزته الجديدة مجلة شهرية ، واعدا اياهم بان يكون على ما عرفوا منه في دعوة الحق غير مفرط ولا غال وستكون ابوابه اليوم عشرة : مجالس التذكير ، ورسائل ومقالات ، ومجتنيات من الكتب والصحف ، وفي المجتمع الجزائري ، ونظرة عالمية ، والمباحثة والمناظرة ، والفتوى والمسائل ، واخبار وفوائد ، وقصة الشهر وثمار العقول والمطابع . وقد يزاد فيها اذا اقتضى الحال وعلى الله وحده المعول في تحقيق الآمال .

الصفحة الأولى من الجزء الأول من الشهاب المجلة

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ملحـــق: 2

ترجمة صاحب الشهاب

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن المكي بن محمد كحّول بن الحاج علي النوري بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن بركات بن عبد الرحمن بن باديس الصنهاجـــي . ولد بمدينة قسنطينة ، يـــوم الجمعـــة الموافـــق لـ : 4 ديسمبر 1889 م عند الساعة الرابعة بعد الظهر.

كان عبد الحميد الابن الأكبر لوالديه، فأمه هي: السيدة زهيرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلّول من أسرة عريقة بقسنطينة.

كان والده بارًا به يحبه ويتوسم فيه النباهة، فقد سهر على تربيته وتوجيهه التوجيه الذي يتلاءم مع فطرته ومع تطلعات عائلته.

أما إخوته الستة فهم :الزبير المدعو المولود والعربي وسليم وعبد الملك ومحمود وعبد الحق، وأما أختاه فهما نفيسة و البتول.

بدأ عبد الحميد حياة التعلم في الكتاب القرآني على الشيخ محمد المداسي حتى حفظ القرآن عليه، ختم حفظ القرآن وهو ابن ثلاث عشرة عاما على يد الشيخ محمد المداسي و من شدة إعجاب الشيخ بجودة حفظه، وحسن سلوكه، قدمه ليصلي بالناس التراويح في رمضان بالجامع الكبير سنتين أو ثلاثا، وتلقى مبادئ العلوم العربية والإسلامية بجامع سيدي عبد المؤمن على مشايخ أجلاء من أشهرهم العالم الجليل الشيخ حمدان الونيسي القسنطيني ابتداء من عام 1903 وهو من أوائل الشيوخ الذين كان لهم أثر طيب في اتجاهه الديني، و لا ينسى ابن باديس أبداً وصية هذا الشيخ له: "اقرأ العلم للعلم لا للوظيفة"، بل أخذ عليه عهداً ألا يقرب الوظائف الحكومية عند فرنسا.

و في سنة 1908 م التحق الشيخ عبد الحميد بجامع الزيتونة، فأخذ عن جماعة من كبار علمائها الأجلاّء، و في طليعتهم زعيم النهضة الفكرية والإصلاحية في

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الحاضرة التونسية العلاّمة «محمّد النخلي القيرواني» والشيخ" محمد الطاهر بن عاشور" ، فضلاً عن مربين آخرين من المشايخ الذين كان لهم تأثير في نمو استعداده، وتعهّدوه بالتوجيه والتكوين، كالبشير صفر، وسعد العياض السطايفي، ومحمّد بن القاضي وغيرهم، وقد سمحت له هذه الفترة بالاطلاع على العلوم الحديثة وعلى ما يجري في البلدان العربية والإسلامية من إصلاحات دينية وسياسية.

ثم عاد إلى الجزائر سنة 1912م ، بعدما تحصل على شهادة التطويع ، ولم يلبث أن سافر عام 1913 في رحلة طويلة امتدت إلى الحجاز و منه إلى الشام ومصر، لأداء فريضة الحج وزيارة بعض العواصم للاتصال بعلمائها والاطلاع على ما يجري بها ،معتبرا هذه الرحلة تتمة للدراسة. وبعد أداء مناسك الحج والعمرة زار المدينة المنورة وأقام بها، وفي أثناء إقامته بها لقي أستاذه الأول الذي درس عليه في مدينة قسنطينة (الشيخ حمدان الونيسي الجزائري) الذي هاجر إلى المدينة المنورة وأقام بها، وتعرف على بعض العلماء مثل : الشيخ الجليل حسين أحمد الفيض أبادي الهندي، والشيخ الجليل الوزير التونسي، و ألقى بحضورهم درسا في الحرم النبوي الشريف، فأعجبوا به إعجابا شديدا مما لفت الأنظار إليه. وفي هذه الأثناء أبدى رغبته في البقاء بالمدينة المنورة إلى جوار أستاذه (الشيخ الجليل الونيسي) فرحب الأستاذ بهذه الفكرة ورغبه فيها، لما يعرف من أوضاع بلده. لكن الشيخ حسين أحمد الهندي لم يوافقه على ذلك، بل نصحه بضرورة العودة إلى وطنه لخدمة بلاده ومحاولة إنقاذها مما هي فيه، بما توسم فيه من حزم و عزم و صلاح. فاقتنع الشاب عبد الحميد بن باديس بوجهة نظر هذا الشيخ الجليل، و قبل نصيحته و قرر الرجوع إلى الوطن . وخلال الفترة التي قضاها في المدينة المنورة تعرف إلى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي المقيم مع والديه في المدينة المنورة، أقام معه مدة تعارفا فيها وتحاورا معا في شأن الخطة الإصلاحية التي يجب أن تضبط لعلاج الأوضاع المتردية في الجزائر، و اتفقا على خدمة بلادهما متى عادا إليها.

زار ابن باديس بعد مغادرته الحجاز بلاد الشام و مصر و اجتمع برجال العلم والأدب و أعلام الدعوة ، و زار الأزهر و اتصل بالشيخ بخيت المطيعي حاملاً له رسالة من الشيخ الونيسي.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

عـاد ابـن بـاديس إلـى الجزائـر فـي العـام نفسـه أي عـام 1913 م واسـتقر فـي مدينة قسنطينة، و شرع في العمل التربوي الذي صمم عليه، فبدأ بدروس للصغار ثم للكبار، و كان المسجد هو المركز الرئيسي لنشاطه، ثم تبلورت لديه فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين، و اهتماماته كثيرة لا يكتفي أو يقنع بوجهة واحدة، فاتجه إلى الصحافة، و أصدر جريدة المنتقد عام 1925 م ، ثم أوقفت بعد العدد الثامن عشر؛ فأصدر جريدة الشهاب الأسبوعية ، التي بث فيها آراءه في الإصلاح، واستمرت كجريدة ثم صارت مجلة عام 1929م ، كما كتب في جرائد جمعية العلماء : البصائر والسنة والشريعة والصراط السوي.

توفي عبد الحميد ليلة الثلاثاء الثامن من ربيع الأول سنة 1359 هـ الموافق لـ: 16 أفريل 1940 م في مسقط رأسه بمدينة قسنطينة، التي اتخذها في حياته مركزا لنشاطه التربوي، و الإصلاحي، و السياسي، و الصحافي. و في يوم تشييع جنازته خرجت مدينة قسنطينة كلها تودعه الوداع الأخير، كما حضرت وفود عديدة من مختلف جهات القطر الجزائري للمشاركة في تشيع الجنازة و دفن في مقبرة آل باديس في مدينة قسنطينة.

من آثاره: مبادئ الأصول،العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية،آثار عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ملحـــق: 3

فيمـا يلـي قائمـة بأسـماء الصـحف (الجرائـد و المجـلات) الصـادرة باللغـة العربيـة فـي القطـر الجزائـري فيمـا بـين سـنتي 1847 م و 1939م ، مرتبـة حسـب تـاريخ صـدورها ، و فـي حالـة وجـود نسـخة عربيـة و نسـخة فرنسـية منهـا يعتمـد تـاريخ صـدور النسـخة العربيـة ، و تـم ذلـك بالاعتمـاد علـى جملـة مراجع أهمها كتابي محمد ناصر:

- الصـحف العربيـة الجزائريـة مـن 1847م إلـى 1939م، الـذي يعتبـر دراسـة شـاملة تناولـت الصـحافة العربيـة فـي الجزائـر خـلال الفتـرة الاستعمارية.
- المقالـة الصـحفية الجزائريـة ، نشـأتها ، تطورهـا، أعلامهـا مـن 1903م إلى 1931م .

الرقم	اسم الصحيفة ونمط صدورها	صاحبها أو إدارتهاأو رئيس تحريرها	مكانها	اتجاهها	تاريخ صدورها	تاريخ توقفها
1	**المبشر:** جريدة نصف شهرية ثم أسبوعية	الولاية العامة الفرنسية	الجزائر	استعماري بحت	1847	1926
2	**المنتخب:** جريدة أسبوعية	بيار إتيان	قسنطينة	تدعو إلى المساواة و الادماج	1882	1883
3	**المبصر:** جريدة أسبوعية	بيار أونيسا	قسنطينة	تدعو إلى المساواة	1883	1883

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

4	**الحق:** جريدة أسبوعية	سليمان بنقي	عنابة	سياسية أدبية تهتم بشؤون العرب الجزائريين تتدد بسياسة المعمرين و اليهود	1893	1894
5	**النصيح:** جريدة أسبوعية	إدوارد قوسلان	الجزائر	انتفاعية استعمارية	1899	1900
6	**الجزائري:** جريدة	مدير الشؤون الأهلية لوسياني	الجزائر	استعماري بحت	1900	1900
7	**المغرب:** جريدة تصدر مرتين في الأسبوع	بيار فونطانا	الجزائر	اجتماعية دينية تدعو إلى العلم و المعرفة	1903	1904
8	**الأخبار:** جريدة	الولاية العامة الفرنسية تحت إشراف : فيكتور باوكان و إيزابيل إيبرهارت	الجزائر	التقرب من الجزائريين و التأثير فيهم	1903	1924

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

9	**المصباح:** جريدة أسبوعية	العربي فخار	وهران		1904	1905
10	**الهلال:** جريدة تصدر ثلاث مرات شهريا	فيلبيار	الجزائر	مطالب الأهالي الشرعية (المساواة)	1906	1907
11	**الإحياء:** مجلة نصف شهرية	جان ديرايو. تلقب نفسها بجمانة رياض أو فاطمة الزهراء	الجزائر	إصلاحي إسلامي	1907	1907
12	**كوكب إفريقيا:** جريدة أسبوعية	محمود كحول، ويقول ابن أبي شنب أنها للولاية العامة الفرنسية	الجزائر	انتفاعية	1907	1914
13	**الجزائر:** مجلة نصف شهرية	عمر راسم (أبو منصور الصنهاجي)	الجزائر	إصلاحية وطنية	1908	1908
14	**المسلم:** جريدة	ديليس	قسنطينة	المساواة	1909	1909

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

15	**الحق الوهراني:** جريدة أسبوعية	تابـي (مسلم)	وهران	إصلاحية وطنية	1911	1912
16	**الاسلام:** جريدة أسبوعية	الصادق دندان	الجزائر	إصلاحية وطنية	1912	1913
17	**الفاروق:** جريدة أسبوعية	عمر بن قدور	الجزائر	إصلاحية وطنية إسلامية	1913	1915
18	**البريد الجزائري:** جريدة	محمد عزالدين القلال	الجزائر	مقاومة الانحطاط الأخلاقي	1913	1913
19	**ذو الفقار:** جريدة أسبوعية	عمر راسـم (أبو منصور الصنهاجي)	الجزائر	إصلاحية اجتماعية	1913	1914
20	**أخبار الحرب:** جريدة	الولاية العامة الفرنسية تحت إشراف : جان ميرانت	الجزائر	خاصة بأخبار الحرب العالمية الأولى	1914	1918
21	**النجاح:** جريدة أسبوعية ثم ثلاث مرات في الأسبوع ثم يومية	عبد الحفيظ بن الهاشمي بمساعدة عبد الحميد ابن باديس	قسنطينة	إصلاحية وطنية ثم انتفاعية	1919	1956

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

22	**الصديق:** جريدة أسبوعية	محمد بن بكير رئيس تحريرها عمر بن قدور	الجزائر	علمية أدبية سياسية اقتصادية	1920	1922
23	**الإقدام:** جريدة أسبوعية	الأمير خالد	الجزائر	سياسية وطنية	1920	1923
24	**الاستقبال الجزائري:** جريدة أسبوعية	بلقاسم التهامي	الجزائر	سياسية متفرنسة موالية للاستعمار	1920	1920
25	**النصيح:** جريدة أسبوعية	صوالـــــح	الجزائر	سياسية متفرنسة تدعو للتجنيس	1921	1921
26	**لسان الدين:** جريدة أسبوعية	لسان حال الطريقة العليوية مصطفى حافظ و الحسن ابن عبد العزيز	الجزائر	دينية تمجد الطريقة العليوية	1923	1923
27	**التقدم:** جريدة شهرية	بلقاسم التهامي	الجزائر	سياسية متفرنسة	1923	1931
28	**المنتقد:** جريدة أسبوعية	عبد الحميد ابن باديس صاحب الامتياز أحمد بوشمال	قسنطينة	إصلاحية وطنية	1925	1925

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

29	**الجزائر:** جريدة أسبوعية	محمد السعيد الزاهري	الجزائر	إصلاحية وطنية	1925	1925
30	**الشهاب:** جريدة أسبوعية ثم مجلة شهرية	عبد الحميد ابن باديس ، صاحب الامتياز أحمد بوشمال	قسنطينة	إصلاحية وطنية	1925	1939
31	**صدى الصحراء:** جريدة أسبوعية	أحمد بن العابد العقبي	بسكرة	إصلاحية ثم سياسية حزبية	1925	1926 ثم 1934
32	**وادي ميزاب:** جريدة أسبوعية	أبو اليقظان	الجزائر	إصلاحية وطنية	1926	1929
33	**الحق:** جريدة أسبوعية	علي بن موسى العقبي	بسكرة	إصلاحية ثم موالية للطريقة العليوية	1926	1926
34	**البلاغ الجزائري:** جريدة أسبوعية	لسان حال الطريقة العليوية أحمد بن عليوة	مستغانم ثم الجزائر	دينية تمجد الطريقة العليوية	1926	1943
35	**البرق:** جريدة أسبوعية	محمد السعيد الزاهري	قسنطينة	إصلاحية وطنية	1927	1927
36	**الإصلاح:** جريدة نصف شهرية	الطيب العقبي	بسكرة ثم الجزائر	إصلاحية وطنية	1927	1948

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

37	**ميزاب:** جريدة أسبوعية	أبو اليقظان	الجزائر	إصلاحية وطنية	1930	1930
38	**المغرب:** جريدة أسبوعية	أبو اليقظان	الجزائر	إصلاحية وطنية	1930	1931
39	**النور:** جريدة أسبوعية	أبو اليقظان	الجزائر	إصلاحية وطنية	1931	1933
40	**المبصر الإفريقي:** جريدة نصف شهرية	الصالح خبشاش	قسنطينة	سياسية متفرنسة	1931	1931
41	**التلميذ:** مجلة شهرية	الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين بإفريقيا الشمالية تحت إشراف: بوعلام علواش	الجزائر	أدبية انتقادية أخلاقية وطنية	1931	1933
42	**المرصاد:** جريدة أسبوعية	محمد عبابسة الأخضري	الجزائر	إصلاحية وطنية	1931	1933
43	**الإخلاص:** جريدة أسبوعية	لسان حال تجمع رجال الزوايا إشراف: المولود بن الصديق **الحافظي الأزهري**	الجزائر	دينية تنتصر للزوايا و تهتم بشؤونها	1932	1933

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

44	**المعيار:** جريدة نصف شهرية	هراس مصطفى	الجزائر	دينية انتقادية تنتصر للزوايا	1932	1933
45	**السنة النبوية:** جريدة أسبوعية	لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	قسنطينة	إصلاحية وطنية	1933	1933
46	**الجحيم:** جريدة أسبوعية	محمد السعيد الـزاهــري و آخرون	قسنطينة	وطنية إصلاحية انتقادية للرد على المعيار	1933	1933
47	**الحياة:** جريدة نصف شهرية	جمعية الوفاق: باسعيد عدون ابن بكير	الجزائر	إصلاحية وطنية	1933	1933
48	**البستان:** جريدة أسبوعية	أبو اليقظان تحت غطاء تعموت عيسى	الجزائر	إصلاحية وطنية انتقادية فكاهية	1933	1933
49	**الشريعة:** جريدة أسبوعية	لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	قسنطينة	إصلاحية وطنية	1933	1933
50	**النبراس:** جريدة أسبوعية	أبو اليقظان	الجزائر	إصلاحية وطنية	1933	1933

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

51	**الحارس:** جريدة نصف شهرية	عبد الرحمن غريب	الجزائر	انتقادية أخلاقية فكاهية في أصلها ثم صارت إصلاحية	1933	1933
52	**الأمة:** جريدة أسبوعية	أبو اليقظان	الجزائر	إصلاحية وطنية	1933	1938
53	**الصراط السوي:** جريدة أسبوعية	لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	قسنطينة	إصلاحية وطنية	1933	1934
54	**الثبات:** جريدة أسبوعية	محمد عبابسة الأخضري	الجزائر	وطنية سياسية اجتماعية اقتصادية	1934	1935
55	**أبو العجائب:** جريدة/نشرة أسبوعية	محمد العابد الجلالي	قسنطينة	فكاهية نقدية تهذيبية	1934	1934
56	**الفضيلة:** مجلة شهرية	موسى خداوي	البليدة	أدبية اجتماعية اقتصادية	1935	1935
57	**البصائر:** جريدة أسبوعية	لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	الجزائر	إصلاحية وطنية	1935	1939

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

58	**الليالي:** جريدة نصف شهرية	حمزة بوكوشة تحت غطاء علي بن سعد	الجزائر	فكاهية انتقادية أدبية	1936	1937
59	**سيدي هنيني:** جريدة نصف شهرية	بجو محمد الطاهر	الجزائر	سياسية انتقادية إخبارية وطنية فكاهية أدبية	1936	1936
60	**الشعب:** جريدة نصف شهرية	لسان حال حزب الشعب الجزائري، رئيس تحريرها مفدي زكرياء	الجزائر	سياسية وطنية	1937	1937
61	**المغرب العربي:** جريدة أسبوعية	حمزة بوكوشة	وهران	إصلاحية وطنية	1937	1937
62	**الميدان:** جريدة اسبوعية	حسن الوارزقي و الحاج الطيب بن حملة	قسنطينة ثم الجزائر	اجتماعية سياسية جزائرية	1937	1938
63	**الروح:** جريدة نصف شهرية	أبو العلاء بكير بن الحاج سليمان	البليدة	علمية أدبية انتقادية فكاهية	1937	1939
64	**الوفاق:** جريدة أسبوعية	محمد السعيد الزاهري	وهران	سياسية اجتماعية	1938	1940

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

65	**الرشاد:** جريدة أسبوعية	عبد الحفيظ القاسمي	الجزائر	دينية إرشادية إخبارية	1938	1939
66	**الفرقان:** جريدة أسبوعية	أبو اليقظان	الجزائر	إصلاحية وطنية	1938	1938
67	**المنجنيق:** جريدة نصف شهرية	محمد ابن الحنفية	الجزائر	سياسية علمية	1938	1939

مـــلاحـــظـــــات :

1- صدرت أول جريدة عربية بالقاهرة في مصر سنة 1800م ، هي " التنبيه "، و هي نشرة أنشأها نابليون بونابرت ، لكنها لم تستمر غير سنة واحـــدة فقط ، ثم صدرت بالبلد نفسه جريدة " الوقائع المصرية " التي أنشأها " محمد علي باشا " في سنة : 1828م.

2- بالنسبة لجريدة " النجاح " (1919م-1959م) ، التي أسسها عبد الحفيظ بن الهاشمي و ساعده في تأسيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وكان يكتب بها في أول عهدها، فإنها قد انحرفت عن منهجها الإصلاحي مما جعل الشيخ عبد الحميد بن باديس يتخلى عنها ، و قد قال عنها الشيخ الطيب العقبي : " النجاح تلك الجريدة المسيرة غير المخيرة، و المشهورة بمحاربتها للأمة في شخص علمائها و زعمائها المخلصين كلما كان دخل للفرنك في هذه المحاربة " البصائر عدد26- (1936/07/03م). فهي قد صـــــارت ذات اتجـــــاه انتفـــــاعي تجـــــاري بحـــــت. و جاء عنها في جريدة " صدى الصحراء " لصاحبها : أحمد بن العابد العقبي

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

في العدد 10 الصادر في: 1926/02/08م ، قوله : " إن جريدة النجاح حدث من المقالات أو المقائل التي لا تجدي الأمة فتيلا ما الله به عليم ، الأمر الذي جعلها مرموقة بعين السخط و الاحتقار من كافة متنوري الجزائر، و يأسفون على انتهاجها هذا المنهج السقيم ..." .

3- كان هناك معمر – وهو نائب في البرلمان – يقال له : " مورينو " معروف بنزعته الحاقدة ، وله مواقف كثيرة مناوئة للصحافة الإصلاحية ، وكان رفقة صديقه المتفرنس المتجنس الدكتور" ابن التهامي " ، كثيرا ما يرفعان دعاوى قضائية ضد الجرائد الإصلاحية يدعيان فيها انتهاك حريات و حقوق الآخرين ، فيوفران الأسباب و المبررات للإدارة لتعطيلها ، مثل ما حدث مع جريدة " الإقدام " (1920م–1923م) ، للأمير خالد و جريدة " البرق " (1927م–1927م) ، لمحمد السعيد الزاهري.

4- أسس أبو اليقظان في شهر فيفري من سنة 1931م المطبعة العربية بالجزائر، و التي لعبت دورا كبيرا في مجال نشر الكتب و الدوريات العربية ، و وفت بالغرض الأساسي الذي أسست من أجله و هو إحياء اللغة العربية و نشرها بين الأوساط الأهلية، وهي لا تختلف عن رسالة المطبعة الجزائرية الإسلامية التي أنشأها الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة سنة 1925م ، والتي كانت تطبع المنتقد ثم الشهاب فالبصائر، إضافة إلى الكتب و المطبوعات المتنوعة باللغة العربية.

5-هناك شخصية ظلت مغمورة على الرغم من دورها المهم في إصدار صحف الشيخ عبد الحميد بن باديس و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وهو السيد : أحمد بوشمال ، الذي يعد من أعيان مدينة قسنطينة وكان يدير المطبعة الجزائرية الإسلامية التي أنشأها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فقد

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

كـان صـاحب امتيـاز المنتقـد و الشهـــاب (الجريـــدة و المجلـة) ، وكـــذا صـحف جمعيـة العلمـــاء المسـلمين الجزائـريين : السـنة و الشـريعة و الصـراط السـوي.

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ملحـــق: 4

قائمة بالأسماء المستعارة و أصحابها الحقيقيين في زمن الشهاب

فيمـا يلـي قائمـة بالأسـماء المسـتعارة التـي كـان يكتـب تحـت إمضـائها بعـض الكتـاب ، بـدل أسمائهـم الحقيقيـة فـي الصحـف العربيـة الجزائريـة ، و منها الشهاب .

و قـد جـاء فـي كتـاب : المقالـة الصـحفية الجزائريـة ، نشـأتها ، تطورهـا ، أعلامهـا مـن 1903م إلـى 1931م ، لمحمـد ناصـر ، الجـزء: الثـاني، الصـفحة :237 ، قولـه : " ننشـر فـي هـذه الصـفحة الأسـماء المسـتعارة التـي كـان يتخـذها بعـض الكتـاب بـدل أسـمائهم الحقيقيـة ، اعتمـادا علـى مـا أفادنـا بـه أصـحاب الصـحف أنفسـهم ، أو أصـحاب تلـك الأسـماء المسـتعارة ، أمـا الإمضـاءات العامـة التـي طالمـا طالعتنـا بـه الصـحافة الوطنيـة مثـل: متسـائل ، غيـور ، ناصـح ، متعجـب . . . الـخ أو الممضـاة بـالحروف ، فإننـا لـم نـتمكن من معرفة أصحابها لغموضها و اشتراك كثير من الكتـاب في استعمالها " .

الرقم	الاسم المستعار	صاحبه الحقيقي
1	ابن الإسلام	عبد الحميد بن باديس
2	ابن منصور الصنهاجي	عمر راسم
3	أبو حفص	عمر بن قدور
4	أثـــري	ربما هو عبد الحميد بن باديس
5	الأصلع	عمر بن قدور
6	أفلح	بيوض بن إبراهيم
7	إياس	بيوض بن إبراهيم

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

8	البكري	بكلي عبد الرحمن بن عمر
9	بيضاوي	مبارك بن محمد الميلي
10	تأبط شرا	محمد السعيد الزاهري
11	جزائري	أبو القاسم سعد الدين بن الخمار
12	جساس	محمد السعيد الزاهري
13	خادم القوم	الأمير خالد
14	الخبير	أحمد توفيق المدني
15	الراصد	محمد السعيد الزاهري
16	الرشيد	محمد بن العابد الجَلاَّلي
17	رشيد	عبد الحفيظ بن الهاشمي
18	رقيب	محمد السعيد الزاهري
19	زيد	لعله عبد الحفيظ بن الهاشمي
20	السلفي	مبارك بن محمد الميلي
21	سمهري	محمد الأمين العمودي
22	صهيب	لعله عبد الحفيظ بن الهاشمي
23	صوفي	حسن بولحبال
24	العبسي	عبد الحميد بن باديس
25	عباس	سليمان بن داود بن يوسف
26	عبد الحق	عبد الحميد بن باديس
27	الفرقد	سليمان بن يحي بوجناح
28	ف	سليمان بن يحي بوجناح
29	القسنطيني	عبد الحميد بن باديس
30	كاتب كبير	محمد العاصمي
31	كامل	عمر راسم
32	المنذر	الأمير خالد
33	المنصور	أحمد توفيق المدني

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

34	محفوظ	عمر راسم
35	النخبة	ابن باديس عن هيئة تحرير مجلة الشهاب
36	نذير القوم	الأمير خالد
37	نفريت	أحمد توفيق المدني
38	الهلالي	مبارك بن محمد الميلي

مـــلاحـــظـــــات :

1- كتب عمر راسم في جريدة " الشهاب " العدد : 98 ، الصادر في 26 ماي 1927م ، يبريء نفسه من قصائد و مقالات ، كانت تنشر بجريدة : " البلاغ الجزائري" ، لسان حال الطريقة العليوية ، بإمضاء : الصنهاجي .

2- كان هناك الكثير من الكتاب الذين كانوا يستعيرون لقب : " جزائري " ، و لاسيما في فترة العشرينيات من القرن العشرين.

3- كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس ، في العدد " 58 " من جريدة " الشهاب " الصادر في : 27 سبتمبر 1926م ، ما يلي : " قد كنت كتبت في الصحافة الجزائرية و لازلت أكتب بإمضائي الخاص (القسنطيني) ، و اليوم رأيت في جريدة النجاح الغراء، مقالا بإمضاء : " القسنطيني " ، فوجب أن أعلن أنني غيره ، وأن تلك أولى مقالاته ، و إنني رفعت يدي عن هذا اللقب : (القسنطيني) " .

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

فهرس الموضوعات

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

فهرس الموضوعات

مقدمــة..... أ

الفصل الأول

مقاربة اصطلاحية للمفاهيم و الشهاب

أولا: الخطــاب النثــري

1-مفهوم الخطاب.....04

أ – لغة 04

ب – اصطلاحا.....05

2-مفهوم النثر.....08

أ – لغة.....08

ب – اصطلاحا.....09

ثانيا: الشهـــاب

1- الحالة العامة في الجزائر على عهد الاحتلال الفرنسي.....12

2- ظروف و عوامل نشأة الشهاب 17

3- من المنتقد إلى الشهاب.....30

4- من الجريدة إلى المجلة 40

5- شعار مجلة الشهاب و منهجها.....49

6- أبواب الشهاب..... 53

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

الفصل الثـــانـــي
المـقـالـــة

1- مفهوم المقالة 62

أ- لغة 62

ب- اصطلاحا.....63

2-خصائص فن المقالة 67

3-أنواع المقالة.....70

أ- المقالة الذاتية 71

ب- المقالة الموضوعية.....73

ج- أنواع أخرى من المقالة 73

4- المقالة في مجلة الشهاب 79

5- نماذج من مقالات الشهاب 82

أ – مقالات للشيخ عبد الحميد بن باديس 82

1-المقالة الأولى : من رغب عن سنتي فليس مني 82

- السمات العـامـة.....85
- تعليم النساء الكتابة 92
- الإسلام الذاتي و الإسلام الوراثي 95

2-المقالة الثانية : كلمة صريحة 98

- السمات العامة 101
- حول كلمتنا الصريحة.....112
- الحريـــــة 115

3- ملامح فنية في مقالات الشيخ ابن باديس 120

ب – مقالة للشيخ الإبراهيمي:الإنسانية آلامها واستغاثتها.....123

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

- السمات العامة.....125

ج – مقالات للبشير العلوي : 136

1-المقالة الأولى : نظرة في جمال الكون : النفس الشاعرة...136

- السمات العامة 138

2-المقالة الثانية : نسمات الخريف.....140

- السمات العامة.....143

الفصل الثالث

الخطابة

1 - مفهوم الخطابة 151

أ- لغة 151

ب- اصطلاحا..... 152

2-أجزاء الخطبة..... 156

أ- المقدمة 156

ب - العرض 157

ج – الخاتمة 158

3-أنواع الخطابة.....159

أ-الخطبة الدينية..... 161

ب-الخطبة السياسية.....162

ج- الخطبة الحربية.....163

د- الخطبة القضائية.....164

هـ- أنواع أخرى من الخطب 165

4-عدة الخطيب 166

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

5-الخطابة في مجلة الشهاب 169
6- نماذج من خطب الشهاب 173
أ – خطبة للشيخ ابن باديس في الاجتماع العام لجمعية العلماء....173
- الخطيب الفـذ 177
- السمات العـامـة.....183
ب – خطبة للإبراهيمي بمناسبة اختتام حفل تكريم ابن باديس.....194
- السمات العـامـة.....202

الفصل الـرابـــع
فـنـــــون أخـــــرى

أولا : الرسائل

1-مفهوم الرسالة 217
أ- لغة 217
ب- اصطلاحا.....228
2-أنواع الرسائل.....221
أ- الرسالة الديوانية.....221
ب- الرسالة الإخوانية.....222
ج- الرسالة الموضوعية.....223
3 – الرسائل في مجلة الشهاب... 225
4 – نموذج من رسائل الشهاب 233
- رسالة الشيخ الإبراهيمي لمحمد العيد آل خليفة.....233
- السمات العامة 235

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

ثانيــا: التراجم و السير

1-مفهوم الترجمة 240
أ- لغة 240
ب- اصطلاحا..... 241
2-مفهوم السيرة 241
أ- لغة 241
ب- اصطلاحا..... 242
3-أنواع السيرة..... 243
أ- السيرة الغيرية..... 243
ب- السيرة الذاتية..... 244
4- بين السيرة والترجمة..... 244
5- التراجم و السير في مجلة الشهاب 246
6- نموذج من تراجم الشهاب 250
- تراجم كتبها ابن باديس:رجال السلف ونساؤه:عبادة بن الصامت..250
- السمات العامة 251

ثالثــا : فـن الــرحـلـــــة

1-مفهوم الرحلة..... 255
أ- لغة 255
ب- اصطلاحا..... 256
2-أدب الرحلة..... 256
3 – أدب الرحلة في مجلة الشهاب 258
4 - نموذج من أدب الرحلة في الشهاب 263
- رحلة الشيخ عبد الحميد بن باديس من الجزائر إلى وهران..... 263
- السمات العامة 267

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com

خاتمــة.....274

المصادر و المراجع..... 281

المـلاحق..... 304

فهرس الموضوعات.....330

Document Produced by deskPDF Unregistered :: http://www.docudesk.com